

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بني وليد

مجلة المنتدى الجامعي

المنتدى الجامعي

للدراسات الإنسانية والتطبيقية

مجلة علمية فصلية محكمة تصدرها كلية الآداب بني وليد

العددان 18/17 - الربيع / الصيف 2016

في هذا العدد:

اقتصاديات الإعلام: رؤية معرفية تفاعلية

بعض صور المتلقي الناقد في الأدب العربي

تقييم الأداء الفردي

مراحل الرؤية السردية في رواية واو الصغرى

مما أغفله الأنبري من مسائل الخلاف

أساليب المعاملة الوالدية كما يتركها الأبناء وعلاقتها بالانطواء

L'enseignement de la littérature Française Les problèmes et les solutions

LES AUXILIAIRES DIDACTIQUES ET THECHNIQUES DANS L'ENSEIGNEMENT
DE FRANÇAIS, LANGUE ÉTRANGÈRE

العددان 18/17 الربيع / الصيف 2016

مجلة علمية فصلية
محكمة تصدرها كلية الآداب
بني وليد

المنتدى الجامعي

للدراستات الإنسانية والتطبيقية

العددان 18/17

الربيع / الصيف 2016

رئيس التحرير

د. عويدات حسين بالحاج

مستشار التحرير

د. علي عبد الكاظم الفتلاوي

التوثيق

الدار الوطنية للكتاب – بنغازي

446

المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها

ولا تعبر عن رأي المجلة

المراسلات

مجلة المنتدى الجامعي

كلية الآداب - بني وليد

طريق الظهرة

Email

almuntada2012@yahoo.com

[Facebook.com/almuntada2012](https://www.facebook.com/almuntada2012)

قواعد النشر بمجلة المنتدى الجامعي العلمية الفصلية المحكمة للعلوم الإنسانية والتطبيقية

المنتدى الجامعي، مجلة علمية فصلية محكمة، تهتم بنشر البحوث والدراسات العلمية الأصيلة والمبتكرة في العلوم الإنسانية والاجتماعية والأساسية والتطبيقية.

- وإذ ترحب المجلة بإسهامات الباحثين والكتاب في المجالات المعرفية المشار إليها؛ تحيطهم علماً بقواعد وشروط النشر فيها وفق الآتي:
- 1- تُقبل البحوث باللغتين العربية والإنجليزية على أن تعالج القضايا والموضوعات بأسلوب علمي موثق؛ يعتمد الاجرائية المعتمدة في الأبحاث العلمية؛ يعرض موضوع الدراسة وأهدافها ومنهجها وتقنياتها وصولاً إلى نتائجها وتوصياتها ومقترحاتها.
- 2- يكون التوثيق بذكر المصادر والمراجع بأسلوب أكاديمي، يتضمن:
 - في الكتب: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، مكان وتاريخ النشر، اسم الناشر.
 - في الجلات: اسم كاتب المقال، عنوان المقال، رقم العدد وتاريخه، رقم الصفحة.
- 3- معيار النشر هو المستوى العلمي، والموضوعية والأمانة العلمية ودرجة التوثيق، وخلوه من الأخطاء التحريرية والنحوية والاملائية والطباعية.
- 4- أن يكون النص مطبوعاً على برنامج (Microsoft Word) ويكون حجم الصفحة (A4) مع مراعاة الحواشي حسب الآلية المصممة من البرنامج السابق، ويكون خط الطباعة هو (Simplified Arabic) بحجم (14) للمتن و(16) للعناوين و(12) للحواشي.
- 5- أن لا يزيد حجم الدراسة أو البحث على (30) صفحة (A4) كحد أقصى، وأن يرفق بخلاصة للبحث أو المقال لا تتجاوز (60) كلمة تنشر معه عند نشره.
- 6- ترحب المجلة بتغطية المؤتمرات والندوات عبر تقارير لا تتعدى (10) صفحات (A4) كحد أقصى، يذكر فيها مكان الندوة / المؤتمر وزمانها وأبرز المشاركين فيها، مع رصد أبرز ما جاء في الأوراق والتعليقات والتوصيات.
- 7- ترحب المجلة بنشر مراجعات الكتب بملود (10) صفحات (A4) كحد أقصى، على أن لا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين.
- 8- عنوان الكتاب وأسم المؤلف ومكان النشر وتاريخه وعدد الصفحات. وتتألف المراجعة من عرض وتحليل ونقد، وإن تضمنت المراجعة خلاصة مركزة لمحتويات الكتاب، مع الاهتمام بمناقشة طروحات المؤلف ومصادقية مصادره وصحة استنتاجاته.
- 9- يرفق مع كل دراسة أو بحث تعريف بالسيرة الأكاديمية والدرجة العلمية والعمل الحالي للباحث.
- 10- لا تدفع المجلة أية مكافآت مالية عما تقبله للنشر فيها.
- 11- لا تكون المواد المرسلة للنشر في المجلة قد نشرت أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى.
- 12- تخضع المواد الواردة للتعقيم من قبل محكمين تختارهم هيئة التحرير (سرياً)، ولا تعاد للمواد المعنر عن نشرها إلى أصحابها.
- 13- يجري إعلام الباحث أو الكاتب بقرار اللجنة التحكيمية وهيئة تحرير المجلة خلال شهرين من تاريخ الإشعار باستلام النص؛ وللمجلة الحق في الطلب من الباحث أن يحدف أي جزء أو يعيد الصياغة، بما يتوافق وقواعدها.
- 14- تحتفظ المجلة بحقها في نشر المادة وفق خطة التحرير؛ وتؤول حقوق الطبع للمجلة عند إخطار الباحث بقبول بحثه للنشر.
- 15- يكون ترتيب البحوث والدراسات المنشورة وفقاً لترتيب الحروف الأبجدية لأسماء الباحثين والكتاب.
- 16- ترسل إلى صاحب البحث أو المقال عدد نسختين، و(5) مستلات من العدد الذي نشر فيه البحث مع غلاف المجلة.
- 17- ترسل البحوث والدراسات والمقالات باسم رئيس التحرير: د. عويدات حسين بلحاج، على عنوان البريد الإلكتروني الآتي:

Almuntada2012@yahoo.com

أما بخصوص البحوث والمقالات التي تسلم إلى مقر المجلة؛ فإن البحث يسلم على قرص مدمج (CD) مرفقاً بعدد أربع نسخ ورقية. وللمزيد من المعلومات والاستفسار يمكن مراجعة صفحة المجلة على مواقع التواصل الاجتماعي الآتية:

<http://www.facebook.com/almuntada.bw>

مقر المجلة: كلية الآداب - بني وليد - طريق الظهرة

محتويات العدد

42-9	اقتصاديات الإعلام: رؤية معرفية تفاعلية د. علي المنتصر فرفر كلية الفنون والإعلام - جامعة طرابلس
60-43	بعض صور المتلقي الناقد في الأدب العربي د. ثريا عيسى محمد جامعة بني وليد
92-61	تقييم الأداء الفردي د. أبو بكر عمر الفضيل عيسى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة بني وليد
106-93	مراحل الرؤية السردية في رواية واو الصغرى د. عبد الله صالح طاهر قسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة بني وليد
118-107	مما أغفله الأنباري من مسائل الخلاف دراسة لمسائل الخلاف الواردة في الأجزاء الأربعة د. إسماعيل مفتاح شوران كلية العلوم الشرعية - جامعة بني وليد
146-119	أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بالانطواء لدى طلبة كلية الآداب بني وليد د. محمود عبد حميد العيساوي أحمد معمر الهماي قسم علم النفس - كلية الآداب - جامعة بني وليد
13-20	<i>LES AUXILIAIRES DIDACTIQUES ET THECHNIQUES DANS L'ENSEIGNEMENT DE FRANÇAIS, LANGUE ÉTRANGÈRE Dr. Mosbah M. Farfar Faculté des langues</i>
5-12	<i>L'enseignement de la littérature Française Les problèmes et les solutions DR. Soliman Shagaf Faculté des lettres - Beniwalid</i>

كلمة التحرير

تخطو مجلة (المنتدى الجامعي) بعددها المزدوج (السابع عشر والثامن عشر) - مستهلةً عامها الخامس - خطوة توكيدية مهمة نحو ترصين وجودها الأكاديمي والثقافي، بعد أن أنجزت بعضاً من الأهداف التي أنطلقت منها هيئة التحرير منذ عددها الأول، وبعد أن أخذ حضورها الفعلي الرصين بين الأصدارات الأكاديمية الليبية، بل إنها صدرت حينما توقفت العديد من الدوريات واحتجبت عن الصدور بتأثير الظروف التي نعرفها كافة منذ عام 2011؛ وصدرت بعضها لاحقاً صدوراً رقمياً، بالوقت الذي أصرت المنتدى الجامعي أن تصدر بنسخها الورقية والرقمية، وتتيح أعدادها على الشبكة العالمية (الأنترنت).

كانت الوظيفة الأساسية للمنتدى الجامعي هي نشر البحوث التي يتطلع كتابها الى تحقيق الترقية العلمية وفق التقاليد الأكاديمية الرسمية، إلا انها تجاوزت هذه الوظيفة، بعدما حرصت الى نشر تنويعاً من البحوث التي توالف بين الأكاديمي والثقافي من تخصصات علمية ومعرفية متعددة، بلغات اشتملت الإنجليزية والفرنسية فضلاً عن لغتها الأصل، لباحثين من داخل جامعة بني وليد ومن خارجها؛ على الرغم من كل الصعوبات، ما ظهر منها وما بطن، مما جعل من استمرارية صدور المجلة وانتشارها أمانة أخلاقية قبل أن تكون واجباً مهنيّاً، تحملها هيئة التحرير، سواء الحالية أم من سـيكلف بها لاحقاً، نتمنى؛ لأن في نفوسنا بقايا أمل.

إن رئاسة التحرير التي تكفلت المجلة منذ عددها الأول لغاية عددها الحالي؛ وإذ تقارق إدارتها من أجل التفرغ العلمي، تتقدم بالشكر والتحية لكل الباحثين والمحكمين الذين كانوا وراء الإدامة المادية لاستمرارية الصدور، ولكل العاملين المساهمين من أجل ذلك، سيما مستشار التحرير الدكتور علي عبد الكاظم الفتلاوي الذي ساهم رأياً وإخراجاً وتنفيذاً في إدامتها، متمنين النجاح والتوفيق للجميع، ولهئية التحرير المكلفة بأكمال مسيرتها.

د. عويدات حسين بالحاج

رئيس التحرير

اقتصاديات الإعلام: رؤية معرفية تفاعلية

د. علي المنتصر فرفر

كلية الفنون والإعلام - جامعة طرابلس

اقتصاديات الإعلام: رؤية معرفية تفاعلية

د. علي المنتصر فرفر

كلية الفنون والإعلام - جامعة طرابلس

أولا/ مدخل:

منذ العام 1910 لاحظ عالم الاجتماع الألماني المعروف (ماكس فيبر) . الذي كان أيضا عالما في مجال الاقتصاد الوطني . أن الحديث عن أوضاع الصحافة في المجتمع لا يمكن له أن ينفصل عن التطور الرأسمالي وتأثيره على الصحافة بشكل عام وعلى دورها في تشكيل الرأي العام خصوصا. (1)

وبطبيعة الحال كان ماكس فيبر يتحدث عن الصحافة تحديدا باعتبارها الوسيلة الإعلامية السائدة آنذاك؛ لأن الإذاعة والتلفاز وباقي الوسائل الإعلامية الحديثة لم تكن قد اخترعت بعد. لكن ما طرحه (ماكس فيبر) منذ أكثر من قرن من الزمان لا يزال يلقي بظلاله اليوم على الواقع الإعلامي المعاصر في مختلف مجالاته ، بل وبشكل أكثر شدة وإلحاحا؛ الأمر الذي لابد له أن يقودنا الى طرح التساؤل الرئيسي عن طبيعة العلاقة بين علمي الاقتصاد والإعلام وما يعنيه المزيج المعرفي لمفهوم اقتصاديات الإعلام والآثار المعرفية والاجتماعية المترتبة على مثل هذا الربط بين علمين أساسيين في حياة كل المجتمعات، أي مجالي الاقتصاد والإعلام.

بيد أن دارسي علوم الإعلام والاتصال يدركون بوضوح أن مثل هذا المزيج المعرفي بين الاقتصاد والإعلام لا يقتصر على هاذين الفرعين الأساسيين من فروع المعرفة؛ بل يمتد الى أنماط أخرى من الربط الذي يمزج بين الإعلام وعلوم اجتماعية أخرى مثلما يتضح في المواد التخصصية المركبة التي تدرس في مختلف كليات الإعلام ومعاهده والتي تتضمن علم اجتماع الإعلام، وعلم النفس الإعلامي، وأنثروبولوجيا الإعلام، وتشريعات الإعلام، وتاريخ الإعلام، وفلسفة الإعلام. لقد عبر الباحث الأمريكي (بيسلي) (2) عن ذلك بقوله إن الدارس في علم الإعلام كثيرا ما يتوجب عليه أن يبحر أفقيا في دراسة علوم أخرى ترتبط بالإعلام حتى عندما يعمد الى الإبحار عموديا في التخصصات الداخلية لعلوم الإعلام والاتصال مثل دراسات الصحافة والإذاعة والعلاقات العامة، وهو ما قد يشكل مصدر تساؤل وقلق للدارسين المبتدئين الذين يحاولون أن يفهموا طبيعة هذا المزج بين التخصص الإعلامي الذي اختاروه مجالا

لدراساتهم، وتخصصات أخرى من خارج هذا المجال؛ إذ قد يعتبره بعضهم عبئاً لا مبرر له، بينما قد يعتبره البعض الآخر إثراءً مفيداً لحقل الإعلام، رغم العبء الإضافي الذي يشكله على الدارسين في مجال الإعلام، وذلك على العكس من الدراسات العلمية في التخصصات المعرفية الأخرى الأكثر رسوخاً مثل الطب والهندسة والاقتصاد والقانون، وهي التخصصات التي تتضمن تفرعاتها الداخلية وموادها الدراسية مسميات ثابتة نسبياً مهما اختلفت الجامعات والثقافات.

لقد أصبح هذا التوجه الأفقي المازج بين علوم الإعلام والاتصال وعلوم أخرى قدراً مقدوراً لدارسي الإعلام وذلك في ضوء حداثة حقل الإعلام الذي أخذ يترسخ تدريجياً كتخصص علمي مستقل منذ الفترة التي شهدت نهاية الحرب العالمية الثانية؛ حيث كان رواده الأوائل باحثين من حقول علمية أخرى؛ إذ يكفي أن يعرف الطالب المبتدئ في دراسة الإعلام مثلاً أن (ماكس فيبر) الذي كان أول من تحدث بشكل واضح عن مفهوم اقتصاديات الإعلام كان عالم اجتماع واقتصاد، وأن (لاسويل) كان اختصاصياً في العلوم السياسية، و(شانون وويفر) كانا مهندسين للاتصالات، وأن (لازرزفيلد) كان اختصاصياً في الرياضيات مثلما كان (كورت ليفين) مختصاً في علم النفس الاجتماعي و(شرام) مختصاً في علوم التربية، ويمكن تتبع المزيد من سلسلة التخصصات الأصلية لمثل هؤلاء الرواد في الدراسات الإعلامية. يضاف إلى ذلك بطبيعة الحال أن الظواهر الإعلامية في أغلبها تتسم بارتباطها الشديد بظواهر أخرى في مجالات السياسة والقانون والاقتصاد والاجتماع وعلم النفس وعلم التاريخ والفلسفة وغيرها؛ الأمر الذي يحتم على دارسي الظواهر الإعلامية مثل هذا التداخل التخصصي من أجل محاولة إيجاد تفسيرات وفهم أفضل لهذه الظواهر، وبالتالي الوصول إلى أساليب أفضل للتعامل معها وتسخيرها إيجابياً لخدمة الفرد والمجتمع.

بيد أن منهجية تداخل العلوم السائدة في دراسات الإعلام والاتصال تحتاج إلى تأطير نظري ومنهجي من أجل عدم الانزلاق في خطأ اعتبار بعض هذه العلوم مفسّرة (أي الأساس أو المتغير المستقل) بينما تكون هناك علوم أخرى مفسّرة (أي أنها الانعكاس أو المتغير التابع)، وهو الإجراء الذي يجعل التفسير العلمي أحادي المنبع والاتجاه، وهو موقف غير علمي بكل المقاييس العلمية والمنطقية؛ لأن منهجية تداخل العلوم أو تفاعلها أو تضافرها (interdisciplinary) أو (multidisciplinary) من أجل تفسير ظاهرة ما لا يعني أولوية إحداها على الأخرى، ولا يعني مطلقاً وضعها في شكل هرمي تشكل فيه بعض العلوم قاعدة الهرم، بينما تكون علوم أخرى مجرد انبعاثات أو تفرعات من تلك العلوم الأساسية التي قد توصف خطأ بأنها تمثل البنية الأساسية في قاعدة الهرم، وهو المنزلق الذي وقع فيه باحثون ومنظرون مثل (كارل ماركس) الذي حاول أن يجعل الاقتصاد أساس كل شيء، أو المحاولات التي عمد إليها (أوجست كومت) لجعل علم الاجتماع ملكاً لكل العلوم الأخرى، أو المحاولات

المتعددة لبعض الفلاسفة باعتبار الفلسفة أم العلوم وأنها قمة في بناء لا ينتهي، الى غير ذلك من الرؤى أحادية التوجه القائمة على التحزب العلمي والمعرفي غير المنطقي وغير المبرر. (3)

وهكذا نجد أن المهتمين باستقلالية الفروع العلمية المختلفة يركزون دوماً على مبدأ "التعايش" فيما بينها؛ بمعنى أن يهتم كل واحد منها بالظواهر الأساسية لمجاله، بينما ينزع المهتمون بالتفاعل بين هذه الفروع العلمية الى التركيز على مبدأ "التعاون" بينها، باعتبار أن العلم البشري بمختلف الظواهر واحد مهما تنوعت المجالات والاختصاصات وتعددت. معنى ذلك أن احترام استقلالية العلوم هو الأساس وليس محاولة دمجها أو صهرها لأن الفائدة المتوقعة من تعدد الرؤى والمناهج العلمية أفضل بكثير من إخضاعها لمنطق بحثي أو نظري أو فلسفي موحد مهما بدت ايجابية هذا المنطق. يضاف الى ذلك أن التنافس والاختلاف النظري والمنهجي بين تلك العلوم يجعل أي محاولة قسرية لإخضاعها لمنطق واحد محكومة بالفشل. إننا نعلم مثلاً أن علم الاقتصاد يقوم على مبدأ الندرة، وهي التي تجعل الطلب على السلع والخدمات ممكناً، وهي التي تحدد السعر؛ لكننا نعلم كذلك أن مسألة الندرة لا ترتبط فقط بالكميات الموضوعية الموجودة من السلع، ولكنها ترتبط أيضاً بالعوامل النفسية التي تجعل شعور الأفراد بأن سلعة ما أصبحت نادرة أو يحتمل أن تكون كذلك، عاملاً أساسياً في زيادة الطلب على هذه السلعة، وبالتالي احتمال زيادة سعرها حتى ولو كان المعروض منها متوفراً بكميات موضوعية كافية. كل ذلك يدل على أهمية تضافر العلوم وتعاضدها في تفسير الظواهر وفهمها والتحكم فيها بما يفيد في تطوير حياة البشر.

ثانياً/ وسائل الإعلام والسلع الاقتصادية:

لعل أبرز النتائج المترتبة على ذلك الربط بين الإعلام والاقتصاد مسألة تحديد ماهية السلع الاقتصادية في الإعلام: هل الإعلام يوفر سلعا أم خدمات أم الاثنين معا ؟ وإذا كانت السلع الاقتصادية عموماً تتسم بوجود طلب عليها في ظل ندرتها النسبية وقدرتها على إشباع الحاجات؛ فإن السلع الإعلامية تتسم بأنها قائمة على مبدأ الثقة لأنها غير قابلة للاختبار القبلي أو المسبق مثل باقي السلع الاقتصادية، كما أنها قابلة للانتقال من مستهلك الى آخر دون أن تفنى بسبب استهلاكها، مثلما أن أصل السلعة الإعلامية صحيفة كانت أو برنامجاً إذاعياً أو شريطاً سينمائياً يظل مع المرسل أو المنتج بينما يكتفي المستقبل أو المستهلك بالصورة التي يستلمها في مراكز التوزيع أو عبر الأثير أو على الشاشات. ومن جهة أخرى يوفر الإعلام خدمات عامة شأنها شأن التعليم مثلاً، وهي في ذاتها غير قابلة للتخزين أو التوريث أو أن يتنازل عنها شخص لمصلحة شخص آخر. (4)

كل ذلك يزيد من تعقيد مسألة الربط بين الإعلام باعتباره في أغلبه خدمة، والاقتصاد باعتباره نشاطا يقوم على الإنتاج والتبادل السلعي؛ لكن الضغط الرأسمالي الذي تحدث عنه (ماكس فيبر) خلال مرحلة بدايات الرأسمالية أنتج تحولا كبيرا في الفهم الاقتصادي للإعلام، حيث أصبحت التراخيص الخاصة بإنشاء المشروعات الإعلامية سلعا، مثلما أصبحت ترددات البث الإذاعي سلعا، وحقوق البث الإذاعي للنشاطات الرياضية مثلا سلعا، والعلامات التجارية للمؤسسات الإعلامية وغير الإعلامية سلعا، لكن التطور الأبرز في هذا الاتجاه هو تحول الانتباه البشري للوسائل والرسائل الإعلامية الى سلعة، خاصة في ظل ما أكدته كثير من الدراسات أن الانفجار المعرفي والمعلوماتي الذي ترتب على التطورات التقنية الهائلة في مجال الإعلام والاتصال المرتبط بالكم الهائل من الفضائيات والمطبوعات والمواقع الالكترونية على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) جعل إمكانية شد انتباه الناس لمختلف الوسائل والرسائل الإعلامية قليلة جدا ناهيك عن فهمها والاقتناع بها وترجمة ما يرد فيها الى سلوك عملي ملموس ومستمر. (5)

ومثلما هو الحال بالنسبة للسلع الاقتصادية البحتة، فإن أهمية السلع الإعلامية أيضا لا تكتسب فقط من نوع السلعة ومواصفاتها ومدى جودتها، بل أيضا من خلال طبيعة المؤسسات التي تنتجها؛ فالسلعة التي تنتجها شركة عريقة تتمتع بصورة ذهنية جيدة لدى المستهلكين تكون عادة أكثر سعرا، وأكثر قبولا، وأكثر قدرة على المنافسة؛ مما يعني أن المؤسسات الإعلامية القوية تكون أكثر قدرة على توفير السلع الإخبارية غالية الثمن. يضاف الى ذلك أن السلع الإخبارية . رغم عدم فنائها بالاستهلاك . فإن دورة السعر والأهمية تمر عادة بثلاث مراحل أساسية: سعر واهتمام منخفضان نسبيا في البداية عندما يتعلق الأمر بتسريبات أو تكهنات أو معلومات خام حول مسألة ما، ثم سرعان ما يبلغ الاهتمام والسعر الذروة خلال ما يعرف بال لحظة الخطابية، وهي لحظة تحول التكهات والتسريبات الى معلومات حقيقية ذات صدق شعبي واسع، وأخيرا تأتي المرحلة الثالثة، وهي مرحلة تقلص الاهتمام، وبالتالي انخفاض السعر فيما يختص بهذه المسألة. لكن هذا المنطق يتعلق فقط بالسلع الإخبارية؛ لأن السلع الإعلامية الأخرى ذات الطبيعة الترفيهية مثلا لا تتأثر كثيرا باعتبارات الزمن، رغم أنها هي الأخرى ترتبط بالتغيرات في أذواق وثقافات المستقبلين، لكن المدى الزمني لهذه التغيرات كبير ولا يمكن له أن يقارن بالسلع الإخبارية، حيث أنه ليس هناك أقدم من جريدة الأمس، كما يقولون. (6)

وفي كل الأحوال، لابد من إيراد مسألتين مهمتين إضافيتين بخصوص السلع الإعلامية: الأولى، أن المؤسسات الإعلامية ذات العلاقة المباشرة بالجمهور لا تتحكم في أسعار السلع الإخبارية التي لا تنتجها، ولكنها تقبل عادة بالسعر الذي تحدده الوكالات العاملة في مجال الأخبار والصور؛ والثانية، أنه لا يجب فصل المظهر الإعلامي عن المظهر الاقتصادي للسلع

الإعلامية، لأن هذه السلع تتسم بكونها سلعا اقتصادية من جهة، وسلعا ذات طبيعة عامة؛ أي تستهلك في إطار شرح القضايا وتفسيرها وتشكيل رأي عام حولها من جهة ثانية وذلك بما يمكن من تكوين رأسمال اجتماعي عام لمستهلكي هذه السلع الإخبارية وفق ما كان يشير اليه كثيرا عالم الاجتماع الفرنسي (بيير بورديو)، الذي كان ينتقد بشدة نزعة كثير من الاقتصاديين "الأصوليين" الذين كثيرا ما يعمدون خطأ الى تفسير كل شيء في إطار اقتصادي بحت، ويتوهمون أن كل رأسمال موجود ليس سوى رأسمال اقتصادي متناسين الرأسمال الاجتماعي والرأسمال الثقافي والرأسمال الدلالي المتعلق باللغة والمعاني.

وفي هذا السياق يلاحظ (بورديو) أنه رغم . أو ربما بسبب . طغيان السلع الإعلامية الإخبارية السريعة التي تأتي متناثرة بلا رابط ولا سياق، تصبح سلعة اجتماعية مهمة أخرى وهي الرأي الشخصي منعدمة أو تكاد، وهو ما يؤثر سلبا على كل المحاولات الرامية لتأسيس بنیان اجتماعي وسياسي واقتصادي قائم على تعدد الآراء وتفاعلها وفق ما عبر عنه التيار الفكري الأمريكي منذ فترة طويلة بالسوق الحرة للآراء والأفكار والمعلومات. (7)

لقد جاءت المحكمة العليا الأمريكية خلال أحد أحكامها المتعلقة بإحدى القضايا الإعلامية بتعريف قانوني لهذه السوق الحرة للأفكار والمعلومات، وقالت أنها تشمل النشاط الإذاعي، ونشاطات المجتمعات المحلية، والاتصال التجاري، والنظام البريدي، وقاعات الدراسة، والمكتبات والمعارض، والمؤتمرات العلمية، والإعتصامات. لكنه مثلما يلاحظ الباحث الأمريكي (وات هوبكينز) فإن هذا التعريف يحتوي على افتراضات أساسية خاطئة وهي: (أ) أن كل إنسان يمكنه الدخول الى هذه السوق "الحرة"؛ (ب) إن الحقيقة مسألة موضوعية يمكن اكتشافها واختيارها أو تشكيلها من خلال هذه السوق؛ (ج) إن الحقيقة توجد بالضرورة ضمن الآراء والأفكار والمعلومات التي تزخر بها السوق، وأنها قابلة للبقاء والصمود داخل تلك السوق؛ (د) إن البشر عقلانيون في الأساس وقادرون على إدراك الحقيقة وسط الكم الهائل والمتنوع من الآراء والأفكار والمعلومات. (8)

ثالثا/ اللاعبين الأساسيون في العملية الاقتصادية الإعلامية:

كان العرف السائد في زمن مضى أن إطلاق أي مشروع إعلامي جديد يتطلب بالدرجة الأولى إعداد كميات كبيرة نسبيا من المضامين الإعلامية التي لا ترتبط بالضرورة بأحداث أو وقائع زمنية، من أجل أن يتمكن ذلك المشروع الحديث الولادة أن يستخدم هذه المادة خلال الشهور الأولى من عمره، إضافة الى الأخبار والشئون الآتية المرتبطة بمواعيد الصدور أو البث، وتستمر حركة الإنتاج فيما بعد بشكل اعتيادي يحافظ فيه دوما على رصيد من المواد غير المستهلكة؛ أي تلك التي لم تنتشر أو تبث. ذاك الأمر كان الهاجس الأساسي للمشروعات

الإعلامية حديثة التدشين، ومن هنا كانت المهمة الأولى هي البحث عن الكتاب والمؤلفين والمبتكرين والمنتجين لغرض توفير احتياطي كافٍ من المواد الإعلامية صحفية كانت أم إذاعية. لكن الذي يحدث الآن في ظل الضغوط والهواجس الاقتصادية للمشروعات الإعلامية المبتكرة وغير المبتكرة هو البحث عن المعلنين والممولين أولاً وقبل كل شيء بحيث تأتي مسألة توفير المضامين الإعلامية في فترة لاحقة؛ أي بعد أن يتم ضمان الحياة الاقتصادية للمشروع الإعلامي، وقد كان هذا هو السبب وراء ما لاحظته أحد المعلقين الأمريكيين بقوله: "بدأت أغلب صحفنا بأشخاص لديهم ما يريدون قوله، ولكنها انتهت بأيدي أشخاص لديهم ما يريدون بيعه." أما حفيد أحد الناشرين الأمريكيين للصحف فقد ذكر ساخراً: "لو كان جدي يعلم أن هذه الصحف التي ورثها عنه قادرة على أن تدر كل تلك الكميات الهائلة من الأموال، لما كان قد مات على الإطلاق!" (9)

كل ذلك يؤكد صدق التشخيص الذي قدمه (ماكس فيبر) منذ العام 1910 لمسألة الأبعاد والشروط الاقتصادية للمشروعات الإعلامية. لكن ما لم يتناوله . أو ربما ما لم يتوقعه . (ماكس فيبر) هو حجم الشبكات الاقتصادية المرتبطة بالعمل الإعلامي المعاصر؛ ذلك أن المشروع الاقتصادي الإعلامي لم يعد يقتصر على ممول وكاتب وناشر وقارئ، بل امتد الأمر إلى عدة عناصر أساسية يمثلون اللاعبين الأساسيين في ميدان النشاط الاقتصادي الإعلامي أجملهم الباحث (تورو) في العناصر الآتية: (10)

- 1- المنتجون، ويشمل هذا العنصر المنتجين الأفراد وشركات الإنتاج وهؤلاء جميعاً يمتلكون السيطرة على المضمون الإعلامي والأفكار والآراء والمعلومات الأساسية التي يتضمنها.
- 2- السلطات السياسية، وهي التي تملك القوة السياسية والأمنية التي تقوم من خلالها باستصدار التراخيص والتشريعات واللوائح والأوامر الإدارية وتسخير أجهزة الضبط القضائية من أجل السيطرة على الأوضاع الإعلامية في البلاد.
- 3- المستثمرون، وهي الجهة التي تقوم بضخ رأس المال الاقتصادي اللازم لتسيير المشروع في مختلف جوانب نشاطه.
- 4- المعلنون، وهم أيضاً معنيون بتوفير الدخل الضروري من الإعلانات، وهو الدخل الذي يسهم بدرجة كبيرة في تغطية نسبة مرتفعة من نفقات التشغيل والإنتاج وتحقيق هامش ربحي للمؤسسة.
- 5- الوسطاء التقنيون، وتشمل هذه الفئة شركات الأقمار الصناعية، وعمليات تأجير الاستوديوهات أو المعدات الإلكترونية، وخدمات الطباعة، وبكل تأكيد فإن الخدمات

التي تقدمها أو ترفض تقديمها عناصر هذه الفئة تلعب دورا حاسما في تشكيل الأوضاع الاقتصادية للمشروعات الإعلامية.

6- المبتكرون والمصممون، وعناصر هذه الفئة يتمثل دورهم في توفير تصورات وتصميمات وابتكارات لبرامج إعلامية ومواد إعلامية جديدة، وهو دور فاعل سواء كان ذلك من خلال التعاون المباشر مع المؤسسة الإعلامية أو من خلال التعاون مع شركات الإنتاج الإعلامي التي توفر المادة الإعلامية التي تباع للوسائل الإعلامية.

7- الاتحادات والروابط المهنية، وتختص بمسألة حماية حقوق الإعلاميين المنتمين إليها، كما أن التهديد بالإضراب عن العمل، أو الإضراب الفعلي عنه يمثلان أداة قوية للتأثير على الأوضاع الاقتصادية للمشروعات الإعلامية.

8- الموزعون، ويتمثل دور هذه الفئة في توزيع المواد الإعلامية التي تنتجها مختلف المؤسسات الإعلامية، وبالتالي التحكم في مسألة وصول الناتج الإعلامي الى الجمهور، ويندرج تحت هذه الفئة شركات توزيع المطبوعات، وشركات توزيع الأفلام ودور النشر.

9- المعارضون، وهذه الفئة مرتبطة بشكل وثيق بفئة الموزعين؛ ذلك أن معارض الكتاب مثلا وغيرها من أساليب عرض المواد الإعلامية وغير الإعلامية التي يتم إنتاجها تؤثر بشكل كبير في مدى معرفة الجمهور العام أو الخاص بها ووصولها اليه.

10- المؤسسات المفصلية، وهي تلك التي تتسم بتعدد علاقاتها وتنوعها، وهي تربط بين عدد من العناصر الاقتصادية الإعلامية المشار إليها هنا، ويندرج ضمنها وكالات الأنباء وشركات العلاقات العامة، ويكمن دورها الأساس في أنها ترتبط بحلقات وصل كثيرة مع السلطات السياسية والمنتجين والمستثمرين والمعلنين، وأغلب العناصر الاقتصادية الإعلامية المشار إليها في هذا السياق.

وعلى الرغم من اتضاح دور وكالات الأنباء ووكالات الصور الثابتة والفيديو، فإن دور شركات العلاقات العامة أصبح محوريا باعتبار أن أعداد العاملين فيها أصبح يزيد كثيرا عن عدد الإعلاميين في كثير من البلدان الصناعية، وأن عملها الإعلامي أصبح يخترق العمل الإعلامي التقليدي لأن وظيفتها امتدت الى العمل على إعداد المواد الإعلامية بأقصى قدر ممكن من المهنية من أجل سهولة استخدامها في المضمون الإعلامي لمختلف الوسائل الإعلامية وخاصة تلك التي تقتصر الى الكوادر المهنية اللازمة لإعداد المحتوى الإعلامي الخاص بها، وهي تطورات قادت بعض الباحثين الى اعتبار العلاقات العامة سلطة خامسة تضاف الى السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية والإعلامية رغم أن هناك من يرى أن منظمات المجتمع المدني هي التي

أصبحت بحكم دورها المتنامي . السلطة الخامسة في المجتمعات؛ لكنه بغض النظر عن الأشكال التراتبية لهذه السلطات فإن هناك اتفاقاً على أهميتها ومحورية الدور الذي تضطلع به في مختلف المجتمعات.

11-المستهلكون، وتشمل الشركات الاستشارية في مختلف المجالات ذات العلاقة بالعمل الإعلامي، ومكاتب المحاماة وكتاب السيناريو وغير ذلك من العناصر التي لها دور كبير في التأثير على الأوضاع الاقتصادية للمشروعات الإعلامية.

12-جماعات الضغط الاجتماعي، ويقصد بها تلك الجماعات غير المؤطرة في تنظيمات رسمية، ولكنها قادرة على لفت انتباه السلطات لمختلف القضايا ذات العلاقة بالنشاط الإعلامي، وكذا ممارسة الضغوط المعنوية من أجل توفير ناتج إعلامي أفضل ويشمل ذلك ما يوجد في بعض البلدان الأوروبية من مجالس ممثلي المستمعين والمشاهدين في مؤسسات الإذاعة القائمة وفق نظام الخدمة العامة، والتي تتولى الاهتمام بمسألة مراعاة عدم طغيان الإعلانات التجارية أو برامج العنف وزيادة البرامج ذات المحتوى الثقافي وبرامج المرأة والأطفال والأقليات... الخ.

13-الجمهور العام، وهو الذي يمثل الهدف النهائي الذي يسعى جميع اللاعبين السابقين للتأثير في انتباهه وفهمه ورغباته وسلوكه، سواء أكان ذلك بشكله الكلي أو على هيئة جماهير فرعية يتم استهدافها عادة بشكل خاص من قبل أصحاب المشاريع الإعلامية أو المنتجين أو المعلنين. ولعل الدور الأساس للجمهور العام يتمثل في قبول الوسائل والرسائل الإعلامية أو عدم قبولها من حيث التعرض والتأثر سواءً بسواء.

وكما يلاحظ الباحث (جوزيف تورو) فإن جميع هؤلاء اللاعبين باستثناء المبتكرين وأفراد الجمهور ينضوون عادة داخل هياكل ومؤسسات ولا يتعاملون مع البيئة الاقتصادية الإعلامية كأفراد، وهو ما يجعل موقفهم أقوى تأثيراً في العلاقات الاقتصادية الإعلامية من باقي العناصر الأخرى؛ بيد أن انبثاق منظمات المجتمع المدني وتنامي دورها قابل نسبياً لتطوير قدرات الجمهور العام على ممارسة دور أكثر فاعلية وتأثيراً. ولعل حادثة مقاطعة القراء لصحيفة (The Sun) اللندنية عام 1989، بل وإقدامهم على إحراقها في الشوارع والميادين بسبب تحيزاتها ضد الجمهور العام أثناء تغطيتها لأحداث الشغب التي صاحبت مباراة في كرة القدم كانت دليلاً على مدى قدرة الجمهور العام في مقابل وسائل الإعلام. (11)

رابعاً/ الإعلام كميدان للتنافس الاقتصادي:

التنافس كمبدأ يمثل آلية استكشاف مهمة يستطيع من خلالها الأفراد اختيار القادة سياسياً، واختيار السلع والخدمات اقتصادياً، واختيار الآراء والأفكار والمعلومات إعلامياً وثقافياً؛

ذلك أنه بدون التنافس لن يكون هناك مجال حقيقي لممارسة واعية لعمليات الفرز والتمحيص والمقارنة التي هي أساس مبدأ الاختيار الحر بين البدائل المتاحة أمام الأفراد والجماعات بغية الوصول الى الأفضل والأمثل. ولقد أكد القرآن الكريم على هذا المبدأ في قوله تعالى: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ وفي قوله أيضا: ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة...﴾ (12)

وفي مجال الإعلام نجد مبدأ المنافسة قائما بين المؤسسات الاقتصادية الإعلامية، مثلما يتنافس المسوقون من مختلف القطاعات الاقتصادية والخدمية عبر مضمونها الإعلاني من أجل إبراز سلعهم وخدماتهم. ومثلما سبق القول، فإن عصر الانفجار المعلوماتي جعل السلعة الأهم والأكثر قيمة هي شد انتباه الناس لشكل وسائل الإعلام والثقافة ومضمونها، وللبيع والخدمات التي يعلن عنها عبر هذه الوسائل؛ إذ ما لم يتحقق هذا الانتباه تكون عمليات الاهتمام والرغبة والممارسة الفعلية لعمليات التعرض لوسائل الإعلام والتأثر بمضمونها غير ممكنة على الإطلاق.

لكن الإشكال الأساسي في فهم عمليات التنافس يتمثل في الواقع الانشطاري للعلوم؛ ففي حين ينظر الاقتصاديون الى الإنسان على أنه كائن عقلاني يوازن بين مختلف البدائل ويختار بينها، تنظر علوم أخرى مثل علم الاجتماع وعلم النفس لنفس الإنسان على أنه كائن محكوم في خياراته واختياراته بقوى اجتماعية ونفسية مثل القيم والمشاعر. (13) وهنا تتأتى المهمة المعرفية الأساسية في ضرورة الموائمة والتوفيق بين هاذين الموقفين اللذين يبدوان متناقضين، وهو ما عمد اليه (توماس هوبز) منذ أمد بعيد عندما أشار الى أن حرية الإرادة للفرد لا تتناقض مع مبدأ كونها محكومة بمسببات مختلفة، لأن حرية الإرادة تعني في المقام الأول والأخير غياب الإكراه على تبني أفكار أو آراء أو سلوكيات معينة. (14)

لكن الإكراه لا يعني بالضرورة الإكراه القسري الموجه بشكل مباشر للفكر أو السلوك البشري؛ لأن الترتيبات الهيكلية السائدة قد تكون مصدرا هاما لمثل هذا الإكراه، سواء في الإطار السياسي أو القانوني أو الاقتصادي أو غير ذلك مما يعرقل أو يعطل ولو مؤقتا حركة التبادل الاقتصادي القائمة على المنافسة "الحرّة" بين مختلف الفعاليات الاقتصادية. ذلك هو ما عبر عنه الاقتصادي الكندي (ميل واتكنز) بقوله: "إننا في بلاد الغرب نمتلك حرية الاختيار بين 51 نوعا من الجعة، ولكننا لا نمتلك سوى خيار واحد حول كيفية تنظيم حياتنا الاقتصادية" (15) وهو ما يعني عمليا أن التنافس الاقتصادي لا يصبح ممكنا إلا في ظل العبودية لهيكل ونظام اقتصادي واحد تكون السيطرة فيه للأقوى اقتصاديا وليس بالضرورة للأصلح؛ وذلك هو ما حذر منه مؤسس النظام الرأسمالي (آدم سميث) منذ أمد بعيد عندما أشار الى أن حكومة التجار هي أسوأ أنواع الحكومات لأنها تضرب عرض الحائط بالمصالح المجتمعية. (16)

وفي خضم التنافس الاقتصادي الحاد للمشروعات جاء سعي هذه المشروعات الى محاولة ترسيخ أقدامها في السوق الحرة للإعلام من خلال أسلوبين اقتصاديين هما: اقتصاديات الحجم (economies of scale) وهي التي تتمثل في زيادة حصة المشروع داخل السوق من خلال زيادة الكميات المنتجة، وهو ما يترتب عليه تخفيض سعر الوحدات المنتجة، مما يعني زيادة الإقبال عليها وزيادة هامش الربح؛ ذلك أن الصحيفة التي توزع عشرة آلاف نسخة مثلاً تكون تكاليف إنتاج النسخة الواحدة منها أكبر بكثير من إنتاج نصف مليون نسخة من نفس الصحيفة لأن عملية الإنتاج واحدة في الحالين والفرق الأساس في الإنتاج الإضافي يتمثل في سعر الورق والأحبار.

وإضافة الى هذا النهج الاقتصادي، هناك ما يعرف باقتصاديات النوع (economies of scope) والذي يعني تأسيس أنشطة اقتصادية أخرى مصاحبة للمشروع الإعلامي، ويشمل ذلك تأسيس مشروعات إعلامية وغير إعلامية مثلما عمدت شركة ديزني للأفلام الى مد نشاطها من الأفلام السينمائية لكي يشمل إنشاء قناة تلفاز ونشر الكتب وتوزيع الموسيقى وتطوير الفنادق وإقامة العروض المسرحية، وإنشاء مدينة ديزني. (17)

وفي شأن مماثل ذكر مؤسس شبكة (سي إن إن) الإخبارية (تيد تيرنر) انه من أجل تطوير الفاعلية الاقتصادية لهذا المشروع، فإن الشبكة عمدت الى التعامل مع الأخبار التي تجمعها مثلما تتعامل مزارع الدجاج الحديثة مع الدجاج؛ حيث أنها تباع اللحم للزبائن، وتبيع الريش لصانعي الوسائد والحشايا، وتبيع الأرجل لشركات إنتاج الأسمدة، وتبيع الأمعاء لاستخدامها في تصنيع طعام الكلاب المفضل، بحيث لا يهدر أي جزء من الدجاجة؛ وعلى نفس المنوال تبث محطة (سي إن إن) البرامج الإخبارية للمشاهدين، وتبيع الأخبار ذات الطبيعة الخاصة للأجهزة الحكومية والأمنية، كما تباع للشركات السياحية أخبار الطقس والمواد الإعلامية حول مختلف المناطق السياحية، وهكذا. (18)

ورغم كل الحديث عن أهمية التنافس في مختلف المجالات، فإن النتائج التي ترتبت على التنافس الاقتصادي المعاصر، والتي قادت في أغلبها الى بروز أشكال عدة من التركيز والاحتكار، تتناقض أساساً مع المبدأ الأساسي لاقتصاد السوق وهو حرية المنافسة. كل تلك التطورات قادت الى طرح تساؤلات عدة حول الأسباب الكامنة وراء مثل تلك "التشوهات"، رغم أن التاريخ الاقتصادي لم يشهد بروز مثل تلك المظاهر الاحتكارية في الصين القديمة أو في بلدان العالم الإسلامي التي شهدت نمواً هائلاً لحجم التجارة بها. (19) هذا المظهر الاقتصادي الجديد قاد الى كثير من التأملات والدراسات الناقدة لعمليات التركيز والاندماج، وطغيان العامل الاقتصادي على كثير من المجالات الحياتية الأخرى مثل السياسة والإعلام والفن والرياضة

مثلما يظهر في عناوين المؤلفات التي تتحدث عن "إرهاب الاقتصاد"، "أزمة الرؤيا في الفكر الاقتصادي الحديث"، "إعلام بلا ديمقراطية"، "الإعلام المقاد اقتصاديا"... الخ. (20)

ولعل أبرز الهواجس التي تتناب الكثيرين حول الأوضاع الاقتصادية تتمثل في تقلص عدد المنابر الإعلامية سواء كانت صحفاً أو قنوات إذاعية أو شركات إنتاج سينمائية بسبب عدم قدرة بعضها على الصمود في وجه المنافسة الاقتصادية للشركات الإعلامية الكبرى من جهة وبسبب عمليات الاندماج الاقتصادي بين كثير من تلك المنابر من جهة ثانية؛ فإذا كانت ضغوط المنافسة الاقتصادية تدفع ببعض المنابر إلى الانزواء والاختفاء، فإن نفس تلك الضغوط تدفع ببعضها الآخر إلى الاندماج مع غيرها من أجل تقوية مركزها التنافسي. وفي هذا المجال يميز الباحثون في اقتصاديات الإعلام بين خمسة أنواع أساسية من التركيز:

1- التركيز الأفقي، والذي يعني مثلاً أن تندمج صحيفة مع صحيفة أخرى أو محطة إذاعية مع محطة إذاعية أخرى، مثلما يندمج مصرف مع مصرف آخر أو شركة تأمين مع شركة تأمين أخرى.

2- التركيز العمودي الهابط الذي يحدث مثلاً عندما تشتري صحيفة ما المطبعة التي تتولى طباعة تلك الصحيفة أو أن تشتري شركة الإنتاج السينمائي شركة توزيع الأفلام التي تقوم بتوزيع الأفلام التي تنتجها.

3- التركيز العمودي الصاعد، وهو عكس النوع السابق من التركيز؛ إذ يحدث مثلاً أن تشتري شركة المطابع الصحيفة التي تتولى طباعتها أو أن تشتري شركة توزيع الأفلام الشركة التي تتولى إنتاجها.

4- التركيز القطري، وهو يرتبط بدخول مؤسسات اقتصادية غير إعلامية على خط الملكية من أجل توسيع نشاطها الاقتصادي بهدف تقوية موقعها التنافسي وزيادة هامش الربح لديها، وهو ما يمكن ملاحظته مثلاً عندما يشتري مصرف ما إحدى الصحف أو أن تشتري قناة إذاعية نادياً رياضياً.

5- التركيز المعولم، وهو يحدث عندما يكون الإنتاج في بلد والاستهلاك في بلد آخر والإدارة في بلد ثالث، أو قيام شركة اقتصادية كبرى على المستوى الدولي بشراء حصص من أسهم شركات إعلامية في بلدان مختلفة، وهو إجراء دأب على ممارسته أباطرة الإعلام الحديث مثل الاسترالي/ الأمريكي (روبرت ميردوخ)، والألماني (ليو كيرخ) والإيطالي (سيلفيو برلسكوني) من أجل تفادي قوانين منع الاحتكار الحكومية من خلال تملك مشروعات إعلامية رئيسية، وتملك حصص متفاوتة النسب في مشروعات إعلامية أخرى في بلدان متعددة. (21)

ولعل أبرز توصيف لمعضلة التنافس الاقتصادي في ظل اقتصاد السوق ما يشار إليه بمعضلة السجينين؛ فإذا تصورنا وجود اثنين من السجناء (س) و (ص) الموقوفين بسبب تهمة ما، فإن الخيارات المتاحة أمامهما يمكن إبرازها في الشكل التالي:

	يعترف	ينفي
يعترف	ص = 10 سنوات سجن ص = 10 سنوات سجن	س = براءة ص = 10 سنوات سجن
ينفي	ص = 10 سنوات سجن ص = براءة	س = 3 شهور سجن ص = 3 شهور سجن

فإذا ما اعترف كلاهما بالتهمة فستكون عقوبة كل واحد منهما السجن لمدة عشر سنوات، وإذا ما اعترف أحدهما ونفى الآخر فإن الذي يعترف سينال عقوبة السجن لعشر سنوات بينما يطلق سراح الثاني، وإذا ما نفى كلاهما التهمة فإن العقوبة ستكون ثلاثة أشهر من السجن لكل واحد منهما. وفي ظل هذه الاحتمالات، فإن أفضل مخرج لكليهما معا هو النفي المشترك للتهمة، إلا أنه بسبب حمى التنافس بينهما لكي يحقق كل واحد منهما لنفسه النجاة بغض النظر عن مصير الآخر، وبسبب عدم توفر المعلومات لدى كل منهما عن مقاصد الآخر فقد ينتهي الأمر إما بالضرر الكبير لكليهما (السجن عشر سنوات لهما)، وإما أن ينجو أحدهما على حساب الآخر (براءة أحدهما وسجن الآخر لعشر سنوات)، وفي كل الحالات تكون المسألة خبط عشواء مفتوحة على كل الاحتمالات مثلما يحدث في ألعاب القمار. (22)

لكنه بغض النظر عما يجتهد بشأنه المجتهدون، ويهتم بفهمه المفسرون حول الأسباب التي ربما تقود إلى ما يعتبره منظرو الرأسمالية بأنه "تشوهات" في اقتصاد السوق، فإن العالم يجد نفسه واقعا أمام حالات التنافس الاقتصادي الشديد التي تنتج ظواهر التركيز والاحتكار سواء كانت تلك المظاهر تشوهات في نتائج الفكر الاقتصادي الرأسمالي أو في المقدمات والأسس التي بني عليها من البداية، وبالتالي تجد النظم الاقتصادية الرأسمالية نفسها في مواجهة مع تلك المظاهر والظواهر، الأمر الذي يحتم ضرورة التعامل معها من أجل التخفيف من وطأتها، والتقليل من آثارها السلبية، وهو ما تعكسه الرؤى والسياسات الاقتصادية الإعلامية التي تمارسها بعض الحكومات الغربية مثل سياسات (اقتصاد السوق الاجتماعي) التي تمارس في ألمانيا أو

سياسات الدعم الاقتصادي لوسائل الإعلام التي تمارسها بعض البلدان الغربية أو قوانين منع الاحتكار التي تنتشر في بلدان الغرب الصناعية.

خامسا/ الدولة والإعلام: سياسات الدعم وقوانين منع الاحتكار:

أبرز الباحث (بيتر بروك) هذه المسألة في كتاب ضخّم اختار له العنوان "عندما تدير الدولة قطاع الإعلام: عن محاولات الدولة تحقيق تعدد المنابر الإعلامية، دراسة دولية مقارنة لسياسات الإعلام". (23) أما نقطة الانطلاق الأساسية لهذا الباحث فهي تتعلق بملاحظته أن بؤرة اهتمام الباحثين في مجال الإعلام في السابق تمثلت في نقد التأثيرات القوية لوسائل الإعلام في المجالات السياسية والاجتماعية؛ الأمر الذي أدى إلى قلة الاهتمام بالتأثيرات الاقتصادية المرتبطة بهذه الوسائل؛ حيث اعتبر الكثيرون أن الجانب الاقتصادي للإعلام يخضع تلقائياً لديناميات السوق التي تركز على مدى الفاعلية الاقتصادية للمؤسسات الإعلامية في عالم قائم على مبدأ التنافس الحر القوي بين مختلف اللاعبين الاقتصاديين. أما النتائج الاجتماعية والسياسية لنشاط المؤسسات الإعلامية فقد تم ربطها بالمتغيرات الديموغرافية والسياسية للجمهور. بيد أن هذا الانفصام لا يزال يتضح جلياً في كثير من النظريات والمنهجيات الإعلامية التي تعتبر النشاط الاقتصادي الإعلامي مسألة موضوعية قائمة على تعدد المناشط الإعلامية وتنافسها في مقابل النشاط السياسي والاجتماعي والمعرفي الذي ينظر إليه على أنه مرتبط أساساً بالأفراد والجماعات والمتغيرات الفردية والجماعية التي تحكم رؤاهم وسلوكياتهم. أما التنافس فينظر إليه على أنه أداة تتمتع بالقدرة على "التنظيم الذاتي" داخل السوق الحرة للسلع الاقتصادية مثلاً هو الحال بالنسبة للسوق الحرة للأفكار والآراء والمعلومات، وهو ما يعكس الرؤى الفلسفية التي عبر عنها (آدم سميث) منذ البداية من خلال المفهوم الخيالي الغامض المتعلق بوجود "يد خفية" قادرة على جعل التنافس الاقتصادي قادراً على تنظيم وتصحيح نفسه تلقائياً دون الحاجة إلى تدخل خارجي من الدولة أو المجتمع، وهو ما قاد المفكرين المحافظين والليبراليين على حد سواء إلى إطلاق شعارات مفادها أن أفضل الحكومات هي أقلها حكومة، أي تلك التي لا تتدخل في النشاطات الاقتصادية في المجتمع إلا بقدر ضئيل؛ فهي حكم المباراة الذي يشرف على نشاط المتنافسين، ولا يتدخل إلا عندما تخرق قواعد اللعبة.

وغني عن البيان أن قاعدة اللعبة الاقتصادية في اقتصاديات السوق تتمثل في قدرة السوق الحرة على التنظيم والتصحيح الذاتي بحيث تخفي السلع والخدمات والمؤسسات التي لا تتلائم مع متطلبات السوق بينما تسود السلع والخدمات والمؤسسات التي تتلائم مع هذه المتطلبات؛ أي تلك التي تتمتع بقدرتها على تحقيق هذا التلاؤم. ذاك هو بالضبط ما عبر عنه (داروين) في شعاره الشهير "البقاء للأصلح"؛ أي أنه بغض النظر عن أية اعتبارات معيارية

يسود مبدأ ما هو قادر على البقاء يبقى، وما هو غير قادر على ذلك يزول، وهو ما أدى الى نشوء ما أصبح يعرف فيما بعد "بالداروينية الاجتماعية" التي . قياسا على المبدأ العام الذي أشار اليه (داروين) . فإن الأجناس والأمم والثقافات والحضارات القادرة على البقاء تبقى، بينما تتزوي الأجناس والأمم والثقافات والحضارات الأقل قدرة على الصمود والبقاء . إلى أي مدى ينطبق هذا المبدأ على السلع والخدمات الإعلامية؟ هل يمكن الحديث عن "داروينية إعلامية" تجعل المؤسسات الاقتصادية الإعلامية الأقوى والأقدر سيدة سائدة على حساب المؤسسات الأضعف والأصغر؟ ما هو الموقف الذي يجب أن تتخذه الدولة إزاء مثل هذه التطورات؟ كل هذه التساؤلات يمكن الإجابة عنها على الأقل بطريقتين مختلفتين:

الأولى؛ تتعلق بفكرة التطور الاحيائي التي كانت أساس نظرية (داروين) في النشوء والارتقاء، ومبدأ البقاء للأكثر تلاؤما وتكيفاً مع البيئة الخارجية المحيطة، وهو المعنى المقصود في الأصل الأنجلزي لمبدأ "Survival for the fittest" أي أن الفكرة ليست معيارية كما يعبر عنها في الترجمة العربية على أنها البقاء للأصلح؛ ولكن المقصود أساسا هو البقاء لمن يستطيع البقاء بغض النظر عن كونه الأصلح أو الأسوأ.

أما الطريقة الثانية في الإجابة عن التساؤلات المشار إليها آنفا فهي تتمثل في المنهج المعياري الذي ينظر الى السلع الإعلامية والثقافية على أنها ذات قيمة اجتماعية "meritorious goods" بمعنى أنها سلع تستحق لأسباب معيارية، نفعية كانت أم أخلاقية، أن تكون محل اهتمام وتمييز وتقدير، والسؤال الآن هو كيف تعاملت مختلف الأنظمة السياسية القائمة مع السلع والخدمات الاقتصادية الإعلامية ؟ ومرة أخرى نصادف مستويين من الإجابة:

المستوى الأول، يهتم أساسا بمسألة الاندماج والتركيز والاحتكار باعتبارها التشوه الأهم في نظام اقتصاد السوق الإعلامي وغير الإعلامي، ومن هنا جاءت ردود الأفعال السياسية في شكل معالجات قانونية مثل التشريعات المتعلقة بقوانين منع الاحتكار التي تضع سقفا أعلى للحجم الاقتصادي للمشروعات؛ فإذا ما زاد حجم المشروع الواحد عن هذا الحد يتوجب تجزئته الى أكثر من مشروع واحد.

وبخصوص المشروعات الإعلامية تحديدا تنص التشريعات الإعلامية الفرنسية مثلا على أنه لا يجوز لأي ناشر أن يتحكم في ما تزيد نسبته عن 30% من التوزيع الإجمالي للصحف المماثلة، كما تشير التشريعات الإيطالية الى ضرورة ألا يزيد توزيع أي صحيفة عن 20% من إجمالي توزيع الصحف في إيطاليا، كما لا يجب أن يزيد عن 50% من حجم التوزيع في المنطقة الجغرافية التي تصدر بها الصحيفة. وإضافة الى ذلك تنص نفس التشريعات على أنه في حالة وصول نسبة توزيع مؤسسة صحفية ما الى 8% من الإجمالي العام لحجم توزيع الصحف في إيطاليا، فإنه لا يجوز لها أن تحصل على أكثر من ترخيصين اثنين في مجال

إصدار الصحف. أما من يمتلك ثلاث محطات إذاعية فلا يجوز له قانوناً امتلاك صحف يومية، كما تسود إجراءات مشابهة في بريطانيا وألمانيا وسويسرا. (24)

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فيأتي التركيز على ضرورة تعدد المشروعات الاقتصادية لكي يكون هناك مجال للمنافسة الاقتصادية لأنه إذا ما سمح للاندماج والتركيز بالانطلاق دون حدود، فقد يحدث أن تقتل المشروعات الإعلامية وغير الإعلامية الكثيرة لكي تسيطر حفنة من الشركات العملاقة على السوق، ويصبح الصراع بينها صراع العملاقة، بحيث تختفي إلى الأبد المشروعات المتوسطة والصغيرة باعتبارها غير قادرة على الصمود والمنافسة. وهكذا سادت الحكمة القائلة بأنه إذا كان الاحتكار الاقتصادي قادراً على تثبيت الأسعار، فإن الاحتكار الإعلامي قادر على تثبيت الأفكار، وهو ما جعل كثيراً من الباحثين في هذا المجال يؤكدون على أن المعيار الإعلامي لا يجب أن يقتصر فقط على حجم التوزيع للصحف مثلاً؛ ذلك أن وصول إجمالي التوزيع في بلد ما إلى مليون نسخة أو أكثر لا يعني شيئاً إذا كان هذا الرقم يمثل عدداً محدوداً جداً من الصحف الحزبية أو الحكومية؛ لكن وجود خمسين صحيفة يومية مستقلة في بلد ما على سبيل المثال له دلالة أكبر حتى وإن كان حجم توزيعها جميعاً لا يصل إلى المليون؛ ذلك أن تعدد المنابر يعني تعدد الآراء والأفكار والمعلومات التي توضع أمام المواطنين، ومثلما يقول المثل بخصوص مسألة الاحتكار: "إذا لم يكن هناك إلا ناقوس واحد يدق، فليس هناك إلا صوت واحد يسمع". لكن الملاحظ أن تعدد المنابر أو حتى تنوعها لا يزال مبدءاً يكتنفه كثير من الغموض في السياسات الإعلامية لمختلف الدول؛ فهل المقصود تعدد الوسائل الإعلامية فقط؟ أم أنه يعني أيضاً تعدد القضايا والمسائل التي تتناولها وسائل الإعلام؟ أم أنه يعني تنوع الآراء والأفكار في المحتوى الإعلامي لمختلف الوسائل؟ أم كل هذه الأشياء مجتمعة؟ وغني عن البيان أن التعدد لا يعني بالضرورة التنوع. (25)

المستوى الثاني، يتعلق بالدعم الحكومي المباشر وغير المباشر للمشروعات الصحفية، وفكرة الدعم هذه في أوروبا تعود إلى جذور تاريخية تمتد إلى الثورة الفرنسية، لكنها تبلورت بشكل أكثر وضوحاً ورسوخاً بدءاً من ستينيات القرن الماضي وخاصة في البلدان الإسكندنافية، حيث كانت السويد أكثر بلد أوربي داعم للصحافة، وخاصة الصحافة الحزبية لأن هذا النوع من الصحافة كان يمثل من 80% إلى 90% من إجمالي الصحف، ولهذا تم الربط في البلدان الإسكندنافية أولاً بين دعم الصحافة ودعم الأحزاب السياسية الممثلة في البرلمان، حيث كانت الحكومات تفضل تقديم الدعم للأحزاب وذلك لإظهار عدم رغبتها في التأثير المباشر على الصحافة التي تراها في حاجة لمثل هذا الدعم، رغم أن بعض الأحزاب عمدت إلى تقديم جزء من الدعم الحكومي لصحف أخرى لا تتبعها مباشرة ولكنها ذات انتماءات سياسية قريبة منها. (26)

وهكذا جاءت إجراءات الدعم الاقتصادي الحكومي لوسائل الإعلام من أجل الإسهام في ضمان تعددية المنابر الإعلامية والحيلولة دون إنزواء المطبوعات الأضعف اقتصاديا في ظل ظروف التدافع الاقتصادي القوي الذي تشهده الساحة الإعلامية في مختلف البلدان. وفي حالة الصحافة الحزبية التي شهدتها البلدان الاسكندنافية خصوصا خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، فإن تلك الصحافة أخذت تدريجيا تفقد جمهورها مما حدا بسلطات هذه الدول وخاصة السويد الى اللجوء الى إجراءات الدعم الاقتصادي لها، وقد كان هذا الدعم في مختلف البلدان الأوروبية يتخذ شكلين أساسيين هما: (27)

1- الدعم غير المباشر، ويشمل تخفيض قيمة الضرائب المفروضة على النشاط الاقتصادي الصحفي، وتخفيض ضرائب دخل الإعلانات، ودعم المطابع ووكالات الأنباء المحلية، وشركات التوزيع، إضافة الى دعم الأحزاب السياسية الممثلة في البرلمان من أجل أن تقوم هي بدورها بدعم الصحافة التابعة لها أو الصحافة المستقلة القريبة سياسيا من توجهاتها، ودعم معاهد تدريب وتأهيل الصحفيين، وتخفيض أسعار الورق، ومنح قروض منخفضة الفائدة للمشروعات الصحفية مع وجود فترة إعفاء من إرجاع هذه القروض تصل الى سنتين أو أكثر قليلا، وتخفيض الرسوم الجمركية على الورق والمواد الطباعية المستوردة، ودعم المشروعات الصحفية لهذا البلد أو ذاك في الخارج، وتخفيض تكاليف البريد على المواد المطبوعة التي ترسل للمشاركين بريديا، ودعم بعض النقابات لقراءة الصحف والمجلات عن طريق تزويد أعضائها بكوبونات تخفيض في سعر هذه المطبوعات، وتخفيض سعر المطبوعات بالنسبة لبعض الفئات الاجتماعية الأقل دخلا (الأطفال مثلا) على أن تتولى الحكومة تسديد الفرق بين السعر الحقيقي والسعر الذي تباع به المطبوعة.

والى جانب هذه الإجراءات للدعم غير المباشر التي قد تختلف تفاصيلها من بلد الى آخر، يأتي تدخل الدولة لتقسيم كعكة الإعلانات بين وسائل الإعلام المطبوعة وقنوات الإذاعة والتلفزة عن طريق وضع سقف أعلى لنسبة الإعلانات في ساعات البث الإذاعي لكي لا يطغى المضمون الإعلاني على محتواها البرامجي من ناحية، ولكي تكون هناك حصة إعلانية كافية لوسائل الإعلام المطبوعة من ناحية أخرى، إضافة الى قيام مؤسسات الدولة بنشر إعلاناتها في الصحف والمجلات.

2- الدعم المباشر، ويتمثل في ضخ مبالغ مالية لصالح المطبوعات وفقا لمعايير وإجراءات تشرف على تنفيذها لجان برلمانية أو وزارية مختصة، وقد تكون لجانا مختلطة تضم مندوبين عن المؤسسات الصحفية؛ حيث تتباين هذه الترتيبات من بلد أوروبي الى آخر؛ لكن المحصلة النهائية تتمثل في التدخل الحكومي في اقتصاديات الصحافة من اجل

ضمان التعددية والحيلولة دون تقلص عدد الصحف وتدني أرقام توزيعها. بيد أن الممارسة العملية لمبدأ الدعم المباشر للصحافة في أوروبا قادت الى ما لاحظته الكثيرون من أن منح مبالغ مالية متساوية لمشروعات صحفية غير متساوية تستفيد منه المشروعات الصحفية الأكبر حجماً من الناحية الاقتصادية وفقاً لنظرية الأنابيب المستطرفة حين يرتفع منسوب السائل المسكوب الى مستوى واحد في تلك الأنابيب المختلفة الأحجام، بحيث يكون حجم السائل في الأنابيب الأضخم أكثر بكثير من الأنابيب الأصغر. لهذا السبب عمدت الحكومات الأوروبية الى تنفيذ فكرة الدعم بشكل يعطي أولوية وكمية أكبر من المال للمشروعات الصحفية الضعيفة اقتصادياً؛ حيث ابتكرت في السويد مثلاً معادلة اقتصادية خاصة بهذا الدعم الحكومي يتم وفقاً لها حساب قيمة الدعم المالي لها عن طريق حاصل ضرب حجم توزيع المطبوعة في عدد أيام صدورها أسبوعياً في قيمة الدعم المالي التي يراعى فيها الحجم الاقتصادي للمطبوعة.

ورغم أنه على مر السنين يمكن ملاحظة أن حجم الدعم الحكومي المباشر وغير المباشر أوروبا تراجع نسبياً في ظل ازدياد الضغوط على الميزانية العامة للدولة التي تحتاج الى الإنفاق على مشروعات مركزية أخرى مثل قطاعي البريد والمواصلات، فإن السؤال الأبرز بخصوص هذه المسألة هو: ما هي النتائج العملية لسنوات طويلة من الدعم الحكومي المباشر وغير المباشر؟ وهنا تختلف الرؤى التي يفيد بعضها أن المشكلة ليست فقط اقتصادية بحتة، ولكنها ترتبط بمدى دستورية وقانونية هذا الدعم الذي هو قابل . بكل تأكيد . للتفسير بأنه تدخل حكومي قد يقود الى توجيه حكومي للصحافة والتأثير سلباً على الحقوق العامة للأفراد.

بيد أنه من جهة أخرى تشير بعض البيانات الى عدة إيجابيات لهذا الدعم الذي لولاه لكانت وكالة الأنباء الفرنسية مثلاً والتي أنشأت كمشروع خاص عام 1957 قد توقفت منذ أمد بعيد، كما تشير بيانات أخرى الى أن الدعم الحكومي في السويد قد يكون وراء كونها أعلى دول أوروبا في المشاركة الصحفية التي تحسبها منظمة (اليونسكو) وفقاً لعدد النسخ المباعة لكل ألف مواطن، كما أن هذا الدعم استطاع الإبقاء على عدد ثابت للمطبوعات الصادرة خلال الفترة من 1980 الى 1990، بل زاد عددها قليلاً، إلا أن حجم التوزيع الإجمالي لهذه المطبوعات انخفض قليلاً، وهو ما سوف تتم مناقشته لاحقاً عند الحديث عن الجمهور المستهدف. (28)

بيد أن النقد الأكبر لسياسات دعم الصحافة والمطبوعات يقول بأن هذا الدعم قد يقود الى أن تبقى المطبوعات رهينة الدعم الحكومي من أجل أن تبقى بدلاً من أن يكون نقطة انطلاق نحو التحرر الاقتصادي، كما أن هذا الدعم لا تصاحبه إجراءات اقتصادية حقيقية من قبل المؤسسات الصحفية مثل تخفيض النفقات أو إقامة مطابع وشركات توزيع مشتركة فيما بينها؛

الأمر الذي يجعل هذا الدعم قليل الأهمية، إضافة الى أن هذا الدعم الحكومي متأرجح من حيث قيمته من وقت الى آخر ومن جهة الى أخرى حيث أنه قد يأتي عبر الوزارات المركزية أو الحكومات الإقليمية أو البلديات أو شركات اقتصادية أخرى، وفوق هذا وذاك تأتي مسألة غياب الشفافية من قبل كثير من المؤسسات الصحفية إزاء مصادر الدخل الأخرى التي تقع خارج إطار الدعم الحكومي.

وفي كل الأحوال، قد يفيد هذا الدعم المطبوعات القائمة أكثر مما يفيد في تأسيس مطبوعات جديدة ومساعدتها في الولوج الى السوق الإعلامية التي تشهد منافسة رهيبية بين اللاعبين الاقتصاديين الإعلاميين الكبار. (29)

سادسا/ أهداف الجمهور والجمهور المستهدف:

على الرغم من كل التوجهات الفكرية والفلسفية التي تقدر الجمهور العام لوسائل الإعلام باعتباره الهدف النهائي لكل النشاطات والممارسات الإعلامية، وعلى الرغم أيضا من التوجهات الاقتصادية التقليدية التي تنظر الى الجمهور المستهلك على أنه أحد أبرز الأسياد الثلاثة في العملية الاقتصادية الإعلامية إضافة الى المعلن والممول بالشكل الذي يعكسه التعبير الألماني القائل بأن الزبون هو ملك متوج، فإن أي دارس لاقتصاديات الإعلام الحديث يمكنه أن يلاحظ بسهولة البون الشاسع بين الرؤى النظرية التي تتحدث عن وظائف أساسية للصحافة والإعلام تجاه المجتمع أبرزها الإخبار والتثقيف والإرشاد، والتنشئة الاجتماعية والتسلية والإمتاع، والتسويق والإعلان من جهة وبين الممارسة الواقعية للعملية الاقتصادية الإعلامية من جهة ثانية.

ومن أبرز التطورات التي شهدتها الاقتصاد الإعلامي الحديث انحسار النظرة التقليدية المتمثلة في قياس مدى فاعلية أية وسيلة إعلامية من خلال حجم انتشارها في المجتمع ومدى إقبال الناس على التعرض لمضامينها. لقد كان الشاعر الألماني (غوته) يعبر عن تلك النظرة التقليدية بشكل واضح عندما أشار الى أن الكاتب الذي لا ينتظر كتاباته مليون قارئ، يتعين عليه ألا يكلف نفسه عناء كتابة سطر واحد. كما أن فكرة الدعم الحكومي كانت ترتبط بمسألة الحرص على تنوع المطبوعات وزيادة توزيعها من أجل الإسهام في تحقيق ما يعبر عنه بعض المنظرين في حقل الإعلام بالمجتمعات الإعلامية أو الاتصالية الحديثة. لكن فكرة الجمهور العام الواحد ذي التوجهات العامة المشتركة أضحت تنزاح تدريجيا لتحل محلها فكرة أجزاء الجمهور المستهدفة، وهي الفكرة التي ارتبطت الى حد كبير بالإعلام المتخصص؛ لكن الإعلام العام هو الآخر لم يعد يبحث عن الجمهور العام بل عن فئات من الجمهور خاصة، وهي في الغالب تلك الفئات الأكثر ثراءً والأكثر قدرة على استهلاك السلع المرتفعة الثمن، والأكثر تأثيرا في مجريات الحياة في مختلف جوانبها باعتبارها فئات رائدة قادرة على القول والفعل، والتغيير والتعطيل.

بدأت فكرة الجمهور المستهدف بالتقسيمات الاجتماعية العادية التي تشتمل على:

- (أ) شباب في مرحلة الدراسة؛ (ب) شباب عزاب يعملون؛ (ج) شباب متزوجون بدون أطفال؛ (د) أسر لديها أطفال صغار السن؛ (هـ) أسر لديها أطفال في سن الدراسة؛ (و) موظفون في أعمار متقدمة بدون أطفال؛ (ز) متقاعدون. (30)

ومع مرور الزمن تغيرت الفكرة لكي يصبح تركيز الإعلام في المجتمعات الصناعية الغربية منصبا على قمة الهرم الاقتصادي التي تمثل عادة 35% من الجمهور العام، وهم في الغالب ذوو الدخل المرتفع الذين لديهم القدرة على شراء كثير من السلع والاستفادة من الخدمات ذات التكلفة الاقتصادية المرتفعة. ووفقا لهذا التوجه، فإن الهم الأساسي للوسيلة الإعلامية يتمثل في العمل على جلب اهتمام المعلنين الكبار الذين يعمدون عادة الى دراسة جمهور الوسيلة الإعلامية قبل أن يتخذوا قرارات نشر إعلاناتهم لديها؛ فإذا ثبت أن انتشار تلك الوسيلة كبير جدا، ولكنه يكاد ينحصر في تلك الفئات الاجتماعية الضعيفة اقتصاديا، فذلك يعتبر سببا كافيا للإحجام عن نشر إعلاناتهم بتلك الوسيلة، لكنه إذا ثبت أن انتشار تلك الوسيلة قليل نسبيا ولكنه يقع في أعلى الهرم الاقتصادي فهذا سبب كافٍ لنشر إعلاناتهم بتلك الوسيلة. (31)

لأجل ذلك كان سعي كثير من الوسائل الإعلامية في البلدان الصناعية الغربية الى تحقيق غاية الوصول الى فئات الجمهور التي تقع في أعلى الهرم الاقتصادي لأن ذلك كفيل بجلب عائدات مالية أكبر لها، مثلما هو كفيل بتخفيض نفقات التشغيل والإنتاج والتوزيع عندما يتقلص جمهور المستقبلين الى 35% من الجمهور العام. هذا الإجراء هو بالضبط ما سعت اليه صحيفة التايمز اللندنية عندما قامت بإلغاء اشتراكات الأفراد الذين لا يقعون في أعلى الهرم الاقتصادي من أجل أن تجعل نفسها أكثر جاذبية للمعلنين الكبار، وقد تم التعبير عن هذا القرار الاقتصادي لتلك الصحيفة العريقة بأنه ليس سوى إجراء " لتتنقية الجمهور المستهدف "؛ أي مثلما تتم تنقية المياه من الشوائب مثلا، فإن الجمهور المستهدف ينقى من الفئات ذات القدرة الاقتصادية المحدودة ! (32) ذلك هو بالضبط ما عبر عنه بعض الباحثين الناقدين لهذا التوجه بأنه يمثل انتقالا من وسائل الإعلام الجماهيرية (Mass Media) الى وسائل الإعلام الطبقيّة (Class Media).

ورغم أن البعض يبرر مثل هذه التوجهات باعتبارها انتقالا إيجابيا من وسائل الإعلام العامة التي تخاطب الفئات الوسطى في المجتمع الى الفئات الطليعية ذات الفاعلية في إحداث التغييرات والتطورات في المجتمع؛ إلا أن الأمر لا يزال يحتاج الى دراسات علمية على مختلف المستويات الوطنية والإقليمية والدولية من أجل إيجاد تقييم موضوعي لمثل هذه التوجهات. أما الركون الى معيار الفاعلية الاقتصادية في تقرير مدى إيجابية أو سلبية هذه التوجهات فهو يمثل نظرة أحادية الجانب لا يمكن لها أن تغلح في تفسير مثل هذه التطورات أو تقييمها واتخاذ

القرارات الإستراتيجية بشأنها؛ ذلك أن النظرة الاقتصادية البحتة تنزع غالبا الى أساليب ذات طبيعة نفعية أهمها ما يلي:

1- النقاط الاتجاهات العامة؛ بالشكل الذي لاحظته مؤسسو مجلة (بلاي بوي) مثلا من أن هناك في المجتمعات الغربية نزعة متنامية نحو الخروج من المواقف المحافظة حول ثقافة الملبس وثقافة التعري مما يتيح إطلاق هذا المشروع لنشر الصور الخليعة في مختلف أعداد هذه المجلة لسنوات طويلة، ثم قرر أصحاب هذا المشروع مؤخرا أن العودة الى الصور الأكثر محافظة قد يصبح النزعة الجديدة التي يجب مجاراتها.

2- الاتجاهات الديموغرافية العامة والتي ترتبط بالاهتمام بشرائح اجتماعية معينة خلال فترة زمنية ملائمة من أجل إطلاق مشروعات اقتصادية أو إعلامية تستجيب لهذه التطورات الديموغرافية. ولعل أبرز تلك التوجهات سعي كثير من الشركات الغربية للاستثمار في مجال سلع الأطفال في الصين في ضوء السياسة السكانية الرسمية التي سادت لفترة طويلة في هذا البلد والتي لا تجيز للأسر سوى إنجاب طفل واحد من أجل مكافحة الانفجار السكاني؛ حيث رفعت تلك الشركات شعار "الإمبراطور الصغير" تعبيرا عن الطفل الصيني في ظل هذه السياسة السكانية للحكومة، وعبرت عن ذلك بمعادلة حسابية أجزتها في $(1+2+4)$ أي أن هذا الطفل الواحد يقوم بالإفناق عليه أبوان وأربعة جدود اثنان من جانب الأب واثنان من جانب الأم مما يجعل الاستثمار في شئونه أمرا مهما. (33) وعلى نفس الشاكلة ورد على لسان عدد من مسؤولي شركات تصنيع السجائر اهتمامهم بشريحة النساء في البلدان العربية باعتبارها شريحة كبيرة العدد ولديها القدرة الشرائية (خاصة في البلدان النفطية) على اقتناء أفخر وأعلى أنواع السجائر لو تغيرت فقط الثقافة النسائية لدى شعوب هذه المنطقة من أجل جعل التدخين أمرا لا يتناقض مع الأنوثة، إن لم يكن يؤكدّها !

3- الاتجاهات الاقتصادية العامة، وهي التي يتم من خلالها التركيز على الفئات ذات الدخل العالي و المتوسط والقليل، ولعل الممارسة الاقتصادية الأوسع تتمثل في تصميم منتجات تخدم كل الأغراض، مع وجود تصميمات خاصة للفئات الأكثر أو الأقل غنى مثلما تفعل شركات السيارات ومثلما تفعل الشركات الإعلانية عند تعاملها مع وسائل الإعلام، بحيث تكون هناك إعلانات تتوجه الى وسط الهرم الاقتصادي، ولكن التركيز الأكبر يكون على قمة الهرم الأكثر ربحية والأقل تكلفة وجهدا بالنظر الى صغر حجم هذه الفئة. (34) كل هذه التوجهات والممارسات تؤكد أن يصبح المعلنون من الناحية الاقتصادية البحتة هم الجمهور الحقيقي لوسائل الإعلام في ضوء الاقتصاديات الإعلامية الحديثة في المجتمعات الصناعية الغربية، مما يجعل هذه الوسائل تسعى

جاهدة في ظل التطاحن الاقتصادي الى تعزيز مواقعها عبر جلب الكم الأكبر من الإعلانات ليس فقط من حيث عددها كإعلانات ولكن أيضا . وهو الأهم . من حيث مردودها الاقتصادي. وفي خضم عمليات الدعم الحكومي لوسائل الإعلام المطبوعة في أوروبا التي أشير إليها آنفا، عمدت الحكومات الأوروبية الى أن تجعل من نفسها حكما اقتصاديا إعلاميا يحدد السقف الأعلى للإعلانات في كل من الوسائل الإعلامية المطبوعة والوسائل المرئية والمسموعة.

ووفقا لهذه الممارسات الحكومية فإن 60% من الإعلانات الحكومية الإيطالية تذهب الى الصحافة، أما التشريعات في النمسا فتتص على عدم دعم الصحف والمطبوعات الإعلامية، وكذلك عدم دعم الصحف والمطبوعات العامة التي لدى أصحابها صحف ومطبوعات إعلامية، وكذلك عدم دعم الصحف والمطبوعات التي يزيد المحتوى الإعلاني فيها عن 22% من إجمالي محتوى صفحاتها، رغم أن ذلك الأمر قد يدفع تلك المطبوعات الى التحايل على هذه الإجراءات عن طريق رفع اصطناعي للمحتوى التحريري من خلال نشرها لمواد إعلامية غير ذات قيمة ثقافية تذكر. (35) مفاد ذلك أن الإجراءات الحكومية الرامية نظريا الى حماية أهداف الجمهور العام تصطدم عمليا مع الأهداف الاقتصادية للمؤسسات الإعلامية الكبرى الرامية الى زيادة الربحية وتقليل المصروفات من خلال التركيز على فئات محددة من الجمهور، وإهمال السواد الأعظم من الجمهور العام.

سابعا/ بعض الأساليب التطبيقية للتخطيط الاقتصادي الإعلامي:

تقوم هذه الأساليب التطبيقية للتخطيط الاقتصادي الإعلامي على مبدأ توفر قاعدة بيانات أساسية حول مختلف الوسائل الإعلامية ومدى ارتباطها بالجمهور العام من جهة وبالفئات الاجتماعية المستهدفة من جهة أخرى، وبدون تلك البيانات الأساسية يصبح التخطيط الاقتصادي الإعلامي خاصة أثناء الحملات التتموية أو السياسية أو الإعلامية غير ممكن التحقيق. فإذا افترضنا مثلا أننا نريد أن نختار بين وسيلتين إعلاميتين لنشر إعلانات سياسية أو سلعية أو خدمية بأفضل واحدة منهما (وهذا مثال مبسط لأن المجتمعات الحديثة تزخر اليوم بأعداد وأنواع كثيرة من الوسائل الإعلامية) فإنه في مجتمع يتكون من ستة ملايين مواطن مثلما هو الحال بالنسبة للمجتمع الليبي يمكننا إبراز ذلك في الجدول الآتي: (36)

الجدول (1) اختيار الوسيلة المناسبة للجمهور المناسب

الجمهور المستهدف	الجمهور المستهدف	الجمهور العام	
(2)	(1)		
			الوسيلة الإعلامية (س)
%32	%36	%40	مدى الانتشار (التوزيع)
80	90	100	مدى الألفة (الانجذاب)
			الوسيلة الإعلامية (ص)
%40	%30	%20	مدى الانتشار (التوزيع)
200	150	100	مدى الألفة (الانجذاب)

ومن خلال هذا الجدول الذي تأتي فيه البيانات الخاصة بمدى انتشار الوسيطتين الإعلاميتين داخل الجمهور العام والجمهورين المستهدفين بشكل افتراضي لعدم وجود بيانات حقيقية، يمكننا ملاحظة الآتي:

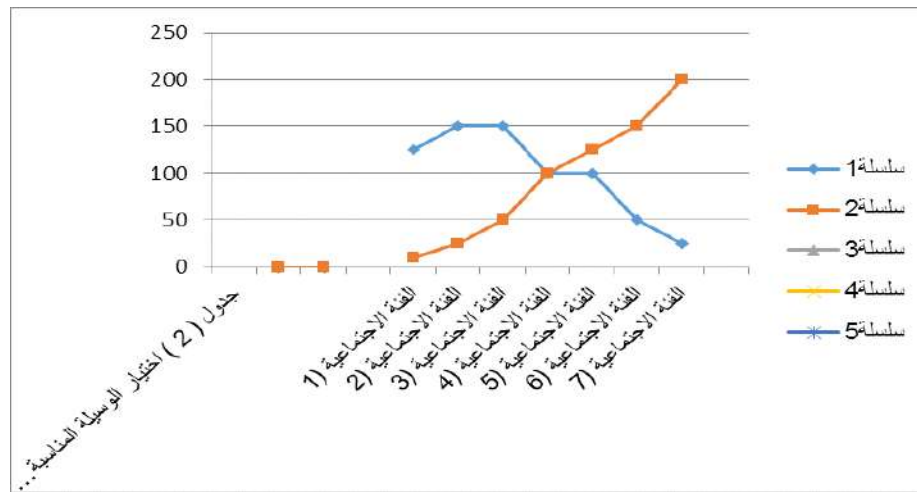
- 1- إن الوسيلة الإعلامية (س) أكثر انتشارا داخل الجمهور العام لأنها تصل الى 40% من السكان أي حوالي 2.400.000 مواطن مقارنة بالوسيلة الإعلامية (ص) التي تصل الى 20% فقط من المواطنين، أي الى حوالي 1.200.000 مواطن.
- 2- إن مؤشر الألفة مع الوسيلة الإعلامية أو الانجذاب نحوها يمكن حسابه من خلال أخذ نسبة انتشار الوسيلة المرئية أو المسموعة أو نسبة توزيع الوسيلة المطبوعة داخل المجتمع العام كنقطة مقارنة أساسية تأخذ الرقم (100)، وذلك من أجل عقد المقارنة بين مدى تغلغل هذه الوسيلة داخل الجمهور المستهدف (1) والجمهور المستهدف (2).
- 3- على الرغم من انتشار الوسيلة (س) بشكل أكبر داخل الجمهور العام إلا أن المخطط للنشاط الإعلامي أو السياسي أو التعليمي... الخ لا يمكن له أن يتوقف عند رقم الانتشار داخل الجمهور العام إذا كان يرغب في الوصول الى جمهور مستهدف معين (قادة الرأي / ربات البيوت مثلا)، ولذلك لابد أن ينظر الى مدى انتشار تلك الوسيلة داخل الجمهور المستهدف من قبل الجهة التي تريد استخدام هذه الوسيلة كجزء من الحملة الإعلانية أو السياسية أو التعليمية... الخ.
- 4- فإذا وجدنا أن الوسيلة (ص) تصل الى 40% من الجمهور المستهدف (2) رغم أنها تصل الى 20% فقط من الجمهور العام، فمعنى ذلك أنها الأفضل استخداما لمخاطبة هذا النوع من الجمهور لأنها تصل بشكل مضاعف اليه، وبالتالي فإن احتمال التأثير على الجمهور المستهدف (2) من خلال الوسيلة (ص) أفضل بكثير من الوسيلة (س).

وهكذا يصبح من الممكن أن نقارن مدى فاعلية كل واحدة من هاتين الوسيلتين داخل مختلف الفئات الاجتماعية المشار إليها آنفا عند الحديث عن أهداف الجمهور المستهدف، وذلك بالشكل الذي يمكن ملاحظته في الجدول الآتي:

جدول (2) اختيار الوسيلة المناسبة للشريحة الاجتماعية المناسبة

الوسيلة (س)		الوسيلة (ص)		
مدى الانتشار	مدى الانجذاب	مدى الانتشار	مدى الانجذاب	
40%	100	20%	100	الجمهور العام
50%	125	2%	10	الفئة الاجتماعية (1)
60%	150	5%	25	الفئة الاجتماعية (2)
60%	150	10%	50	الفئة الاجتماعية (3)
40%	100	20%	100	الفئة الاجتماعية (4)
40%	100	25%	125	الفئة الاجتماعية (5)
20%	50	30%	150	الفئة الاجتماعية (6)
10%	25	40%	200	الفئة الاجتماعية (7)

وبهذه الطريقة يمكننا بياناً التمييز بين الوسيلتين حسب مدى انتشار كل منهما لفئات الجمهور المستهدف وفق الشكل التالي:



وهكذا نستطيع وفقا لهذه البيانات أن ندرك بوضوح أن استخدام الوسيلة (س) أكثر فاعلية بالنسبة للفئات العمرية الأقل سنا، بينما الوسيلة (ص) على العكس من ذلك تبدو أكثر نجاعة بالنسبة للفئات العمرية الأكبر سنا. أما إذا ما أريد استخدام الوسيلتين معا فذلك لا يعني بالضرورة أن فاعلية وسيلتين معا تساوي حاصل جمع فاعلية كل واحدة منهما على حدة لأنه في الغالب الأعم يكون هناك مجال مشترك يتداخل فيه عمل الوسيلتين معا، حيث أننا نجد في المثال السابق أنه بالنسبة للفئتين الرابعة والخامسة تتساوى الوسيلتان في درجة فاعلية كل منهما. كما أن بعض المخططين الاقتصاديين الإعلاميين يفضلون استخلاص قيمة رقمية محددة توصف بأنها (القيمة الكمية والنوعية للوسيلة)، وذلك عن طريق الأخذ في الاعتبار بعامل الانتشار (أو التوزيع بالنسبة للوسائل المطبوعة) ومدى الألفة أو الانجذاب نحو الوسيلة معا. ومن أجل إيضاح ذلك فإنه يمكننا بالنسبة للفئة الاجتماعية السادسة المشار إليها في الجدول (2) يمكننا تطبيق فكرة (القيمة الكمية والنوعية للوسيلة) بالطريقة التي تظهر في الجدول الآتي:

جدول (3) القيمة الكمية والنوعية للوسيلة

الوسيلة (س)	الوسيلة (ص)	
40 %	20 %	مدى الانتشار داخل الجمهور العام
20 %	30 %	مدى الانتشار داخل الفئة 6
50	150	مدى الانجذاب نحو الوسيلة
القيمة الكمية والنوعية للوسيلة (س)		القيمة الكمية والنوعية للوسيلة (ص)
$10 = \frac{50 \times 20}{100}$		$45 = \frac{150 \times 30}{100}$

وهكذا نجد أن النتيجة المشار إليها في الجدول (3) تظهر أنه على الرغم من انتشار الوسيلة (س) بمقدار الضعف على الوسيلة (ص) لدى الجمهور العام إلا أن الوسيلة (ص) أفضل من الناحية الكمية والنوعية بخصوص الفئة الاجتماعية (6) لأنها تتغلغل داخل هذه الفئة السادسة بشكل أكبر بكثير مما تفعله الوسيلة (س).

وإضافة إلى هذه الحسابات المتعلقة بربط القيمة الكمية والنوعية للوسيلة الإعلامية بمدى فاعليتها داخل الجمهور الذي تصله الوسيلة الإعلامية، هناك ما يعرفه الاقتصاديون الإعلاميون بالسعر الألفي للإعلان داخل الوسيلة الإعلامية بغض النظر عما إذا كان هذا الإعلان تجاريا أو خدميا أو سياسيا أو غير ذلك، وتسميته بالألفي تتعلق أساسا بالحرص على معرفة القيمة التي

يحتاج أن يدفعها المعلن من أجل الوصول الى ألف فرد من الجمهور أو الى فرصة الحصول على ألف تعرض إعلاني بدلا من التفكير فقط في القيمة الإجمالية العامة التي يحتاج المعلن الى دفعها للوسيلة الإعلامية لنشر إعلانه؛ فالمسألة ليست مجرد شراء وقت إعلاني في قناة إذاعية أو في السينما أو مساحة إعلانية في مطبوعة ما، ولكن العنصر الأساسي هو معرفة كم ألف مواطن يمكن الوصول اليهم عبر هذه الوسيلة أو تلك من خلال ميزانية إعلانية ما.

فإذا افترضنا مثلا أن معلنا ما لديه ميزانية إعلانية تقدر بمليون دينار، وأن السعر الألفي للإعلان يساوي خمسة دنانير فمعنى ذلك أن هذا المعلن يستطيع بهذه الميزانية شراء 200,000,000 فرصة تعرض إعلاني لمرة واحدة، أي $1000 \times 1000,000 \div 5$. كما يمكن حساب هذه المسألة بطريقة مختلفة، فإذا كان المعلن يريد أن يتحصل من خلال نفس الميزانية على فرصة نشر إعلانه في وسيلة ما بشكل يتكرر عشر مرات خلال فترة زمنية معينة، فإنه يستطيع الوصول الى 20.000,000 شخص، أي $200.000,000 \div 10$. بيد أن السعر الألفي للإعلان أصبح هو الآخر لا يحسب بشكل عام دون معرفة مدى انتشار هذه الوسيلة أو تلك لدى الجمهور العام، ولهذا يتوجب حساب هذا السعر الألفي وفق معيار مدى انتشار هذه الوسيلة أو تلك داخل هذا البلد أو ذاك، والجدول التالي يتضمن إيضاحا لهذه المسألة:

الجدول (4) مقارنة السعر الألفي لوسيلتين إعلاميتين

الوسيلة (ص)	الوسيلة (س)	
20%	40%	انتشار الوسيلة لدى المجموع العام
1.200,000	2.400,000	عدد الأشخاص الذين يمكن الوصول إليهم من إجمالي عدد السكان (6 مليون)
150,000 دينار	240,000 دينار	سعر نشر الإعلان الواحد
	دينار $100 = \frac{1000 \times 240,000}{2,400,000}$	السعر الألفي للوسيلة (س)
	دينار $125 = \frac{1000 \times 150,000}{1,200,000}$	السعر الألفي للوسيلة (ص)

ووفقا للجدول (4) يبدو مبدئيا أن استخدام الوسيلة (س) أكثر اقتصادية وفاعلية للمعلن من الوسيلة (ص)، لكننا إذا أردنا أن نأخذ في الاعتبار نوع الجمهور المستهدف، فإنه بالرجوع

إلى الجدول (2) نستطيع أن نعرف أن الوسيلة (ص) لديها وصول أكبر للجمهور المستهدف (6) من الوسيلة (س)، كما أن درجة انجذاب الجمهور المستهدف للوسيلة (ص) أكبر من الوسيلة (س)؛ أي (150 للوسيلة ص مقابل 50 للوسيلة س)، وهنا لابد من حساب السعر الألفي للإعلان بطريقة تراعى فيها اعتبارات الجمهور المستهدف ودرجة الانجذاب نحو الوسيلة،

السعر الألفي للإعلان لدى الجمهور العام 100x

مدى الانجذاب نحو الوسيلة الإعلامية

وهو ما يمكن إبرازه في المعادلة الحسابية الآتية: أي أنه بالنسبة للوسيلة (س) يكون السعر الألفي المركز (أي السعر الألفي الذي يأخذ في الاعتبار درجة الانجذاب نحو الوسيلة الإعلامية) كالآتي:

$$100 \text{ دينار} = 50 \div 100 \times 200 \text{ دينار}$$

أما بالنسبة للوسيلة ص:

$$125 \text{ دينار} = 150 \div 100 \times 83$$

وفي هذه الحالة نستطيع أن نقول أنه بالنسبة للفئة الاجتماعية السادسة من فئات الجمهور المستهدف تكون الوسيلة (ص) أقل تكلفة (83 ديناراً للوصول الى كل ألف مواطن) من الوسيلة (س) التي تساوي (200 ديناراً للوصول الى كل ألف مواطن)، وهذا أمر طبيعي لأنه في أية تقديرات كمية لأي عمل تلعب الاعتبارات الخاصة دوراً تقويمياً بحيث تكون النتائج الحسابية المترتبة على الأخذ بهذه الاعتبارات في الحساب مختلفة عن الحسابات العامة. وإضافة الى هذه الاعتبارات الرقمية (الكمية) لابد من مراعاة اعتبارات نوعية أخرى عند إجراء مثل هذا التخطيط الاقتصادي الإعلامي أهمها الآتي:

- 1- الأخذ في الاعتبار بنوعية الجمهور المستهدف، لأن وصول سلعة أو خدمة ما الى مليون شخص من الفئة الاجتماعية السادسة (فئة الموظفين الكبار في السن الذين ليس لديهم أطفال) أو الفئة السابعة (فئة المتقاعدين) لا يعني شيئاً لمن يريد أن يتواصل مع هاتين الفئتين لغرض نشر برامج أو إعلانات تهم شريحة الأطفال.
- 2- مراعاة مدى الانتباه الذي يوليه أفراد الجمهور المستهدف للوسيلة الإعلامية ودرجة اهتمامهم بمضمونها ومدى رغبتهم في الإطلاع على ذلك المضمون.
- 3- مراعاة مدى مهنية الوسيلة الإعلامية وقدرتها على إيجاد أفضل صياغة للمضامين الإعلامية ووضعها في أفضل القوالب الشكلية التي تتناسب مع نوعية الجمهور المستهدف.
- 4- مراعاة مقدار الميزانية المخصصة للحملة الإعلامية أو الإعلان ودرجة فاعليتها من حيث الحصة الإعلان للمعلن مقابل الحصص الإعلان لغيره من المعلنين (Share of voice)، ومن حيث الحصة المعرفية؛ أي مدى معرفة أفراد الجمهور بالسلعة أو الخدمة

(Share of mind) ومن حيث الحصة العاطفية أي مدى شعور الأفراد بالارتياح نحو السلعة أو الخدمة أو الوسيلة (Share of heart)، وأخيرا من حيث حصة السوق (Share of market)، أي نسبة المستقبلين للوسيلة الإعلامية مقارنة بباقي الوسائل الإعلامية الأخرى، ومعروف أن الباحثين في مجالات التسويق في البلدان التي يسود فيها اقتصاد السوق عمدوا الى إيجاد تصميمات لتجسيد كل واحدة من هذه الحصص كميا من خلال أساليب وطرق إحصائية لرصد هذه الحصص وتتبعها عبر الزمن من أجل إيجاد أفضل تخطيط اقتصادي إعلامي ممكن؛ فالقاعدة الأساس بالنسبة للجميع تتمثل في أنه إذا لم تنجح في أن تخطط، فأنت تخطط لأن تفشل ! (37)

ثامنا/ خاتمة:

لا أحد يستطيع أن ينكر أهمية التخطيط الاقتصادي الإعلامي في إطار أي نشاط إعلامي، لكنه في ختام هذه المناقشة لابد من إبراز عدد من الملاحظات الرئيسية التي يتوجب أن نفهم عملية التخطيط الاقتصادي الإعلامي في ضوءها، والتي تم صياغة بعض منها في شكل تساؤلات من أجل تحفيز الباحثين في هذا المجال للعمل على تكريس جهود علمية لدراساتها:

- 1- إن الجهات ذات العلاقة بالتخطيط الإعلامي والسياسات الإعلامية كثيرة مما يزيد من احتمال صعوبة التوفيق في أحيان كثيرة بين الأهداف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية على المستويات الوطنية، والإقليمية، والدولية.
- 2- ليس من الواضح تماما ما إذا كان المبدأ الصحفي المتمثل فيما يعرف بالدورة الصحفية (زيادة التوزيع ← زيادة حجم الإعلانات ← زيادة تطوير الصحيفة شكلا ومضمونا ← زيادة التوزيع) في طريقه الى التكريس أم الاضمحلال في ضوء التركيز على فئات محددة من الجمهور بدلا من الجمهور العام.
- 3- بالنسبة لكثير من غير المتخصصين في مجال الاقتصاد يبرز تساؤل جوهري مفاده: لماذا يجب أن يعتقد الناس أن التطور الطبيعي لاقتصاد السوق ضار بالمجتمع لأنه يقود الى التركيز والاحتكار ؟ ولا يبدو أن الدراسات الاقتصادية السابقة لديها إجابة واضحة حول هذه المسألة الى حد الآن لا في مجال الاقتصاد عموما ولا في مجال اقتصاديات الإعلام.
- 4- هل كان للدعم الحكومي لوسائل الإعلام في البلدان الصناعية الغربية أي تأثير على المحتوى النقدي لهذه الوسائل ؟ هل قلل هذا الدعم من نقد الصحافة للحكومات الغربية ؟ ومرة أخرى يحتاج الأمر الى دراسات علمية للإجابة عن مثل هذا التساؤل الجوهري ؟

5- كيف يمكن للباحثين الاقتصاديين الإعلاميين، وللممارسين للسياسات الاقتصادية الإعلامية أن يقوموا ببلورة رؤية عامة حول المسائل الاقتصادية الإعلامية ؟ أم أن الأمر يتطلب دائما عزل كل قضية اقتصادية إعلامية عن غيرها من أجل فهم مدى فاعلية النشاط الاقتصادي الإعلامي أو مدى عدم فاعليته؟ فإذا خرجنا مثلا من فكرة وسيلة محددة وجمهور محدد ورسالة محددة الى ما يعرفه الاقتصاديون الإعلاميون بالمزيج الإعلامي الذي يمكن من خلاله نقل عدة رسائل (أ. ب . ج) الى عدة فئات من الجمهور (1 . 2 . 3) عبر عدة وسائل إعلامية (1 . 2 . 3) فإنه يمكن أن يبدو التخطيط الاقتصادي الإعلامي بالشكل الذي يبرز في الجدول الآتي:

الجدول (6) المزيج الإعلامي

الوسيلة 1	الوسيلة 2	الوسيلة 3	
أ	ب	ج	الجمهور 1
ب	ج	أ	الجمهور 2
ج	أ	ب	الجمهور 3

وبطبيعة الحال فإن هذا الجدول يمكن تمديده لكي يشمل أعدادا أكبر من الوسائل والرسائل وأنواع الجمهور، لكن السؤال يبقى متمثلا في سبل الوصول الى تكوين نظرة "بانورامية" شاملة لمسألة التخطيط الاقتصادي الإعلامي بدلا من السعي الى تقتيت الظاهرة محل الدراسة بغرض وضع كل جزء منها تحت المجهر لكي نعرف ملامحه وآثاره.

6- كيف يبدو التخطيط الاقتصادي الإعلامي في ضوء مواقع الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي ؟ هل تزيد هذه الظاهرة من حمى التنافس أم تقلل منها ؟ وبهذا الصدد يمكن للباحث أن يلاحظ بسهولة التباين في الرؤى تجاه هذه الظاهرة الحديثة، حيث يرى البعض أنها تمثل وسيلة جديدة رخيصة الثمن وأكثر تفاعلا وديمقراطية لاعتبار سهولة تبادل المواقع بين المرسل والمستقبل. لكن هناك من يرى أنها وسيلة طليعية لأنها تحتاج الى ضرورة توفر الربط الهاتفي والكهرباء ووجود أجهزة رقمية قادرة على الولوج الى هذه الشبكة، وهي أمور لا يمكن النظر اليها على أنها اعتيادية في بلدان العالم الثالث بالذات. كما يلاحظ آخرون أن هذه الوسيلة قد تصبح احتكارية أيضا لأن أفضل المواقع على هذه الشبكة حاليا تديرها جهات حكومية واقتصادية قوية وهي التي تحظى بأكثر نسبة من الزوار والمتابعين والإعلانات، مما يجعل إجراء دراسات متعمقة حول هذه المسألة من الأولويات البحثية العلمية.

7- لماذا يتسم التخطيط الاقتصادي عموما والتخطيط الإعلامي بوجه خاص بأنه يقوم على فكرة التخطيط قصير الأمد بحيث لا نجد في كثير من البلدان عمقا استراتيجيا بعيد الأمد بشكل تبدو فيه كثير من السياسات الإعلامية مشابهة لسياسة إطفاء الحرائق التي تتمثل في سياسات ردود الأفعال لمحاولة تصحيح التشوهات ومعالجة العثرات والمشكلات التي تواجه قطاع الإعلام ؟ أم أن هذا التوجه المحدود النطاق في التخطيط الاقتصادي الإعلامي يأتي تأكيدا للمبدأ الذي أعلنه منذ زمن الباحث الاقتصادي المعروف (كينز) بأنه يتوجب معالجة الأمور الاقتصادية بشكل شبه آني لأننا جميعا . على حد قوله . سنكون على المدى البعيد أمواتا ! (38)

8- بدأت هذه الورقة بالرأي الاقتصادي لعالم الاجتماع والاقتصاد الألماني (ماكس فيبر) منذ العام 1910، وانتهت بالإشارة إلي اقتصاديات الإعلام في عصر الانترنت وما تتضمنه هذه الشبكة من مواقع الكترونية بمختلف المؤسسات الإعلامية وغير الإعلامية، ويستطيع القارئ الكريم أن يتابع عبر ماتضمنته هذه الورقة من رؤى وتحليلات ونقاشات أن العامل الاقتصادي ظل دائما يمثل عنصرا أساسيا للعملية الإعلامية رغم تغير الظروف والأزمان سواء في عهد الصحافة المطبوعة التي أشار إليها (ماكس فيبر) أم في عهد التركيز الاقتصادي والإمبراطوريات الإعلامية، أم في عهد مواقع التواصل الاجتماعي عبر شبكة الانترنت. وهكذا يمكن ملاحظة أن العامل الاقتصادي استمر تأثيره على الإعلام عبر كل التغيرات التي طرأت في مختلف المجالات، بل أن هذا التأثير الاقتصادي على الواقع الإعلامي ازداد وتنامت قوة الدور الذي يلعبه.

ذلك لا يعني الخلو إلى استنتاجات تتعلق بأية حتمية اقتصادية إعلامية لأنه في ظل ظروف ومعطيات سياسية واجتماعية وثقافية معينة من الممكن لوسائل إعلامية قليلة الكلفة الاقتصادية أن تسهم في إحداث تأثيرات كبرى مثلما عبر بعض الباحثين عن ثورة الخميني ضد شاه إيران والتي انتهت بتأسيس جمهورية إيران الإسلامية بأنها ثورة (الكاسيت) تعبيرا عن الدور الذي لعبته شرائط التسجيل الصوتي التي تحوي مواد تحريضية مسربة من قبل أنصار آية الله الخميني من منفاه في فرنسا، كما أن باحثين آخرين أشاروا إلي دور (الفيس بوك) في تأجيج ما يعرف بثورات الربيع العربي التي انتهت بإسقاط أنظمة سياسية في عدد من البلدان العربية عام 2011. بيد أن مثل هذه الاستنتاجات تحتاج إلى دراسات علمية تستهدف تقييم الدور الفعلي الذي يمكن أن يكون قد لعبه (الكاسيت) أو (الفيس بوك) في خضم مثل هذه التغيرات الكبرى.

9- تركز اهتمام هذه الورقة على محاولة تحقيق هدف أساسي يتمثل في تحديد العناصر الأساسية للعملية الاقتصادية الإعلامية، وبحث وتحليل العلاقات المحتملة بينها سواء في

الممارسة العملية للنشاط الاقتصادي الإعلامي أو في التخطيط للنشاط الاقتصادي الإعلامي وذلك بغية الوصول إلى فهم أفضل لهذا المجال الأساسي من مجالات الإعلام بشكل يسهم في مساعدة الدارسين لهذا الجانب المعرفي المهم ضمن التخصص الإعلامي، لأن ما يتوفر لدينا باللغة العربية من كتابات حول هذا الموضوع الجوهري قليل في عدده ومبعثر بين تخصصات اقتصادية وسياسية واجتماعية ونفسية وإدارية بالشكل الذي يعكسه اختلاف مناهج تدريس مادة اقتصاديات في مختلف كليات الإعلام وأقسامه؛ الأمر الذي يتطلب من مختلف الباحثين الإعلاميين في هذا المجال السعي إلى مزيد من البحث والتحصيص ليس فقط للأسس الاقتصادية للإعلام، بل أيضاً للنتائج الاقتصادية للعملية الإعلامية على مختلف المستويات الوطنية والإقليمية والدولية.

10- حاولت هذه الورقة من الناحية المنهجية الخروج عن المنهجيات التقليدية التي تعتمد إلى تحنيط البحث العلمي في طقوس إجرائية لا يمكن للباحث المحترم ألا أن يسير على دربها خطوة خطوة وفقاً لأسسها وقواعدها المقدسة؛ الأمر الذي يجعل البحث العلمي في كثير من الأوراق البحثية ورسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه يسير في اتجاه رتيب يبدأ من حرف الألف ولا يمكن له أن يصل إلى نهاية الحروف الأبجدية دون المرور بباقي الحروف ترتيباً مسلسلاً غير قابل للتحوير والتغيير، وهو موقف منهجي قابل لأن يصرف أنظار الباحثين الجدد عن حقيقة أن البحث العلمي عملية إبداعية حيث الإبداع يعني دائماً تشجيع باحثينا على تخطي الحواجز، وكسر الرتابة، والسعي إلى إيجاد رؤى جديدة، وسياقات جديدة، ومنهجيات وأساليب جديدة من أجل تحقيق فهم أفضل للظواهر الأساسية المرتبطة بحياة البشر.

ولعل المنهجية الأساس التي أكدت عليها هذه الورقة منذ البداية، تمثلت في النظرة التفاعلية للعلوم البشرية والتي تجسدت هنا في تفاعل بين علمي الإعلام والاقتصاد؛ ذلك أن مختلف الفروع العلمية تم اصطناعها من أجل تسهيل عملية البحث والمعرفة؛ فالعلم البشري واحد؛ لكن المخاطر تكمن دوماً في جعل أحد هذه العلوم قاعدة البناء وما عداها الصرح المعماري الذي يتأسس عليه. من هنا تكمن أهمية مثل هذه التوجهات المنهجية لكي تأتي بديلاً عن التوجهات التقليدية التي تعطي الانطباع لكل دارس لأي علم من العلوم بأن ما يدرسه هو محور الارتكاز وكل ما عداه ليس سوى البيئة الخارجية المحيطة.

كما حاولت هذه الورقة عرض مختلف الرؤى والتحليلات في شكل نقاشات للمحاور الأساسية التي أوردتها بشأن اقتصاديات الإعلام إيماناً من الباحث أن العلم الذي لا يناقش ليس علماً والمعرفة العلمية التي لا تجرى حولها حوارات ونقاشات لا تستحق إن توصف بأنها علمية حتى وإن كتبت بأقلام (كبار) الباحثين من أصحاب الألقاب العلمية الرفيعة والدرجات العلمية

العلی، ولكي نشجع باحثينا الجدد على التجديد والابتكار لابد لنا ان نقول لهم إن المعرفة العلمية التي قد تنتجها أبحاثنا ليست حقائق لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها، ولكنها محطات في عملية تطوير المعرفة البشرية لا مناص من مناقشتها لكي يتم تصويب الخاطئ منها وترسيخ ما قد يكون صائبا على أن نكون مستعدين دائما لدحضه متى توفرت لدينا معارف علمية جديدة تناقض ما كنا نظنه أساسا علميا راسخا.

هوامش ومراجع:

- (1) MARIE LUISE KIEFER. MEDIENOEKONOMIK: EINFUEHRUNG IN EINE OEKONOMISCHE THEORIE DER MEDIEN, R. OLDENBOURG VERLAG, MUENCHEN, WIEN 2001, S. 17
- (2) PAISLEY, W. COMMUNICATION RESEARCH AS A BEHAVIORAL DISCIPLINE, STANFORD 1972, P.23
- للمزيد حول هذه المسألة طالع ص ص 13.10: MARIE LUISE KEIFER.
- (3) MEDIENOEKONOMIK.
- (4) للمزيد حول السلع الإعلامية طالع نفس المرجع السابق ص ص 136 . 154.
- (5) Mc MANUS, J. MARKET- DRIVEN JOURNALISM: LET THE CITIZEN BEWARE ? THOUSAND OAKS, CAIFORNIA/ LONDON/ NEW DELHI 1994, P. 61.
- (6) حول الدورة الزمنية للسلع الإخبارية طالع: MATTHIAS KARMASIN. MEDIENOEKONOMIE, VERLAG NAUSNER 1998, S. 107.
- (7) حول مسألة تعدد الأنواع المختلفة من رأس المال راجع: PIERRE BOURDIEU. DIE VERBORGENEN MECHANISMEN DER MACHT. SCHRIFTEN ZU POLITIK UND KULTUR, VSA-VERLAG, HAMBURG 1997, S. 46-73.
- (8) HOPKINS, W. " THE SUPREME COURT DEFINES THE MARKETPLACE OF IDEAS " , IN: JOURNALISM QUARTERLY 73(1) SPRING 1996, PP. 40-52
- (9) Mc MANUS, J. MARKET- DRIVEN JOURNALISM, OP.CIT ,P.128
- (10) MARIE LUISE KIEFER. MEDIENOEKONOMIK. OP. CIT,P.194
- (11) PILGER, J. HIDDEN AGENDAS, VINTAGE BOOKS, LONDON 1998, P. 448
- (12) القرآن الكريم: الآية (26) من سورة المطففين، والآية (21) من سورة الحديد
- (13) ETZIONI, A. DIE FAIRE GESELLSCHAFT: JENSEITS VON SOZIALISMUS UND KAPITALISMUS, FISCHER VERLAG, FRANKFURT AM MAIN 1996,S. 221.
- (14) LARRY A. BEAR / RITA M. BEAR. FREE MARKETS, FINANCE, ETHICS, AND LAW, PRINTICE HALL 1994, P. 3.
- (15) HERMAN, E. TRIUMPH OF THE MARKET: ESSAYS ON ECONOMICS, POLITICS, AND THE MEDIA. BOSTON 1995, P. 119.
- (16) نفس المرجع السابق، ص 234.
- (17) فيليب كوتلر، كوتلر يتحدث عن التسويق، ترجمة فيصل عبدالله بابكر، مكتبة جرير، الرياض 2012، ص 59.
- (18) جون بيلغر، مرجع سابق، ص 49.
- (19) ARONWITZ, S. ETAL (EDS.). TECHNOSCIENCE AND CYBERCULTURE, NEW YORK / LONDON 1996, P. 185.
- (20) FORRESTER, V. DER TERROR DER ECONOMIE, MUENCHEN 1998./ HEILBRONER, R./ MILBERG, W. THE CRISIS OF VISION IN MODERN ECONOMIC THOUGHT, CAMBRIDGE 1995 / ALLEN, D. MEDIA WITHOUT DEMOCRACY AND WHAT TO DO ABOUT IT, WASHINGTON, D.C. 1991. / McMANUS, J. مرجع سابق

- (21) MARIE LUISE KIEFER. MEDIENOEKONOMIK. OP.CIT, PP. 111-110
- (22) MATTHIAS KARMASIN. MEDIENOEKONOMIE, OP.CIT, S. 173.
- (23) PETER A. BRUCK. MEDIENMANAGER STAAT. VON DEN VERSUCHEN DES STAATES, MEDIENVIELFALT ZU ERMOEGLICHEN. MEDIENPOLITIK IM INTERNATIONALEN VERGLEICH, VERLAG REINHARD FISCHER, MUENCHEN 1994.
- (24) نفس المرجع السابق، ص ص 276.279.
- (25) للمزيد طالع المرجع السابق، ص 445.
- (26) نفس المرجع السابق، ص 498.
- (27) نفس المرجع السابق، ص 460.
- (28) للمزيد طالع المرجع السابق، ص ص 474. 495.
- (29) راجع تفاصيل أخرى عن هذا النقد في نفس المرجع السابق، ص ص 551. 553.
- (30) هناك تقسيمات أخرى مشار إليها في فيليب كوتلر، كوتلر يتحدث عن التسويق، مرجع سابق، ص ص 94. 96.
- (31) Mc MANUS, J. MARKET- DRIVEN JOURNALISM, OP.CIT, P. 30
- (32) MARIE LUISE KIEFER. MEDIENOEKONOMIK, OP.CIT, P. 208
- (33) NAOMI KLEIN. NO LOGO. HARPER COLLINS PUBLISHERS, LONDON 2000, P. 119.
- (34) للمزيد حول هذه التوجهات طالع فيليب كوتلر، كوتلر يتحدث عن التسويق، مرجع سابق، ص ص 89. 98.
- (35) للمزيد حول مسألة الدعم الحكومي للمطبوعات في أوروبا، طالع: CHRISTINA HOLZ-BACHA. " PRESSEFOERDERUNG IM WESTEUROPAEISCHEN VERGLEICH" , IN PETER BRUCK. MEDIENMANAGER STAAT, OP.CIT, P. 549
- (36) تم بناء الجداول في هذا الجزء استنادا الى الأسس الواردة في: SPAETH, F. MEDIA - SEMINAR UNTERLAGEN
- مذكرات غير منشورة، كلية الاعلام وعلوم الاتصال، جامعة فيينا . النمسا، فصل الصيف 1992.
- (37) هذه العبارة مشار إليها في فيليب كوتلر. كوتلر يتحدث عن التسويق، مرجع سابق، ص 191.
- (38) هذا الاقتباس المنسوب الى (كينز) ورد في: GALBRAITH, J. THE CULTURE OF CONTENTMENT, BOSTON / NEW YORK 1992, P. 83.

بعض صور المتلقي الناقد في الأدب العربي

د. ثريا عيسى محمد

جامعة بني وليد

بعض صور المتلقي الناقد في الأدب العربي

د. ثريا عيسى محمد

جامعة بني وليد

المقدمة

يتناول هذا البحث صوراً للمتلقي الناقد في الأدب العربي، ويقف أولاً عند مصطلح المتلقي، ويحاول أن يعود إلى مصطلحات عربية قديمة تتلاءم مع هذا المصطلح، كالسامع والجمهور، وغيرهما. والهدف من البحث في هذا الموضوع هو تأصيل مفهوم المتلقي الناقد المستخدم في النقد الحديث؛ لإثبات وجوده في تراثنا النقدي القديم.

وقسم البحث قسمين: الأول نظري ويتضمن نبذة مختصرة عن التلقي شملت التعريف به وبمحاوره: المتلقي (المرسل إليه) والمبدع أو (المرسل) والنص أو (الرسالة).

أما القسم الثاني من البحث فتضمن الجانب التطبيقي الذي ركز على بعض النصوص الشعرية التي ألفت وانتقدتها، وبعض الشخصيات التي عاشت التجربة النقدية؛ ليرى دور المتلقي الناقد. ويصل أخيراً إلى أن النقد العربي القديم قد اهتم اهتماماً كبيراً بالمؤلف شاعراً أو ناثراً، وركز على بنية النص، وهو مع ذلك كله لم يهمل المتلقي من ومضات تناثرت هنا وهناك في ثنايا المظان النقدية، وبخاصة المتلقي (الناقد).

أولاً: المتلقي: اعتنى النقد العربي القديم بالمتلقي، وحث الشعراء على أن يكون شعرهم موجهاً إليه، فهو الموهل الذي يقف الأدب عنده، وإرضاءه هو الغاية التي يسعى إليها المبدع، فالنص الأدبي ليس من نتاج الأديب وحده بل من نتاج المتلقي أيضاً، وذلك بالأخذ بالملاحظات التي ترقى بالنص وتوجهه الوجهة الصحيحة. وعلى الشاعر معرفة الأدوات التي يجب أن يمتلكها عند إلقاء قصيدة على مسامع أصحاب السلطان، ففي هذه الحالة يكون الشاعر محاصراً بجملته من الأحكام، التي يراعي فيها آداب مخاطبة أولياء الأمور. والخروج على تلك الآداب يوقع الشاعر في مشكلة مع المتلقي الناقد الذي يسرع إلى تصيد المآخذ وتصحيحها.

التعريف بالمتلقي: وتتضمن هذه الدراسة مجموعة من الشخصيات التي عاشت التجربة النقدية أمثال النابغة الذبياني حين كان حكماً في سوق عكاظ، كما يتوقف عند أم جندب زوج امرئ القيس التي حكمت بين زوجها وعلقمة الفحل في وصف الفرس. وبعد ذلك توقفت الباحثة عند الرسول - صلى الله عليه وسلم - بصفته متلقياً مبدعاً، وهو خير المتلقين وأفضلهم على

الإطلاق. كما تتوقف عند عبد الملك بن مروان لكونه محباً للشعر عارفاً بأبوابه، ويخبرنا عن دوره في تلقي بعض الأبيات وموقفه منها، كما يتوقف عند الحجاج بن يوسف الثقفي، ثم سيف الدولة الحمداني بوصفهم متلقين نقاداً.

مما سبق نستنتج أنَّ النص هو نتاج تفاعل وتواصل مشترك بين المبدع والمتلقي، تتلاحم فيه مقدرة صاحب النتاج وخبرة المتلقي، وقد يؤدي هذا التلاحم الفني إلى إبداع جديد، يتسع له مجال النص⁽¹⁾.

هذا يعني أنَّ على المتلقي أن يُعمل فكره حتى يتضح له ما غمض من النص؛ لتحصل لديه المتعة الفنية وتتحقق ذاتيته؛ لأنَّ عملية التلقي تستدعي خبراته ومهاراته؛ لتتهض به إلى مهمة الكشف والإبانة عن المعاني والوصول إلى هذا المستوى؛ لتهيئ لكل متلقٍ ما لم يكن من أهل المعرفة والحق والخبرة الفنية، وفي المقابل يكون المبدع كذلك لتكون علاقة كل منهما بالآخر علاقة مزدوجة، تمتاز فيها مهارات الإبداع الفني لصاحب النص مع مهارات الخبرة في الغوص وراء المعاني عند المتلقي، وهذا ما ذكره عبد القاهر الجرجاني، وأكد أن النص لا يكشف عن أسرار ما لم يتهيأ له متلقٍ كالغواص الماهر الذي يبذل قصارى جهده باحثاً عن الأصداف للوصول إلى الجواهر واستخراجها، وأن هذا الغواص لن يعود من رحلته مع النص بطائل إلا إذا كان من أهل المعرفة والحق⁽²⁾.

وقد يتفق للقارئ أن يلتقي مع منشئ النص على فهم فردي واحد، ولكنه في كثير من الأحيان ينقاد بدوِّه الفردي إلى غير ما قصده المنشئ، وله كامل الحق في ذلك، وهكذا يصبح النص بالنسبة إلى القارئ منجماً يستخرج منه ما شاء من السبائك، ومنها سبائك لم ترد على بال المؤلف، ولا طافت له بخاطر، فحين قال أبو نواس:

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سُرًّا مَا أَمَكَّنَ الْجَهْرُ⁽³⁾

ترك لنا أن نستخرج معنى البيت، فهل قصد اشتراك كافة حواسه بالمعصية؟ لأن الشارب جهراً يخشى الخجل من الناس فلا يتم به السرور، ولأنه لا يكمل إلا بالحرية المطلقة، ولأن الشارب حينما يتناول الكأس يلمسها ويشمها وينظرها ويتذوقها فلم يبق إلا حاسة السمع فإذا قال له عند تقديمها له كملت لذة حواسه كلها⁽⁴⁾.

(1) ينظر قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية وتراثنا النقدي دراسة مقارنة، ص 109.

(2) ينظر أسرار البلاغة، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة - السعودية، ط1، 1991م، ص 152.

(3) شرح ديوان أبي نواس، تحقيق إيليا الحاوي، منشورات دار الكتب اللبناني، ط1، بيروت - لبنان، ص 391.

(4) ينظر بيان المعاني، عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني، ط1، دمشق - سوريا، 1965م، 445/3.

مما سبق يتضح أن ذلك كان دعوة منه إلى إشراك سمعه مع بقية جوارحه في الاستمتاع بالخمير، ويمكن أن يكون ذلك إعلاماً منه لعدم مزجها بالماء أو إعلاناً منه لتحدي تحريمها، فعلى المتلقي النافذ أن يشارك في بناء معنى النص، ولو خالف ما أراده المبدع أو الشاعر (أبو نواس).

ومن ذلك أيضاً أن أبا الطيب المتنبي كان إذا سئل عن معنى، أو توجيهه قاله قال عليكم بالشيخ ابن جني فسأله، فإنه يقول ما أردت وما لم أرد، والذي يعنينا قوله: (لم أرد) والذي يعني فعل التلقي الجيد الذي يشارك في كشف خبايا النص والغوص في معانيه، فقد نام المتنبي عن شواردها، وترك الناس يتخبطون في الأمر، ويختصمون في تفسير المفردات التي يستخدمها فقد قال:

أنام ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم (1)

وقد نقل عن المتنبي أنه قال لأحد علماء عصره: أتظن أن الشعر لهؤلاء الممدوحين، هؤلاء يكتفهم اليسير، وإنما عمله لك لتستحسنه، أي لك لأمثالك. (2)

مما سبق نخلص إلى إن عملية التواصل مبنية على أساس هذا الفهم المشترك؛ إذ يشترط وجود المتلقي في كل عملية تخاطب أدبي، وهذه الحقيقة التواصلية تعد أساساً ومنطلقاً لعالم واسع من الإنتاج والتلقي، إذ إن عملية التواصل والفهم المشترك من أكثر العمليات الأدبية دقة وصعوبة؛ لأنها تلخص العملية الإبداعية برمتها.

ثانياً - النص: ويقصد به الأشعار التي قيلت في مناسبة ما وانتقدتها بعض من حضرها، وهناك أمور يجب توفرها في النص لخصها ابن رشيق القيرواني (456هـ) في قوله: "أقول ما يحتاج إليه الشاعر بعد الجد الذي هو الغاية، وفيه وحدة الكفاية. حسن التأتي والسياسة، وعلم مقاصد القول؛ فإن نسب ذل وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أقل وأوجع، وإن فخر خب ووضع، وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف حن ورجع، ولتكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائناً ما كان؛ ليدخل إليه من بابه، ويدخله في ثيابه، وذلك هو سر صناعة الشعر، ومغزاه الذي به تفاوت الناس و به تفاضلو. وقد قيل لكل مقام مقال" (3)

(1) ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح الواحدي، تحقيق عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان 693/2.

(2) ينظر تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي، اختصار أبي المرشد سليمان بن علي المعري، تحقيق مجاهد محمد محمود الصواف، محسن غياض عجيل، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، 1979م، ص 9.

(3) العمدة 1/ 364، 365.

نستنتج مما سبق أنه على الشاعر تلافي الأخطاء الموجودة في القصيدة قبل إلقائها، وفي ذلك حرص من المبدع على إرضاء المتلقي وعدم انتقاده للقصيدة، ليحدث القبول والاستحسان من قبل المتلقي.

ثالثاً - المبدع:

ويتضمن هذا الجانب مجموعة من الشخصيات، أمثال الأعشى والخنساء وحسان بن ثابت حين أنشدوا قصائدهم للنابغة الذبياني في سوق عكاظ، كما يتوقف عند امرئ القيس وعلقة الفحل عندما تحاكما عند أم جندب زوج امرئ القيس التي حكمت بين زوجها وعلقة في وصف الفرس. وبعد ذلك توقفت الباحثة عند النابغة الجعدي و ليلي الأخيلية والمتنبي. وسبب هذا المحور تفاعل المتلقي الناقد مع النص الشعري، والأثر الذي يمكن أن يتركه في الأبيات التي تلقاها .

القسم الثاني من البحث: الجانب التطبيقي

لعل من مقتضيات هذه الدراسة التوقف عند أنواع من المتلقين، وبحسب المنهج التاريخي نبدأ الحديث بمتلقي من العصر الجاهلي.

أولاً العصر الجاهلي: نذكر هنا نابغة بني ذبيان الشاعر الفحل الذي كانت تضرب له قبة حمراء في سوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض عليه أشعارها، ومن هؤلاء الشعراء الأعشى ميمون بن قيس أبو بصير حيث أنشده قصيدته التي⁽¹⁾ يقول في مطلعها:

ما بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي، فهل تزد سؤالي؟⁽²⁾

ثم جاء حسان بن ثابت فأنشده قصيدته الميمية التي يقول في مطلعها:

ألم تسأل الرّبع الجديد التكلماً بمدفع أشداخ، فبرقة أظلم⁽³⁾

حتى قال في القصيدة نفسها:

لنا الجفّات الغرّ يلْمَعْنَ بالضّحى وأسيفنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني مُحَرِّقٍ فأكرم بنا حالا وأكرم بذا أبنا⁽¹⁾

(1) ديوان النابغة الذبياني، شرح وتقديم عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1984م، ص4.

(2) ديوان الأعشى، شرح يوسف شكري فرحات، دار الجبل، بيروت - لبنان، ط1، 1992م، ص244.

(3) ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار صادر، دار بيروت، 1961م، ص218. المدفع: مجرى السيل، أشداخ: واد، برقة أظلم: موضع الصفحة نفسها.

ثم جاءت الخنساء فأنشدته قصيدتها التي تقول فيها:

قذى بعينك أم بالعين عوارُ أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدارُ⁽²⁾

فقال النابغة: والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفاً لقلت: إنك أشعر الجن والإنس، فأثار هذا الحكم حفيظة الشاعر حسان بن ثابت فقال: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك، فقال: يا ابن أخي إنك لا تحسن أن تقول⁽³⁾ مثل قلبي:

فإنك كالليل الذي هو مُدركي وإن خلت أن المُنْتأى عنك واسعُ
خطاطيفُ حجنٍ في حبال متينة تتمدُّ بها أيدٍ إليك نوازعُ⁽⁴⁾

فالنابغة هنا ولد نصاً نقدياً من خلال استماعه إلى قصائد الشعراء، وحكم عليها حكماً معلاً، فقد قال: يا ابن أخي أنت شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيفك وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. وفي رواية أخرى أنه قال له: إنك قلت (الجففات) فقللت العدد، ولو قلت (الجفان) لكان أكثر، وقلت: (يلمعن بالضحي)، ولو قلت (يبرقن بالدجى) لكان أبلغ في المديح؛ لأن الضيف في الليل أكثر. وقلت: (يقطرن من نجدة دماً) فدللت على قلة القتل، ولو قلت (يجرين) لكان أكثر لانصباب الدم. وفخرت بمن ولدت ولم تفتخر بمن ولدك. فقام حسان منكسراً منقطعاً. وقال بعضهم⁽⁵⁾: وفرط حسان في قوله: (الجففات) لأنها دون العشرة، وهو يقدر أن يقول: لدينا (الجفان)؛ لأن العدد القليل لا يفتخر به. وكذلك قوله: (وأسيافنا) لأنها دون العشرة، وهو قادر أن يقول: وبيض لنا. وفرط في قوله: (الغر) لأن السود أمدح من البيض، لأجل الدهن وكثرة القرى فيهن، وفرط في قوله: (بالضحى)، وهو قادر على أن يقول في (الدجى)، لأن كل شيء يلمع في الضحى. وفرط في قوله: (يقطرن)، وهو قادر على أن يقول: (يجرين)، لأن القطر قطرة بعد قطرة. وقال قدامة: أراد بقوله الغر المشهورات. وقال (بالضحى) لأنه لا يلمع فيه إلا عظيم ساطع الضوء، والدجى يلمع فيه يسير النور. وأما أسياف وجففات فإنه قد يوضع القليل موضع الكثير،

(1) المصدر السابق نفسه، ص 220، 221. العنقاء: هو ثعلبة بن عمرو مزقياء ابن ماء السماء. المحرق: الحارث بن عمرو مزقياء. وكان أول من عاقب بالنار. الجففات: القصاع. الغر: البيض من كثرة الشحم الذي فيها، وهذا دليل على الكرم فهو يفخر بكرم قومه.

(2) ديوان الخنساء، دار الأندلس بيروت - لبنان، ط 5، ص 49.

(3) ديوان النابغة الذبياني، ص 4.

(4) المصدر السابق، ص 56.

(5) هو أسامة بن منقذ في باب التبريط من كتاب البديع.

كما قال سبحانه: (لهم جناتٌ ودرجات) وقوله: يقطرن دماً هو المعروف والمألوف، فلو قال يجرين لخرج عن العادة. و ينوب قطر عن جرى. (1)

إن حكم النابغة للخنساء بالتفوق لا يحط من شأن حسان بن ثابت البتة، فهو أكبر الشعراء المخضرمين وسيدهم، وهو سيدنا لأنه صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم وشاعره، وإنما هو خلاف فني فحسب .

يمكننا أن نحتكم هنا أيضاً إلى متلفية في العصر الجاهلي؛ فقد ذكر المرزباني أن امرأ القيس وعلقمة بن عبده الملقب بالفحل تنازعا في الشعر أيهما أشعر، فقال كل واحد منهما لصاحبه: (أنا أشعر منك)، فاحتكما إلى أم جندب زوج امرئ القيس فقالت لهما: قولاً شعراً تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة وروي واحد⁽²⁾ فأنشد امرؤ القيس قصيدته التي يقول فيها :

خَلِيلِي مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدَبٍ نَقَضِي لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعْدَبِ⁽³⁾

إلى أن قال:

فَلِلْسَاقِ الْأُهُوبِ وَلِلسُّوْطِ دَرَّةٌ وَلِلزَّجْرِ مِنْهُ وَقَعُ أُخْرَجَ مُنْعَبِ⁽⁴⁾

وقال علقمة قصيدته التي يقول مطلعها :

ذَهَبَتْ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي غَيْرِ مَذْهَبٍ وَلَمْ يَكْ حَقّاً كُلُّ هَذَا التَّجْنِبِ⁽⁵⁾

إلى أن قال:

فَأَدْرَكَهُنَّ ثَانِيّاً مِنْ عَنَانِهِ يَمُرُّ كَمَرِّ الرَّائِحِ الْمُتَحَلِّبِ⁽¹⁾

(1) ينظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط4، 1997م، 3/144-146.

(2) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، أبو عبيد الله بن عمران المرزباني، تحقيق محب الدين الخطيب، ط2، المطبعة السلفية، القاهرة . مصر، 1343هـ ص 26.

(3) ديوان امرئ القيس، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت - لبنان، 2005م، ص 71،

(4) ديوان امرئ القيس، ص 80 صح الألهوب: الزجر بالسوط، الدرة: الدفعة، الأهوج: الأحق، المنعب: اسم مفعول من نَعَبَ: أي: صاح وقيل المنعب: الذي يستعين بعنقه في الجري ويمده؛ وقيل بل هو المصاح عليه من النعيب وهو التصويت. والمعنى إذا حرك جواده بساقه ألهب جريه، أي: أتى بجري شديد كالتهاب النار، وإذا ضربه بالسوط أسرع و درّ بالجري، وإذا انتهزه وقع زجره منه موضعه من الأهوج الذي لا عقل له، ص80.

(5) ديوان علقمة الفحل، تحقيق لطفي الصقال و درية الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب، ط1، 1969م. ص79.

فقلت لامرئ القيس: علقمة أشعر منك. قال: وكيف؟ قالت: لأنك جهدت فرسك بسوطك في زجرِك، ومريته بساقك فأتعبته. أما علقمة فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه، لم يضربه بسوط، ولم يتعبه. (2)

وفي رواية أخرى أنها قالت لامرئ القيس: هو أشعر منك. رأيتك ضربت فرسك بسوطك وحركته بساقك وزجرته بصوتك، ورأيتك أدرك الصيد ثانياً عنانه يمر كمرِّ الرّاح المتحلب. فخلّى سبيلها لما فضلت علقمة عليه. (3)

فأمّ جندب هنا تتلقى النصين معاً، ثم تحكم حكماً موضوعياً معللاً نتيجة لهذا التلقي، وإن كانت نتيجة هذا الحكم الناقد لزوجها طلاقها.

ثانياً العصر الإسلامي: إذا وصلنا إلى العصر الإسلامي، فخير متلق وموجه نتحدث عنه هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي كان يشارك في إغناء المعنى الشعري، وتوضيحه، وتوجيهه، وتحديد به يتلاءم مع النص، والأخبار التي روتها كتب الأدب والسير كثيرة وغنية جداً، ولكن لا بد من الاختيار في هذا المقام الضيق والسريع، نذكر على سبيل المثال ما حدث مع النابغة الجعدي حين أنشده قصيدته التي يقول فيها:

وإنا لقوم ما نعوذُ خيَلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
ونُكر يوم الزوع ألوان خيَلنا من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا
بلَغنا السماء مَجْدنا وجدودنا وإنا لنرجو فوق ذلك مَظَهراً (4)

فقال الرسول: إلى أين يا أبا ليلى؟ فقال: إلى الجنة، فقال: نعم إن شاء الله (5).

مما سبق يُلاحظ أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - محاور كريم وموجه لا ينطق عن الهوى، يدرك بما آتاه الله من الفطنة والذكاء والبلاغة عظيم اللفظ وشريف المعنى، فهو يستمع إلى الشعر، ويحاور الشاعر في المعاني التي يتناولها، والتي هي ذات مقاربة دينية. تجسد في شخصه الكريم المتلقي الناقد الذي يسأل ويوجه، ويستحسن الجواب الصحيح.

(1) المصدر السابق ص 95. يقصد بقوله: أدركهن: أي أدرك الفرس الصيد، وفي الشطر الثاني شبه فرسه في سرعته وخفته بمطر العشي؛ لأن المطر أغزر ما يكون بالعشي، وأراد بـ(الرائح) سحاباً أو عارضاً يروح، أي: يأتي عشيّاً، والمتحلب: المتساقط المتتابع. ينظر المصدر السابق، ص 94، 95.

(2) ينظر المصدر السابق، ص 7. الموشح، ص 27.

(3) ينظر الموشح، ص 28، 29.

(4) ديوان النابغة الجعدي، تحقيق واضح الصمد، دار صادر، بيروت. لبنان، ط 1، 1998م، ص 10. العمدة

(5) المصدر السابق، ص 10.

وفي مقام آخر نرى صدره ينشرح عند استماعه إلى جواب سريع صائب من النابغة، ويشجعه بعبارة (لا يفضض الله فاك) حين سمع قوله: (1)

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرًا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرًا (2)

فقضت له دعوة الرسول، وسبب ذلك شعره؛ فقد قيل: إنه كان من أحسن الناس ثغراً، بالرغم من أنه عاش مئة واثنى عشرة سنة، وكان إذا سقطت له سن نبتت أخرى. (3)

ثالثاً العصر الأموي: إذا وقفنا عند عصر بني أمية طالعنا عبد الملك بن مروان بحبه للشعر والشعراء، وألمعيته في التلقي والنقد معاً، وبخاصة أنه جمع بين فحول عصره: الأخطل والفرزدق وجريز، واستمع إليهم وحاورهم، ونذكر هنا على سبيل المثال تفضيل عبد الملك بن مروان بيت للأعشى بالغ فيه في وصف الشجاعة على قول كثير عزة (4):

على ابن أبي العاص دلاص حصينة أجاد المسدي سردها وأذالها
يؤود ضعيف القوم حمل قتيورها ويستطلع القرم الأشم احتمالها (5)
فقد قال له الخليفة: قول الأعشى لقيس بن معدي كرب أحب إلي من قولك .

وفي رواية أخرى أنه قال: ألا قلت كما قال الأعشى:

وإذا تجيء كتيبة ملمومة خرساء يغشي من يؤود نهالها
كنت المقدّم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلماً أبطالها (6) (7)

(1) المصدر السابق، ص 11.

(2) المصدر السابق، ص 10، 11.

(3) المصدر السابق، ص 11.

(4) ديوان كثير عزة، جمعه وشرحه إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971م ص 85 .

(5) ابن أبي العاص: يقصد به عبد الملك بن مروان بن أبي العاص، دلاص: درع دلاص من دروع المدينة البراقة الملساء، حصينة: الأمانة المحكمة، المسدي: سدي الدرع نسجه، السرد: حلق الدرع وهي مسرودة، وذلك لتقدير صانعها أطراف الحلق حتى لا تنفصم فتظل الدروع متسقة متتابعة الحلق أذالها: أزال الدرع أطال ذيلها وأطرافها، والذائل الدرع الطويل الذيل، وهو مما يستحسن، يؤود: يثقل، القتيير: رؤوس المسامير في الدرع، يستطلع: يضطلع أي يقوى على حملها، القرم الأشم: الرجل العظيم ذو المكانة العالية . ينظر نقد الشعر، أبو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة . مصر، ط3، 1978م، ص 69 .

(6) ديوان الأعشى، ص 232.

(7) الكتيبة: القطعة العظيمة من الجيش تجمعت فيها الخيل وتضاعفت، ملمومة: مجمعة مضمومة بعضها إلى بعض، وذلك أشد لبأسها، من يؤود: أي: من يحمي ويدافع عن الحمى، نهالها: جمع ناهل وهو العطشان

فقال: يا أمير المؤمنين وصفتك بالحزم والعزم، ووصف الأعشى بمدوحه (قيس بن معدي كرب) بالطيش والخرق والتغدير.

ويمكن أن يكون هذا دليل على خبث الشاعر؛ فهو يزعم أنه يهزأ بالخليفة ويأخذ منه الأموال، ولكن ما يُضعف هذا الرأي هو أن الخليفة عربي ويعرف الشاعر جيداً، ويعرف مذهبه في التقية. فضل عبد الملك بن مروان صورة الفتى العربي في الشجاعة، تلك الصورة المنتزعة مما يؤمن به العربي من أن الشجاع حقاً هو المقدم في الحرب بدون دروع.⁽¹⁾ وقد ذكر المرزباني تفضيل أهل العلم بالشعر قول الأعشى في هذا المعنى على قول كثير عزة، والسبب في ذلك أن المبالغة في هذا الأمر أفضل، والأعشى بالغ في وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جنة والتي تعني الحماية، وإن كان لبس الجنة أولى بالحزم، وأحق بالصواب، ففي وصف الأعشى دليل قوي على شدة شجاعة قيس بن معدي كرب؛ لأن الصواب له ولا لغيره إلا لبس الجنة، وقول كثير يقصر عن الوصف⁽²⁾.

يوجه عبد الملك الشعراء إلى التعبير عما يريده، وهو يطلب ذلك منهم صراحة فيقول: "يا معشر الشعراء تشبهونا مرةً بالأسد الأبحر، ومرةً بالجبل الأوعر، ومرةً بالبحر الأجاج، ألا قلتم فينا كما قال أيمن بن خريم في بني هاشم:

نهاركم مكابدةً وصوم	وليلكم صلاةً واقتراء
وليتم بالقرآن والتزكي	فأسرع فيكم ذاك البلاء
بكي نجد غداة غد عليكم	ومكة والمدينة والجواء
وحق لكل أرض فارقوها	عليكم لا أبا لكم البكاء " (3)

تبرز هنا شخصية المتلقي الناقد الذي يجعل الشعراء يصبون جل اهتمامهم على معانٍ تُلَاقِي قبولاً في نفسه. فيمنحها ذلك خصوصية أكبر وجمالية تلامس ذات المتلقي لتحظى بإعجابه. مما سبق نلاحظ أن الخليفة يحب أن يوصف بالصيام والقيام وقراءة القرآن، لا أن يوصف ويشبه بالحيوانات مهما تكن جهة الوصف. وفي هذا نقد لما قيل في حضرته، وتوجيه للشعراء بأن يركزوا على معانٍ خاصة يرغب عبد الملك والذي جسّد صورة المتلقي الناقد في سماعها.

وأراد أن يقول: إن الرماح تعطش إلى الدم، فإذا شرعت فيه رويت. يصف ما في هذه الكتيبة من البأس والقوة، المقدم: الشديد الإقدام على العدو لشجاعته، الجنة: الدرع الذي يلبس لحماية المقاتل من الطعنات، معلماً: يعلم مكانه في الحرب لأنه وضع علامة يُعرف بها من صوف أو عمامة ذات لون مميز، وهذا ما كان يفعله الشجعان لأنهم لا يخافون قصد العدو لهم. ينظر نقد الشعر ص 70.

(1) ينظر الخليفة عبد الملك بن مروان الناقد الأديب ص 219، 220.

(2) ينظر الموشح، ص 231، 232.

(3) الأغاني 196/20.

وباستعراضنا لهذه الوقفة عند عبد الملك وهو متلق ناقد نجده لا يكتفي بأن يطرب لمأثور القول، أو يغضب لما قد يحتاج لتأويل سيئ لديه، ولكنه يحكم ويعلق ويوجه بما يدل على درايته بالشعر وخبرته بفنون القول وتشعباته، ولذلك فإنه متلق ناقد حقاً.

وليس الحجاج بن يوسف الثقفي ببعيد عن ذوق المتلقي وقدرته على النقد والاختيار والإبداع والحكم على النص الأدبي، فقد جسد شخصية المتلقي الناقد تجسيدا رائعاً عندما استمع لليلى الأخيلية التي كانت على علاقة وثيقة به وبالأمويين عامة؛ فقد ذكر أنها دخلت ذات يوم على الحجاج، فسلمت فرد عليها ورحب بها، وبعد جلوسها سألها عن سبب مجيئها فقالت السلام على الأمير والقضاء لحقه والتعرض لمعروفه، ثم قال لها: وكيف خلفت قومك؟ قالت تركتهم في حال خصب وأمن ودعة، أما الخصب ففي الأموال والكلاء، وأما الأمن فقد أمنه الله عز وجل، وأما الدعة فقد خامرهم من خوفك ما أصلح بينهم، ثم قالت: ألا أنشدك؟ فقال: إذا شئت، فأنشدته ومما قالت:

إذا هبَّ الحجاج أرضاً مريضةً تتبَّع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها غلام إذا هز القناة سقاها
سقاها دماء المارقين وعلَّها إذا جمحت يوماً وخفیف أذاها⁽¹⁾
إذا سمع الحجاج رز⁽²⁾ كتيبة أعد لها قبل النزول قراها⁽³⁾

فانتقدها؛ فقد قيل: إن ليلى لما قالت: (غلام إذا هز القناة سقاها) قال لها: لا تقولي غلام وقولي همام، وأمر لها بمائتين فقالت: زدني. فقال: اجعلوها ثلثمائة. فقال بعض جلسائه: إنها غنم. قالت الأمير أكرم من ذلك وأعظم قدراً من أن يأمر لي إلا بالابل. قال: فاستح وأمر لها بثلثمائة بغير وإنما كان أمر لها بغنم لا ابل.

ثم قال: ما أشعرها. وأقبل على جلسائه فقال لهم: أتدرون من هذه. قالوا: لا، ولكننا والله ما رأينا امرأة أفصح ولا أبلغ منها، ولا أحسن إنشاداً. قال: هذه ليلى الأخيلية، ولما كان الصباح قال الحجاج لحاجبه مر لها بخمسمائة درهم واكسها خمسة أثواب أحدها خز، ثم قالت: أصلح الله الأمير قد أضر بنا العريف في الصدقة، وقد خربت بلادنا وانكسرت قلوبنا فأخذ خيار المال، فقال الحجاج: اكتبوا إلى صاحب اليمامة بعزل العريف الذي شكته.⁽⁴⁾

(1) المارقين: الخارجين على سلطانه . العلل: الشربة الثانية أو الشرب بعد الشرب تباعاً . ينظر ديوان ليلى الأخيلية، تحقيق خليل إبراهيم العطية، جليل العطية، دار الجمهورية، بغداد - العراق، 1967م، ص121.

(2) الرز: الصوت تسمعه من بعيد . ينظر المصدر السابق، ص121.

(3) المصدر السابق ص121.

(4) ينظر الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، زينب فواز، المطبعة الكبرى الأميرية- مصر، ط1، 1312هـ،

وجاء في الديوان أنه " قيل: لما بلغت ليلى هذا البيت عقب الحجاج قائلاً: لا تقولي: غلام، قولي همام".⁽¹⁾

مما سبق نلاحظ أن الحجاج لما سمع البيت السابق فضل أن تستبدل لفظة (غلام) بلفظة (همام)؛ فلفظة (غلام) لم تعجبه؛ لأنها لفظة تُرادف صغر السن الذي عادة ما يُرافقه الجهل وعدم الخبرة والدراية بخبايا الأمور، وتُشعر بالصبوة والطيش، ولذلك لم تعجبه فاستبدلها بلفظة أخرى نالت استحسانه. تدخل الحجاج في بنية البيت الشعري، وصحح ما رآه غير مناسب لوصفه كوالي من ولاية الأمويين الذين يُحسب لهم ألف حساب؛ من حيث القوة والسطوة والجبروت، والبلاغة والفصاحة، فشخصية قوية كشخصية الحجاج لا يعقل بأن تقبل بوصف كهذا، فكان لابد من التدخل ونقد البيت الشعري الذي لم يستحسنه، وهذا التدخل تدخل إنتاجي إبداعي، وهو النقد البناء الذي يهدف إلى نقد الشعر وجعله أكثر قبولاً واستحساناً.

رابعاً العصر العباسي: إذا وقفنا عند العصر العباسي طالعنا بنو حمدان الذين عُرفت ألسنة ملوكهم وأمراءهم بالفصاحة، وأيديهم بالسماحة، وعقولهم بالرجاحة، وسيف الدولة مشهور بواسطة قلاتهم، وحضرته مقصد الوفود، ومطلع الجود، وقبلة الآمال، ومحط الرحال، وموسم الأدباء، وحلبة الشعراء، ويقال: إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك - بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر، ونجوم الدهر، وكان أديباً شاعراً محباً لحيد القول، شديد الاهتزاز للشعر الذي يُمدح به⁽²⁾؛ فقد عُرف بحبه للشعر والشعراء، وألمعيته في التلقي والنقد معاً، وبخاصة أنه اجتمع في بلاطه كبار شعراء عصره أمثال المتنبّي وأبي فراس الحمداني وغيرهما، ونذكر هنا على سبيل المثال ما حدث عندما استشهد سيف الدولة المتنبّي قصيدته التي أولها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم⁽³⁾

وقد كان سيف الدولة معجباً بها كثير الاستعادة لها، فاندفع المتنبّي ينشدها فلما بلغ قوله:

وقفت وما في الموت شكّ لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضّاح وثغرك باسم⁽⁴⁾

قال سيف الدولة: قد انتقدنا عليك هذين البيتين، كما انتقدنا على امرئ القيس بيتاه

كأني لم أركب جواداً للذة ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال⁽⁵⁾

(1) ديوان ليلى الأخيلية، ص 121.

(2) ينظر يتيمة الدهر 4/1.

(3) ديوان أبي الطيب المتنبّي، 784/2.

(4) المصدر السابق، 790/2-791.

(5) اتبطن: أعلو. الكاعب: الفتاة الناهد. ينظر يتيمة الدهر 43/1.

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل لخليلي: كُري بعد إجفال⁽¹⁾ (2)
 وبيتاك لا يلتئم شطراهما، كما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين، وكان ينبغي لامرئ القيس أن يقول:
 كأني لم أركب جواداً ولم أقل لخليلي كُري بعد إجفال
 ولم أسبأ الزق الروي للذة ولم اتبطن كاعباً ذات خلخال
 ولك أن تقول:

وقفت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضّاح وثغرك باسم
 تمر بك الأبطال كلمى هزيمة كأنك في جفن الردى وهو نائم
 فقال: أيد الله مولانا إن صحّ الذي استدرك على امرئ القيس هذا كان أعلم منه، فقد أخطأ امرؤ
 القيس وأخطأت أنا، ومولانا يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز⁽³⁾ معرفة الحائك⁽⁴⁾، لأن البزاز يعرف
 جملة والحائك يعرف جملة وتقاريعه، لأنه الذي أخرجه من الغزلية إلى الثوبية، وإنما قرن امرؤ
 القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن الساحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة في
 منازلة الأعداء، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت اتبعته بذكر الردى وهو الموت ليجانسه،
 ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً، وعينه من أن تكون باكية، قلت:
 (ووجهك وضّاح وثغرك باسم) لأجمع بين الأضداد في المعنى، وإن لم يتسع اللفظ لجميعها.
 فأعجب سيف الدولة بقوله، ووصله بخمسين دينار من دنانير الصلات، وفيها خمسمائة
 دينار.⁽⁵⁾

البيت الأول كما أراده سيف الدولة له معنى جميل جداً، فالوقوف مبتسماً في وجه الموت هو أبلغ
 مظاهر الشجاعة والهيبة، لكن البيت الثاني من وجهة نظري فقد معناه، فبناء البيت يتكك إذا
 أبدلنا العجزين والمعنى يختل. لذلك يبقى بيتا المتنبي كما هما أفضل، فلا أجمل من أن تهزأ
 بالموت، وتصمد وتهزم بابتسامتك الأبطال. ونذكر هنا موقف آخر من المواقف الكثيرة - والتي

(1) اسبأ: اشتري . الزق: دن الخمر أو وعائه. الروي: المملوء . الإجفال: الانهزام في سرعة. ينظر المصدر السابق 43/1.

(2) ديوان امرئ القيس، ص 65. المقصود بالبيت ذهب عني الشباب، وتغير حالي، وكأني لم أتلذذ بالكواكب
 ذوات الحلي، وبركوب الخيل للصيد؛ وكأني لم أشتري الزق المملوء خمراً، ولم أعطف في إثر من انهزم من
 أصحابي على العدو وأكرّ عليهم، والإجفال: الانهزام والانقلاع من الموضع بسرعة. ينظر ديوان امرئ
 القيس، ص 65.

(3) البزاز: بائع الثياب، وحرفته البزازة. ينظر لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن
 منظور الأنصاري، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ . مادة (بزز).

(4) الحائك: حاك الثوب بمعنى نسجه والحيكة حرفته. ينظر المصدر السابق، مادة (حيك).

(5) ينظر يتيمة الدهر 44/1 .

لا يتسع المقام لذكرها كلها - والتي كان سيف الدولة ينتقد فيها الشعراء؛ فقد كان أبو بكر وأبو عثمان الخالديان⁽¹⁾ من خواص شعراء سيف الدولة، فبعث إليهما مرة وصيفة ووصيفاً، ومع كل واحد منهما بدرة⁽²⁾ وتخت من ثياب مصر، فقال أحدهما من قصيدة طويلة، وهي:

لم يَغْدُ شَكْرُكَ فِي الْخَلَائِقِ مَطْلَقاً إِلَّا وَمَالِكَ فِي النَّوَالِ حَبِيبُ
خَوَّلْتَنَا شَمْساً وَبَدراً أَشْرَقَتْ بِهِمَا لَدَيْنَا الظُّلْمَةُ الْحَنْدِيسُ⁽³⁾

رَشْأُ أَتَانَا وَهُوَ حَسَناً يَوْسُفُ وَغَزَالَةٌ هِيَ بِهَجَةٍ بَلْقِيسُ
هَذَا، وَلَمْ تَقْنَعْ بِذَاكَ وَهَذَا حَتَّى بَعَثْتَ الْمَالَ وَهُوَ نَفِيسُ
أَتَتْ الْوَصِيفَةُ وَهِيَ تَحْمِلُ بَدْرَةَ وَأَتَى عَلَى ظَهْرِ الْوَصِيفِ الْكَيْسُ⁽⁴⁾

وَكَسَوْتَنَا مِمَّا أَجَادَتْ حَوَكُهُ مَصْرُ، وَزَادَتْ حَسَنَهُ تَنْيِسُ⁽⁵⁾

فَغَدَا لَنَا مِنْ جُودِكَ الْمَأْكُولُ وَالْمَشْرُوبُ وَالْمَنْكُوحُ وَالْمَلْبُوسُ⁽⁶⁾

فقال له سيف الدولة: أحسنت إلا في لفظة (المنكوح)، فليست مما يخاطب بها الملوك، وهذا من عجيب نقده. ⁽⁸⁾

(1) هما الأخوين أبو بكر محمد الخالدي، توفي سنة 380هـ، وهو الأخ الأكبر، أما الأصغر فهو أبو عثمان سعيد الخالدي، توفي سنة 390هـ، اجتمعا على كل مشرب، واتفقا في كل غاية، ونطقا بلسان واحد، يقرن ذكرهما معاً ولا يفصل بينهما ولذلك كانت ترجمتهما واحدة في هذا البحث، اقتداءً بكتب التراجم التي فعلت هذا، ونسب الشعر إلى كليهما، هناك من يقول: إنها نسبا إلى الخالدية، وهي قرية قرب الموصل، وذكر أنهما نُسبا إلى خالد بن عبد القيس، فاشتهرا باسم الخالديين. ينظر مقدمة ديوان الخالديين ص 9-10.

(2) البدر: صرة أو كيس يوضع فيه الدراهم. ينظر يتيمة الدهر 44/1.

(3) الحنديس: الليل الشديد الظلمة. ينظر المصدر السابق، 45/1.

(4) الوصيفة: الجارية. الوصيف: الخادم. ينظر المصدر السابق 45/1.

(5) حوكه: الحوك: النسج. تنيس: مدينة بمصر اشتهرت بالنسج. ينظر المصدر السابق 45/1. وقيل: إنها جزيرة في بحر مصر، قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط. ينظر ديوان الخالديين لأبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدي، تحقيق سامي الدهان، دمشق - سوريا، 1969م، ص 163.

(6) ديوان الخالديين، ص 162، 163.

(7) وجدت هذه الأبيات في ديوان الخالديين تحت عنوان هو (تنمة ديوان الخالديين) وأشار المؤلف إلى أن فيه الشعر الذي نسبته الكتب والمصادر إلى الأخوين معاً ولم ينفرد فيه أحد عن الآخر. ينظر المصدر السابق ص 153.

(8) ينظر يتيمة الدهر 45/1. وينظر ديوان الخالديين، ص 162، 163.

ويمكننا هنا أن نكتفي بهذه الأمثلة القليلة عن بعض صور المتلقي الناقد في نقدنا العربي القديم لندلل على هيئته في بعض الصور والأخبار التي سقناها تمثيلاً لا حصراً؛ بسبب ضيق المقام.

الخاتمة

حاول هذا البحث الربط بين مصطلح من مصطلحات نظرية التلقي الحديثة؛ وهو (المتلقي الناقد) وردود فعل بعض المتلقين من أدبنا العربي على بعض الأبيات الشعرية؛ كتجسيد لصورة موجزة عن المتلقي الناقد في تراثنا النقدي القديم، وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى أن هناك تفاعلاً وتواصلًا بين المتلقي الناقد والشاعر، ويتجلى ذلك في ردود فعله التي تدل على تذوقه للنص وتبين مواطن القبح والجمال فيه.

اهتمّ المتلقي في الأدب العربي بتقويم الأعمال الأدبية ونقدها، وكان الأساس الذي يستند عليه في الحكم عليها؛ معرفته بها والذوق السليم يدعمه طول ممارسة الآثار الأدبية وثقافته الواسعة، وبذلك يتسنى له تفهم معاني الشعر و تقبله ومن ثم نقده على أساس صحيح. اهتم النقاد العرب القدماء اهتماماً كبيراً بالمتلقي بمراعاة مقتضى الحال، فعلى الشاعر أن يختار كلامه بما يناسب المقام أولاً، وبما يناسب المتلقي ثانياً. وهذا دليل واضح على اهتمام النقاد العرب القدماء بالمتلقي لأنه أساس العملية الإبداعية. وهكذا نجد أن التراث العربي بما فيه من شعر ونثر وأحكام وموازنات لم يهمل أي طرف من أطراف الإبداع، تحدث النقد عن الشاعر وحياته وترجماته، والكاتب كذلك، ولم يهمل النص الذي وقف عنده طويلاً وفند ما فيه من معانٍ، وقدم وآخر وناقش المعنى الواحد عند أصحاب الآراء المتعارضة كما جعل النص واضحاً جلياً في أذهان القراء، كما أن هؤلاء النقاد قد تحدثوا عن دور المتلقي أو السامع أو القارئ، وذكروا أخباراً متنوعة مختلفة باختلاف المتلقين، وكان لأصحاب المصنفات من النقد دور واسع في هذا المجال. وهكذا يتجلى للمطلع دور النقاد العرب القدماء في إبراز صور التلقي والمتلقي الناقد وتوضيحها، صحيح إنهم لم يتناولوها في موضوعات خاصة، ولكنهم لم يهملوا المتلقي حين تحدثوا عن الشاعر أو القصيدة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- (1) أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة . مصر، د . ت.
- (2) هانس روبرت ياكوبس، جمالية التلقي من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، ترجمة رشيد بنجدو، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، 2004م.
- (3) أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ط1، 1988م.
- (4) محمود عبد الواحد، قراءة النص وجماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة وتراثنا النقدي، مكتبة لبنان، بيروت . لبنان، ط1، 1996م.
- (5) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، بيروت . لبنان، ط1، 1985م.
- (6) روبرت هولب، نظرية التلقي، ترجمة عز الدين إسماعيل، النادي الأدبي الثقافي، جدة . السعودية، ط1، 1994م.
- (7) أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني الأغاني، تحقيق إحسان عباس وآخرون، دار صادر، بيروت . لبنان، ط2، 2004م.
- (8) خليل إبراهيم جفال، الخليفة عبد الملك بن مروان الناقد الأديب، دار النضال، بيروت . لبنان، ط1، 1991م.
- (9) إحسان عباس، ديوان كثير عزة، دار الثقافة، بيروت . لبنان، 1971م.
- (10) أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، الموشح، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، 1965م.
- (11) أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة . مصر، ط3، 1978م.
- (12) محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، مكتبة لبنان، بيروت - لبنان، ط1، 1996م.
- (13) أحمد العابد وآخرون، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- (14) شكري عزيز ماضي، من إشكاليات النقد العربي الجديد، دار ورد، الأردن، ط2، 2008م.
- (15) ناظم عودة خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، عمان - الأردن، ط1، 1997م.
- (16) زينب فواز، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، المطبعة الكبرى الأميرية - مصر، ط1، 1312هـ.
- (17) أبو بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدي، ديوان الخالدين، تحقيق سامي الدهان، دمشق - سوريا، 1969م.
- (18) إيليا الحاوي، شرح ديوان أبي نواس، منشورات دار الكتب اللبناني، ط1، بيروت - لبنان.
- (19) عبد القادر بن ملا حويش السيد محمود آل غازي العاني، بيان المعاني، ط1، دمشق - سوريا، 1965م.
- (20) مجاهد محمد محمود الصواف، محسن غياض عجيل، تفسير أبيات المعاني من شعر أبي الطيب المتنبي، اختصار أبي المرشد سليمان بن علي المعري، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، 1979م.
- (21) عباس عبد الستار، ديوان النابغة الذبياني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1984م.

- (22) يوسف شكري فرحات، ديوان الأعشى، دار الجبل، بيروت - لبنان، ط1، 1992م.
- (23) حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، دار صادر، دار بيروت، 1961م
- (24) الخنساء، ديوان الخنساء، دار الأندلس بيروت - لبنان، ط5.
- (25) حنا الفاخوري، ديوان أمري القيس، دار الجبل، بيروت - لبنان، 2005م.
- (26) لطفي الصقال و درية الخطيب، ديوان علقمة الفحل، دار الكتاب العربي، حلب، ط1، 1969م.
- (27) واضح الصمد، ديوان النابغة الجعدي، دار صادر، بيروت . لبنان، ط1، 1998م.
- (28) خليل إبراهيم العطية، خليل العطية، ديوان ليلي الأخيلىة، دار الجمهورية، بغداد - العراق، 1967م
- (29) الواحدى، ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق عمر فاروق، دار الأرقم بن الأرقم، بيروت - لبنان.
- (30) ديوان إمرئ القيس، تحقيق حنا الفاخوري، دار الجبل، بيروت - لبنان، 2005م.
- (31) عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة - السعودية، ط1، 1991م.
- (32) محمد عزام، التلقي والتأويل بيان سلطة القارئ في الأدب، دار الينابيع، دمشق، سوريا، ط1، 2007م.
- (33) فاطمة البريكي، قضية التلقي في النقد العربي القديم، دار العالم العربي، دبي - الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2006 م.
- (34) محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ.
- (35) روبرت سي هول، نظرية الاستقبال مقدمة نقدية، ترجمة: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار، اللاذقية - سوريا، ط1، 1992م.
- (36) التلقي النقدي لشعر بشار بن برد حتى نهاية القرن الخامس الهجري، رولا ناصر سليمان، رسالة دكتوراه، جامعة حلب، 2009 م.

تقييم الأداء الفردي

د. أبو بكر عمر الفضيل عيسى

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – بني وليد

تقييم الأداء الفردي

د. أبو بكر عمر الفضيل عيسى

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – بني وليد

مقدمة:

في وقت تشتد فيه المنافسة ويحتدم الصراع بين منظمات الأعمال من أجل الحصول على الميزات التنافسية التي تمكنها من الاستمرار والنمو والتوسع في مجال نشاطها لقدرتها على استغلال الفرص واستعدادها لمواجهة التهديدات والتحديات، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان مستوى أدائها مرتفعاً ويتسم بالكفاءة والفاعلية، أي قدرتها على تحقيق أهدافها واستغلال مواردها أفضل استخدام، وأهم هذه الموارد والذي يعد عنصراً حيوياً في المنظمة هي الموارد البشرية، من هنا كان الاهتمام كبيراً ومتزايداً بموضوع الأداء خاصة أداء العاملين الذي لا يستقيم أداء أي عنصر من عناصر الإنتاج والخدمة في المنظمة إلا إذا كان مستوى أداء الأفراد جيداً، فأداء الآلة وساعة العمل وإنتاجية وحدة العملة وأداء المنظمة ككل مرتبط ارتباطاً طردياً بأداء الموارد البشرية فيها من حيث الكفاءة والسرعة والجودة والفاعلية.

أولاً/ مفهوم الأداء الوظيفي ومحدداته⁽¹⁾:

تشير أغلب التعريفات لمفهوم الأداء إلى التزام الموظف بالقيام بالمهام والواجبات المسندة إليه وتحمله لأعباء ومسؤوليات وظيفته والتزامه بأخلاقيات وسلوكيات المنظمة التي يعمل بها كما يقول الزهراني (1999).

أما "المير" فيقول بأن الأداء الوظيفي هو: نشاط يُمكن الفرد من إنجاز المهمة أو الهدف المخصص له بنجاح، ويتوقف ذلك على القيود العادية للاستخدام المعقول للموارد المتاحة، أما "الخزامي" يعرف الأداء بأنه تحويل المدخلات التنظيمية كالمواد الأولية والمواد نصف المصنعة إلى مخرجات تتكون من سلع وخدمات بمواصفات فنية ومعدلات محددة).

ويتجه أكثر الباحثين إلى التمييز بين (السلوك والإنجاز والأداء) ويرون أن السلوك: هو ما يقوم به الأفراد من أعمال في المنظمات التي يعملون بها. أما الإنجاز: فهو ما يبقى من أثر

(1) فادي جعفر الجنيدي، تقنيات الاتصال ودورها في تطوير الأداء، 2010م، جامعة الخليل، ص 48 وما بعدها.

أو نتائج بعد أن يتوقف الأفراد عن العمل. في حين أن الأداء: هو التفاعل بين السلوك والإنجاز أي أنه يعبر عن مجموعة من الأعمال والنتائج معا.

وتشير مجموعة المفاهيم السابقة إلى أن الأداء هو مستوى قيام الفرد بالعمل، وبناء على هذا المستوى يتحدد أداء الفرد إذا كان جيداً أو متوسطاً أو متدنياً، وهذا يرتبط بعدة عوامل ومحددات أهمها:

محددات خارجية وتتضمن: مناخ العمل، والعلاقة بالزملاء والرؤساء، والتجهيزات والأدوات المستخدمة، ومدى ملائمة مكان العمل، ومستوى ضغوط العمل.

محددات داخلية وتتضمن: قدرات ومهارات الفرد، واستعداداته واتجاهاته نحو العمل، ورضاه الوظيفي، ووضعه الصحي جسدياً ونفسياً، وهذه ترتبط إلى حد كبير بالعوامل الوراثية والبيئية والوسط الثقافي المحيط بالفرد، ونوع التعليم والخبرات المكتسبة. ومن هنا فإن الأداء عبارة عن:

1- جهد يهدف إلى تحويل المدخلات الخاصة بالتنظيم إلى عدد من المخرجات (منتجات) ذات مواصفات محددة بأقل تكلفة ممكنة.

2- جهد يسعى إلى تحقيق أهداف الوظيفة ومن ثم أهداف المنظمة ككل.

3- محصلة تفاعل بين ثلاثة محددات رئيسية هي: الدافعية الفردية، ومناخ أو بيئة العمل، والقدرة على إنجاز العمل.

4- سلوك وظيفي هادف يظهر نتيجة تفاعل وتوافق بين القوى الداخلية للفرد والقوى الخارجية المحيطة به.

ترتيباً على ما سبق من تعريفات لمفهوم الأداء ومحدداته فإن الباحث يود أن يساهم في تعريف الأداء الوظيفي بطريقته فيقول: (الأداء هو عملية تفاعلية بين سلوك موجه بدوافع إيجابية نحو تحقيق غاية محددة في وقت معين في ظل رغبة في الإنجاز وقدرة ذهنية وجسدية ومهارة فنية تتيح الاستخدام الأمثل للموارد والإمكانات والأدوات اللازمة مع توافر بيئة تنظيمية مناسبة). وجوده الأداء تتوقف على مدى كفاءته وفاعليته أي الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة وتحقيق أقصى النتائج (الأهداف) في الوقت المحدد.

يقول (العوامل): لقد أشارت بعض الأبحاث إلى أن ضعف التدريب والكفاءة في العنصر البشري هي من الأسباب الرئيسية في تدني مستوى الأداء العام في المؤسسات العامة.

ثانياً/ عناصر الأداء⁽¹⁾:

من خلال اطلاع الباحث على عدة مصادر تناولت موضوع الأداء لم يلاحظ وجود اختلاف جوهري بين الباحثين حول عناصر الأداء وإن كان هناك اختلافاً في طريقة العرض والصياغة فقط، ويمكن تحديد عناصر الأداء كما يلي:

- 1- **كفاءة الموظف:** أي ما يمتلكه الموظف من معلومات ومهارات وقيم واتجاهات تمثل خصائصه الأساسية التي تنتج أداءً فعالاً يقوم به ذلك الموظف.
- 2- **متطلبات العمل:** وهي المهام والمسؤوليات والأدوار والأعباء المطلوب إنجازها والقيام بها في كل وظيفة من الوظائف.
- 3- **بيئة المنظمة:** وتتكون من عوامل داخلية وخارجية، وتتمثل العوامل الداخلية في تأثيرها على الأداء الفعال من خلال تنظيمه وهيكله وأهدافه ومركزه الاستراتيجي، أما العوامل الخارجية تتمثل في العوامل السياسية والاقتصادية والتكنولوجية والحضارية والقانونية.

ثالثاً/ طرق تحسين الأداء وتطويره⁽²⁾:

بشكل عام هناك ثلاثة مداخل أو أساليب لتطوير الأداء حددها (هاينز) وهي (تطوير الموظف، تطوير الوظيفة، تطوير البيئة).

1- أساليب تطوير أداء الموظف:

- وهي من أكثر الأساليب صعوبة، ويتم تطوير أداء الموظف من خلال عدة وسائل أهمها:
- أ- التركيز على نواحي القوة وما يجب عمله أولاً بحيث يتم اتخاذ اتجاه إيجابي نحو الموظف بما في ذلك مشاكل الأداء التي يعاني منها و إدراك أنه لا يمكن القضاء على جميع نواحي القصور والضعف لدى الموظف بحيث يتم التركيز على تحسين أداء الموظف من خلال الاستفادة مما لديه من مواهب جديدة أو ضعيفة وتنميتها.
 - ب- التركيز على ربط رغبة الموظف بالأداء من خلال السماح للأفراد بأداء الأعمال التي يرغبون في القيام بها وهذا يؤدي إلى تحسين الأداء بشكل واضح واقعياً.
 - ت- الترابط بين الأهداف الشخصية للفرد و أداء عمله من خلال إظهار وتأكيد أن التطوير المرغوب في الأداء يساهم في تحقيق أهداف الموظف مما يزيد من تحقيق التحسينات المرغوبة.

2- تطوير الوظيفة:

(1) فادي جعفر الجنيدي، نفس المصدر، ص 53.

(2) نفس المصدر، ص 55.

يرى كثير من الباحثين أن عملية التغيير في طبيعة المهام الوظيفية توفر فرصاً جيدة لتحسين الأداء، حيث أن محتويات الوظيفة إذا كانت مملة أو تحتاج إلى مهارات تفوق مهارات الفرد القائم بها أو احتوائها على مهام غير ضرورية أو مناسبة فإنها تؤدي إلى تدني مستوى الأداء، ويعتبر "هاينز" أن نقطة البداية في دراسة وسائل تطوير الأداء في وظيفة معينة تكون في معرفة ضرورة كل مهمة من مهام الوظيفة، وبعد تحديد المهام الضرورية يجب تحديد الجهة المناسبة لتأدية هذه المهام، حيث أن بعض المهام يمكن نقلها إلى إدارات و أقسام مساندة سواء كانت إدارية أو فنية، ويضيف "هاينز" أن تطور الوظيفة يتم كذلك بزيادة مستوى المسؤولية والحرية المعطاة للموظف من أجل إثراء الوظيفة، وبزيادة الدافعية من خلال التدوير الوظيفي للموظفين لفترة من الزمن لتخفيض درجة الملل الوظيفي وروتين العمل، إضافة إلى زيادة وتطوير قدرات الموظف واكتسابه مهارات جديدة من خلال التدريب، ولضمان نجاح التدوير الوظيفي يجب مراعاة أن تكون الوظائف المتبادلة متساوية في الصعوبة والتعقيد قدر الإمكان و أن تكون فترة التبادل كافية وأن تكون معدلات الأداء واقعية، ومن وسائل التطوير أيضاً إتاحة الفرصة للموظفين من وقت إلى آخر للمشاركة في فرق ومجموعات لأداء مهام معينة.

3- تطوير البيئة⁽¹⁾:

إن البيئة التي تؤدي فيها الوظيفة عامل أساسي ومهم يمكن استغلاله في تطوير الأداء وذلك من خلال:

- أ- معرفة مدى الملائمة بين عدد المستويات التنظيمية والطريقة التي يتم بها تنظيم وتكوين الجماعات داخل المنظمة.
 - ب- وضوح خطوط الاتصال وفاعلية التفاعل بين الموظفين أنفسهم بمختلف أقسامهم و إداراتهم التابعين لها وبين جمهور المستفيدين.
 - ت- إعداد جداول للعمل قابلة للتغيير بما يتلاءم والظروف المحيطة بالوظيفة نفسها.
 - ث- إيجاد الأسلوب المناسب للإشراف (النمط القيادي) من خلال تحقيق درجة التوازن بين مستوى الإشراف المتبع ومستوى الوعي والرشد الذي يتمتع به الموظفون، فإذا اختلفت درجة التوازن فسيؤدي ذلك إلى تثبيط همة وفاعلية الموظف.
 - ج- تطوير نوعية الاتصالات بين الموظفين ومشرفيهم أو مدراءهم وبين الموظفين فيما بينهم.
- ويرى الكثير من الباحثين أن القيادات الإدارية تلعب دوراً حساساً و أساسياً في تبني وتطوير أساليب رفع الإنتاجية من خلال تحسين الأداء الوظيفي، وينبع هذا الدور من المركز الهام الذي تحتله هذه القيادات سواء كانت ضمن فريق الإدارة العليا أو الوسطى، حيث لها القدرة

(1) عنان الجعبري، دور الإبداع الإداري في تحسين الأداء الوظيفي، 2009، ص 44 وما بعدها.

على تكوين نظرة شمولية لتوجهات و أهداف المنظمة إضافة إلى قدرتها على اتخاذ القرارات الإدارية الصائبة التي تؤثر بشكل إيجابي على المنظمة ككل من خلال تحسينها لأداء الموظفين وزيادة درجة إنتاجيتهم وبالتالي تحسين الإنتاجية بشكل عام للمنظمة باستخدام أساليب رفع الإنتاجية التي تتضمن الهيكل التنظيمي، والآلات والتقنية المستخدمة، ومن أهم الوسائل المستخدمة في تحسين مستوى الأداء ورفع الإنتاجية: تنمية القوى البشرية (التدريب)، الدوافع والحوافز، الإدارة بالأهداف، المشاركة، تصميم العمل، التطوير التنظيمي (بناء الفرق).

مما سبق يتضح أن تحسين الأداء يقوم على أساس استخدام جميع الموارد المتاحة لتحسين المخرجات و إنتاجية العمليات، وتحقيق التكامل بين التكنولوجيا الصحيحة التي توظف رأس المال بالطريقة المثلى.

ويتطلب تحسين أداء أي منظمة توازن العناصر الأربعة التالية: (الجودة والإنتاجية والتكنولوجيا والتكلفة) وهذا ما يطلق عليه "إدارة التحسين الشاملة".

رابعاً/ مفهوم تقييم الأداء :

يطلق على الأعمال التي تهدف إلى تقييم أداء الأفراد اصطلاحاً "تقييم الأداء"، ويستخدم علماء الإدارة والمتخصصون كثيراً من المصطلحات المرادفة والمشابهة لاصطلاح تقييم الأداء منها: ترتيب الجدارة، ترتيب الكفاءة، ترتيب الأداء، إعادة النظر في أداء الأفراد. كل هذه المصطلحات تلتقي في المساعدة في اكتشاف مدى جودة الأفراد لعملهم وتحملهم المسؤوليات الملقة على عاتقهم⁽¹⁾.

ويحدد د. علي السلمي مفهوم تقييم الأداء في أي منظمة بأنه "التأكد من مطابقة نتائج العمل في الأهداف المحددة" ولذا فأي تنظيم لحظة تقييم الأداء ينطوي على العناصر التالية⁽²⁾:

1- تحديد الأهداف أو المستويات التي يجب أن يحققها الأداء.

2- قياس النتائج الفعلية للأداء.

3- تحليل النتائج الفعلية ومقارنتها بما كان يجب تحقيقه وتحديد مصادر الفروق.

ويوضح د. علي السلمي أن تقييم الأداء يعتبر وظيفة إدارية مستمرة يجب أن تصاحب الأداء الفعلي في تقديم العمل والنتائج أولاً بأول، ولا يجب أن ينتظر حتى انتهاء الأداء ثم يبدأ التقييم ومن ثم يحدد د. علي السلمي نوعين من التقييم هما:

(1) محمد محسن أسعد، مجلة الإدارة، تقييم أداء الأفراد في الأجهزة الحكومية، المجلد الثامن عشر، العدد 53، ص 31.

(2) علي السلمي، إدارة الأفراد لرفع الكفاءة الإنتاجية، دار المعارف، القاهرة، ص 330.

1- التقييم المستمر للأداء ويهدف لمتابعة عمليات التنفيذ واكتشاف أي انحرافات ويسمى **التقييم المانع**.

2- التقييم بعد انتهاء التنفيذ وهنا لا يمكن منع الانحراف وتصبح مهمة التقييم محدودة في الاستعداد للمستقبل وهذا النوع يسمى **التقييم العلاجي**.

أما **المعهد البريطاني** للإدارة فيعرف قياس الكفاية الإنتاجية بأنها عملية تقويم الفرد القائم للعمل وذلك فيما يتعلق بأدائه ومقدرته الوظيفية وغيرها من الصفات اللازمة للقيام بالعمل الناجح.

أما **د. منصور أحمد** فيعرف تقييم الأداء بأنها عملية الحصول على حقائق وبيانات محددة من شأنها أن تساعد على تحليل وفهم وتقييم أداء العامل لعمله ومسلكه فيه فترة زمنية محددة وتقدير مدى كفاءته الفنية والعلمية والعملية للنهوض بأعباء المسؤوليات والواجبات المتعلقة بعمله الحاضر وفي المستقبل.

ويعرف **د. زكي هاشم** تقدير الكفاءة المرادف لمصطلح تقييم الأداء بأنه تحليل وتقييم أداء العاملين لعملهم ومسلكهم وتصرفاتهم فيه وقياس صلاحيتهم وكفاءتهم في النهوض بأعباء عملهم الحالي وتحملهم لمسؤولية وإمكانات وظائف ذات مستوى أعلى⁽¹⁾.

كما تعرف عملية تقييم الأداء بأنها العملية التي يتم بموجبها قياس أداء الأفراد العاملين طبقاً لمهام وواجبات الوظيفة في ضوء الإنجاز الفعلي للفرد وسلوكه و أدائه ومدى استعداده لتحسين وتطوير الإنجاز الذي يقدمه، وبما يساعد على معرفة جوانب الضعف والقوة في طريقة أدائه ومستوى الإنجاز الذي يقدمه لغرض معالجة جوانب الضعف والخلل وتدعيم وتعزيز جوانب القوة⁽²⁾.

وتأسيساً على ما سبق فإن تقييم الأداء يتضمن ما يلي:

- 1- جمع البيانات التي تساهم في تحديد مستوى أداء الفرد لعمله المكلف به بهدف قياس حجم الإنجاز الفعلي على مدى فترة زمنية محددة.
- 2- تحديد طبيعة سلوك الفرد مع زملائه خلال أدائه لعمله.
- 3- تقدير مدى الاستعداد لدى الفرد لتحقيق تطور وتحسن في مستوى الأداء وفي الأسلوب المعتمد في التنفيذ.

(1) محمد محسن أسعد، تقييم أداء الأفراد في الأجهزة الحكومية، مجلة الإدارة، مصدر سابق، ص 32.

(2) صالح عودة سعيد، إدارة الأفراد، الجامعة المفتوحة، 1994م، ص 369.

خامساً/ أهمية تقييم الأداء و أهدافه:

- لتقييم الأداء أهمية بالغة بالنسبة للمنظمة من جهة والأفراد العاملين من جهة أخرى، وتتجلى هذه الأهمية في الأهداف المرجوة من عملية التقييم والتي من أهمها:
- 1- اختيار الأشخاص المناسبين لأداء الأعمال وبما يتناسب ومؤهلاتهم وقدراتهم وتوزيع العمل بينهم تحقيقاً لمبدأ وضع الشخص المناسب في المكان المناسب.
 - 2- من خلال وضع برنامج لتقييم الأداء يمكن جمع كمية كبيرة من المعلومات توفر أسس موضوعية وعلمية لترقية الأفراد ونقلهم وإنهاء الخدمة ومنح المكافآت والعلاوات التشجيعية والحوافز لدفع العاملين لزيادة الإنتاج وتحسين نوعيته.
 - 3- المساعدة في تحديد احتياجات التدريب من خلال اكتشاف قدرات العاملين وإنجازهم ومقارنته بالإنتاج المعياري المطلوب تحقيقه.
 - 4- تحسين مستويات الأداء من قبل الأفراد بترشيدهم وإتاحة الفرصة لتنمية قدراتهم ذاتياً لما له من أثر إيجابي على مستقبل الفرد الوظيفي.
 - 5- يساعد تقييم الأداء على رفع الروح المعنوية للأفراد عن طريق إيجاد وسيلة اتصال إيجابية بين الفرد العامل والمشرف والرئيس وبما يحصلون عليه من حوافز مادية ومعنوية.
 - 6- مساعدة الإدارة أو المنظمة في تحليل نواحي الضعف والقصور في أداء العاملين وبالتالي دراستها والخروج بحلول جذرية لتدعيم العلاقة بين الموظف والإدارة وخلق الثقة المتبادلة بينهم.
 - 7- بدون عملية تقييم الأداء لا يمكن القيام بوظيفة الرقابة التي تعد أهم عناصر العملية الإدارية.
 - 8- المساعدة في معرفة وقياس مدى تقدم الأفراد في عملهم عن طريق استخدام معايير محددة مما يؤدي إلى رفع مستوى أداء الأفراد في جميع مستويات التنظيم.
 - 9- يساعد في تحديد مدى فاعلية البرامج الخاصة بإدارة الأفراد كالاختيار والإعداد والاختبار وبالتالي الاستفادة منها في تعديل هذه البرامج أو الاستمرار فيها حسب كفاءتها
 - 10- تقييم الأداء ينمي الإحساس بالمسؤولية ويحث على التطوير الذاتي إذا ما علم الفرد أن أداءه سيقوم ويقدّر ويؤخذ كأساس لكافة الإجراءات المتعلقة به ثواباً وعقاباً مما يجعله يبذل قصارى جهده ليكون موضع تقدير رؤسائه.

11- يكشف للإدارة العليا مواقع القوة والخلل في أقسام المنظمة المختلفة وبالتالي يساعد في عملية إعادة التنظيم عند قيام الإدارة بها.

سادسا/ مراحل عملية التقييم:

تتضمن عملية التقييم المراحل التالية⁽¹⁾:

- 1- تحديد معايير الإنجاز "الأداء": ويتم تحديد هذه المعايير بناء على طبيعة العمل التي تحلل وتوضح من خلال توصيف العمل، ويشترط بهذه المعايير أن تكون واضحة وموضوعية بشكل يسهل فهمها وقياسها.
- 2- إبلاغ هذه المعايير والتوقعات إلى المرؤوسين: حتى يعرف المرؤوس ما المتوقع منه انجازه في عمله، كما يجب على الرئيس التأكد من أن المرؤوس استلم التعليمات المتعلقة بالإنجاز وفهمها بشكل صحيح.
- 3- قياس الإنجاز الفعلي للفرد: ويتم بناء على المعلومات المتوفرة عن الإنجاز، ويتم الحصول على هذه المعلومات إما بالملاحظة المباشرة الشخصية للمرؤوس أو من خلال التقارير الإحصائية المكتوبة والشفهية عن انجازه، والمهم في هذه المرحلة هو استخدام المعيار الصحيح والمقرر في المرحلة الأولى لقياس الإنجاز. فمثلاً لا يمكن استخدام وحدات الإنتاج كمعيار للقياس إذا ما تم إبلاغ المرؤوس بأن قياس انجازه سيتم بناء على عدد ساعات العمل المبذولة.
- 4- مقارنة الإنجاز الفعلي بالمعايير: - ومن خلال هذه المقارنة يتم تحديد الانحرافات بين الإنجاز الفعلي والمتوقع.
- 5- مناقشة نتائج عملية التقييم مع المرؤوسين: ويتم ذلك ليتأكد المرؤوس أن تقييمه قد تم بطريقة موضوعية وللبحث في إمكانية وضع الحلول لأية مشكلة ناتجة من عملية التقييم، كإنخفاض الإنتاج الفعلي عن المعياري مثلاً. وتعتبر هذه المرحلة من أصعب المراحل والمهام التي تواجه التقييم لأنها تتضمن مناقشة الفرد بقدراته وإمكاناته، وهذا يصيب مباشرة شخصية الفرد وذاته مما يجعل الأفراد يبالغون في تقييم أنفسهم أكثر من الواقع، ولهذا السبب يحتاج المدير إلى لباقة ودبلوماسية في مناقشة الأفراد حول إنجازهم والعمل على إقناعهم بموضوعية تقييمهم وقبولهم لهذا التقييم.

(1) كامل بربر، إدارة الموارد البشرية وكفاءة الأداء التنظيمي، المؤسسة الجامعية 1997م، ص 126.

6- المرحلة الأخيرة في عملية التقييم هي القيام باتخاذ الإجراءات التصحيحية إذا كان هناك ضرورة لذلك.

من خلال عرض مراحل التقييم نستنتج أنه:

أ- يتم قياس أداء الأفراد العاملين بمقارنة الأداء الفعلي المتحقق (معنوي ومادي) مع الأداء المتوقع الذي يمثل معايير الأداء وتتمثل هذه المعايير في المهام والواجبات المنوطة بالوظيفة والمحددة بـ "بطاقة وصف وتوصيف الوظيفة".

ب- تعريف الموظف بنقاط قوته وضعفه لدعم جوانب القوة ومعالجة نواحي الضعف.

ت- الاستفادة من النتائج كعملية تغذية عكسية لتحسين وتطوير الإنجاز.

سابعا/ مسؤولية تقييم الأداء⁽¹⁾:

يتم تقييم أداء الأفراد عن طريق كل من:

1- **الرئيس المباشر:** لقد أشارت الدراسات على أن 98% من برامج التقييم تنفذ من قبل الرئيس المباشر للمرؤوسين باعتباره أنسب شخص في المنظمة قادر على ملاحظة سلوك مرؤوسيه وتقييمها بحكم اتصاله المباشر والمستمر بهم وبما يتوافر لديه من معلومات متدفقة وباستمرار عن مدى أداء مرؤوسيه لعملهم وتحملهم لمسؤولياتهم الوظيفية.

2- **الموظف نفسه:** نظراً للانتقادات التي وجهت إلى دور الرئيس في عملية التقييم وما يترتب عليه من سلطة مطلقة في الحكم واحتمال التحيز والتحكم في نتائج التقييم وتدخل المعايير غير الموضوعية كالعلاقات الشخصية والمجاملات وغيرها. ورداً على ذلك دُعي إلى ترك الحرية الكاملة للفرد بتقييم نفسه ويستخدم هذا النوع عادة عندما يكون هدف عملية التقييم هو تطوير الأفراد لملاءمتهم لمهنتهم ووظائفهم، ويقول د. كامل بربر "لكن ذلك غير عملي لأن الأفراد دائماً يقيمون أنفسهم بأفضل مما يستحقون".

3- **الزملاء:** من الاتجاهات الحديثة في تقييم الأداء إعطاء الزملاء صلاحية تقييم بعضهم البعض ويعتبر هذا الأسلوب مكملاً لأسلوب تقييم الرئيس المباشر، وأهمية هذا النوع من التقييم تتضح من خلال تعامل الموظف مع زملائه دون تكلف أو تحفظات مما يجعل الحقائق أكثر وضوحاً في تقييم أدائه، وهذا الأسلوب مجدي في تقليل العيوب التي تؤخذ على أسلوب التقييم بواسطة الرئيس كما أن استخدام

(1) كامل بربر، إدارة الموارد البشرية وكفاءة الأداء التنظيمي، نفس المصدر ص 128.

هذا الأسلوب يأتي عندما يكون هناك حدود بين الرئيس ومروؤسه أو عندما يكون هناك إدارة ذاتية لأعمال الفريق.

4- **المرووسين:** يعتبر المرووسون مصدرًا مهمًا في تقييم المديرين، فالمعلومات المتحصل عليها من المرووسين تساعد في تحديد مدى فعالية القيادة ووضعها الخطط والتفويض والتنظيم وتحديد المشاكل العامة والخاصة بالقسم أو الإدارة للمدير موضع التقييم، فهذا الأسلوب مفيد جدًا لأنه يظهر مدى تعاون وقدرة المدير في قيادة موظفيه، ولكن يُعاب على هذا الأسلوب بأن المرووسين قد يقيمون رئيسهم من خلال زاوية واحدة وهي كيفية معاملته لهم وبالتالي يتم إغفال بعض النقاط الهامة كمدى اهتمام الرئيس بتحقيق الأهداف العامة للمنظمة، ودرجة تحفيزه على الأداء.

5- **التقييم المختلط:** وهذا الاتجاه ثلاثي الأبعاد في عملية التقييم، حيث يتم عن طريق الرئيس والزميل والمرووس نفسه وذلك للقضاء على التحيز الشخصي، ووفقاً لهذا الاتجاه تخصص أوزان معينة لرأي كل طرف في عملية التقييم، فمثلاً يشكل تقييم الرئيس المباشر وزناً يساوي 50% من عملية التقييم، 30% لتقييم الزملاء، 20% لتقييم الفرد لنفسه.

6- **لجنة متخصصة:** وتضم هذه اللجنة أفراداً متخصصين خارج نطاق المنظمة، وهؤلاء المقيمون يكونون محايدين وليست لديهم مصلحة في إعطاء تقييم غير عادل أو متحيز لأحد الأفراد، ولكن يؤخذ على هذا الأسلوب من التقييم في عدم معرفة المقيم الخارجي لظروف وبيئة العمل في المنظمة وعدم الإلمام بالمشاكل والخلافات في نطاق العمل، وقد يكون هؤلاء المقيمون قليلي الخبرة أو قد يتحصلون على معلومات أولية في البداية تبني عليها نتائج التقييم النهائي والتي قد تؤثر في إيجابية التقييم.

من خلال هذا العرض لأهم أساليب التقييم المتبعة في تقييم الأفراد المرووسين منهم والرؤساء نجد أن هناك أساليب متنوعة، ونصل إلى أن أتباع أكثر من أسلوب لتقييم الأداء هو الأسلوب المثالي للوصول إلى أفضل النتائج.

ثامنا/ متطلبات عملية التقييم:

1- أن يتم تصميم برنامج تقييم الأداء من قبل خبراء متخصصين في المنظمة أو اللجوء إلى الاعتماد على خبراء من خارجها للقيام بهذه المهمة لإلمامهم الواسع بطبيعة

- الأعمال وطرق وأساليب تقييم الأداء. ويجب أن يكون هؤلاء الخبراء قادرين على الإشراف على عملية التقييم بعدالة وموضوعية بعيداً عن التحيز والتقدير الشخصي.
- 2- حتى تتحقق العدالة في التقييم يفضل استخدام أكثر من طريقة من طرق التقييم واعتماد الأسس والأصول العلمية في تصميم استمارات التقييم، وأن تتميز هذه الاستمارات بالبساطة والسهولة في الاستخدام من قبل المكلفين بعملية التقييم.
- 3- ضرورة تدريب وتثقيف القائمين بعملية التقييم ليستوعبوا بشكل جيد أهداف و فوائد برامج التقييم.
- 4- يجب أن تسود علاقات الود والتعاون بين الرئيس والمرؤوس و أن يتفهم كل منهم مسؤوليات ودور الآخر لتؤدي عملية التقييم دورها في تحسين مستوى الأداء كماً ونوعاً.
- 5- أن يتضمن برنامج التقييم تحديد معايير محددة للأداء مستخلصة من توصيف العمل.
- 6- أن يتصف برنامج التقييم بقدر كاف من المنطقية بحيث يمكن للقائم بالتقييم تنفيذه في حدود طاقته و ألا يتطلب تنفيذه مستلزمات ومتطلبات غير متوفرة أو تتسم بقدر عالٍ من التعقيد يؤدي إلى إضعاف درجة الثقة والاعتماد عليه.
- 7- أن يسود شعور لدى المدراء بأهمية التقييم باعتباره يمثل مدخلاً للتعرف على جوانب القوة والضعف في الأفراد و أنه يساهم في توجيههم إلى تحسين وتطوير مهاراتهم وقدراتهم ومعارفهم.
- 8- أن يتم تحديد تواريخ دورية منتظمة تتم فيها عملية تقييم الأداء. وأن يبلغ المدراء بهذه التواريخ، و أن تكون هناك متابعة من قبل المستويات الإدارية العليا في المنظمة للتأكد من مدى الالتزام بهذه التواريخ.
- 9- أن تتم مراجعة برنامج التقييم من حين إلى آخر للتأكد من سلامته ومن فاعليته في تحقيق أهدافه وتعديله بما يتناسب والتغيرات التي تحدث في فلسفة التقييم وأهدافه.

تاسعا/ معايير تقييم الأداء وأسسها:

وهي المقاييس الموضوعية التي تستخدم لقياس النتائج الفعلية وهي تمثل غالبا الأهداف التخطيطية للمنشأة أو إحدى إداراتها أو أقسامها والتي يعبر عنها بشكل يجعل من الممكن استخدامها لقياس التحقيق الفعلي للواجبات المخصصة، أي أنها الوسيلة التي يتم بمقتضاها مقارنة شيء بشيء آخر، والمعايير قد تكون مادية وتمثل كميات من السلع المنتجة أو وحدات من الخدمة أو ساعات عمل أو سرعة.... الخ أو قد يعبر عنها في شكل نقدي كالتكاليف والإيرادات أو الاستثمارات أو يعبر عنها بأي شكل آخر يقيس الأداء.

وإذا كانت المعايير موضوعة بطريقة سليمة وإذا كانت هناك وسائل متاحة لتحديد الأعمال المنجزة بدقة فالتقييم سيكون سهلاً، بينما تزداد صعوبته إن لم يكن متعزراً إذا كانت الأنشطة يصعب وضع معايير سليمة لها، فمثلاً نجد تقييم أعمال المدير المالي أو مدير العلاقات الصناعية أو العلاقات العامة ليس سهلاً نظراً لصعوبة وضع المعايير المحددة وصعوبة القياس الدقيق للأداء، وفي مثل هذه الحالات كثيراً ما يعتمد على معايير غير واضحة مثل المركز المالي والائتماني، أو ولاء العاملين ومعنوياتهم أو السمعة. كما أن القياس الذي يتخذ في هذه الحالة غير واضح وينقصه التحديد والنقطة المهمة هنا هي أنه كلما بعدت الأعمال عن خطوط الإنتاج والتجميع أو عن الآلة الحاسبة أصبحت عملية التقييم أكثر تعقيداً وفي الوقت نفسه أكثر أهمية⁽¹⁾.

وبما أن عملية تقييم الأداء في كافة المنظمات تتطلب معايير ومقاييس لذا يجب الاهتمام بتحديد معايير أداء واضحة ودقيقة تركز على أسس سليمة تلك هي معدلات الأداء.

أ/ معايير تقييم أداء الأفراد:

يمكن الحكم على فعاليتها من خلال تحديدها لما يأتي:

- 1- كمية المخرجات.
- 2- صورة المخرجات.
- 3- توقيت هذه المخرجات.
- 4- فعالية استخدام الموارد.
- 5- إظهار الجهد المبذول.
- 6- شكل وطبيعة الأداء.
- 7- الطرق المستخدمة في ممارسة الأداء.

وترتكز هذه المعايير على نوعين من الأسس هما:

الأسس المادية وتشمل:

- أ- معدلات الأداء: والتي تحدد وحدات العمل اللازم انجازها بمستوى جودة معين في وحدة زمنية معينة ويستخدم هذا المعيار في تقييم أداء الأفراد الذي ينتهي بوحدات قابلة للقياس الكمي ولا يستخدم في تقييم الخصائص والصفات الشخصية.
- ب- اختبارات المعارف والقدرات: وهي معايير قياس وتقييم مدى معرفة الفرد ونطاق معلوماته حول أساسيات العمل وأساليبه والخبرات المكتسبة من واقع أدائه للعمل.

الأسس المعنوية:

(1) جميل أحمد توفيق، إدارة الأعمال - مدخل وظيفي - دار الجامعات المصرية 1988م، ص 408 وما بعدها.

وترتكز عليها مجموعة المعايير التي تهدف إلى قياس خصائص وصفات الفرد كدرجة اعتماده على نفسه، ومدى تعاونه مع الآخرين، وقدرته على المبادرة، ودرجة حماسه للعمل، وشخصيته... الخ.

ب/ معايير تقييم أداء المديرين:

تختلف وظائف المديرين عن غيرهم من العاملين في المنظمة فالتخطيط والتنظيم والرقابة والتوجيه والتنسيق وغيرها أنشطة غير كمية ومن الصعوبة بمكان قياسها كمياً، إلا أن هناك اتجاه لبلورة تلك الأهداف والأنشطة والإنجازات في شكل يجعلها قابلة للقياس الكمي ومن ثم اشتقاق معايير صالحة لتقييم أداء المديرين لهذه الوظائف كأن تحدد فترة محددة للإنجاز وبتكاليف محددة في نفس الفترة أو بنمو المبيعات مثلاً وبنسبة محددة... الخ⁽¹⁾.

وأهم المعايير المستخدمة في تقييم المديرين ما يلي:

1- **معايير فنية:** وهي التي تتعلق بتقييم حصيلة المديرين المعرفة والمعلومات اللازمة

لمتابعة النشاطات التي تقع في نطاق إشرافه وقدرته على ممارسة المهام الإشرافية كالتخطيط والتوجيه والرقابة وغيرها.

2- **معايير إنسانية:** وهي المتعلقة بتقييم قدرات المدير على التعامل مع الأفراد في نطاق عمله وقدرته على تبني المواقف القيادية الملائمة.

3- **معايير فكرية:** وهي المتعلقة بتقييم قدرات المدير على اتخاذ القرارات والقدرة على التحليل وتمييز المسائل الحيوية على الأقل أهمية.

وفي إطار تطور أساليب تقييم المديرين وبعد أن كان التقييم يركز على صفات الفرد أصبح اليوم منصّباً على نتائج الأداء، وبذلك فإن معايير النجاح في عمل المديرين يمكن تحديدها فيما يلي:

1- ربحية الشركة (المنظمة).

2- حصة الشركة في السوق.

3- سمعة الشركة بين العملاء.

4- حالة العاملين المعنوية.

5- إنتاجية العاملين.

6- مستوى النفقات.

(1) ريتشارد هندرسون، مدخل عملي لتقييم الأداء، ترجمة إبراهيم عبد اللطيف، مجلة الإدارة المجلد 23، العدد

هذا ويجب الأخذ في الاعتبار أن تعدد أنواع المعايير وتجميعها في مجموعات كمعايير مادية وكمية ومعايير زمنية، ومعايير نفقة وعائد ومعايير رأسمالية ومعايير غير ملموسة أو معنوية من شأنه أن يسهل ويدفع عملية التقييم حيث أن كل نوع من الأعمال يختلف عن الأعمال الأخرى من حيث واجباته الوظيفية، ولذا فإن وجود معايير متنوعة يجعل استخدام معايير تقييم الأداء تختلف من وظيفة لأخرى.

وبناء على أهمية عملية تقييم أداء المديرين وصعوبة قياسه لاعتماده على أسس غير كمية كالقدرة على اتخاذ القرارات والتمشي مع السياسات العامة للدولة والقدرة على القيادة والتعاون في العمل والمبادرة والتفاني في خدمة المواطنين فإن هناك ضرورة لتوفر شروط دقيقة في اختيار المقيمين لأحكام وضمان صحة التقييم ومن أهم هذه الشروط: الخبرة الطويلة في العمل والاستقلالية وعدم التحيز وحب العمل والتعاون مع أفراد المنظمة وقوة الشخصية وعدم التأثر السريع بآراء الآخرين والقدرة على الاستنباط وسرعة الملاحظة.

أسس التقييم: (1)

إن المقيم عند تقييمه أداء موظف ما يقارن المعلومات الوثيقة التي يحصل عليها عن أداء ذلك الموظف بالأهداف الموضوعية، أو التوقعات، أو متطلبات الوظيفة، ويلاحظ ما إذا كان أداء ذلك الموظف قد تفوق أو توازن أو قل أدائه عن المعدل المطلوب. إن الأسس التي ستختار كمعايير للمقارنة والقياس في غاية الأهمية، إذ أن اختيار أسس غير ملائمة يؤدي إلى تقييم خاطئ ومن ثم نتائج خاطئة ومضللة. وأهم الأسس الشائعة المستخدمة كمعايير ما يلي:

1- توقعات المشرف (الرئيس): وهي أحد الأسس الشائعة في المقارنة، وحتى تكون

هذه التوقعات أساساً عادلاً وصادقاً يجب أن تكون معروفة ومفهومة من قبل العاملين، ويمكن مقارنتها مع توقعات مشرفين آخرين.

2- الأهداف الحالية: إن إحدى الأسس الممتازة لمقارنة أداء الموظف الفعلي خلال

فترة زمنية هي الأهداف التي يفترض أن يحققها، مع الأخذ في الاعتبار احتمال ألا تتضمن الأهداف كافة المسؤوليات في العمل لذا قد لا تكون الأهداف كافية للحصول على تقييم كامل بالإضافة إلى الظروف التي لا تقع تحت سيطرة الموظف والتي قد تؤثر على إنجازه للأهداف، إذ تجعل تلك الظروف الأهداف أكثر سهولة أو أكثر صعوبة في تحقيقها.

(1) ماريون إي هاينز، إدارة الأفراد - دليل شامل للإشراف الفعال - ترجمة د. محمد مرسي ود. زهير الصباغ،

معهد الإدارة العامة، السعودية 1988م ص 175 وما بعدها.

3- **معدلات الأداء:** تمثل معدلات الأداء في حالة وضعها بشكل جيد أفضل الأسس المتوفرة، إذ أنها تغطي العديد من الواجبات والمسؤوليات، كما أنها تعكس توقعات المشرف من الموظف. ومن الممكن أن تصبح معدلات الأداء إذا استخدمت مع الأهداف أساساً كاملاً ومتكاملاً لتقييم الأداء.

4- **العمل المشابه:** يقارن وفق هذا الأساس أداء الموظف بأداء موظف آخر يؤدي عملاً مشابهاً وتساعد هذه المقارنة في مجال تقييم السلوك أو في المفاضلة بين العاملين المرشحين للترقية أو النقل.

5- **الأداء السابق:** حيث تتم مقارنة الأداء في الفترة الحالية مع الأداء في فترة عمل سابقة، وهذه المقارنة مناسبة جداً في توجيه الأداء من خلال معرفة مدى تحسن أداء الفرد أو تدنيه أو استقراره.

6- **أداء المشرف:** من الاتجاهات الشائعة في التقييم قيام المشرف بمقارنة أداء الموظف بأدائه هو قبل أن يصبح مشرفاً وهو أسلوب غير عادل في المقارنة لعدة احتمالات كأن يكون قد حدث تغير كبير في العمل أو صعوبة الاعتراف بأفضلية المرؤوس وغيرها.

7- **متطلبات العمل:** حيث يقارن المقيم النتائج التي يحققها الموظف بمتطلبات العمل الواردة بوصف الوظيفة والتي يجب أن تكون واضحة كالأهداف والتوقعات لنلا تخضع للتفسير الشخصي، ويؤدي الاهتمام بمتطلبات العمل إلى المقارنة الملائمة بين الأعمال المتشابهة والذي يؤدي إلى التمايز بين الأعمال رغم تشابهها.

مما تقدم يتبين أن التقييم يتضمن ثلاثة تحاليل مختلفة، أولاً: مقارنة النتائج التي حققها الموظف وتوقعات الأداء في تلك الفترة. ثانياً: مقارنة متطلبات العمل مع أعمال أو وظائف متشابهة. ثالثاً: مقارنة النتائج التي حققها الموظف بنتائج موظف آخر يقوم بأداء عمل مشابه.

عاشراً / طرق تقييم الأداء⁽¹⁾:

يمكن النظر إلى عملية تقييم الأداء من جانبين هما:

1- الطريقة الرسمية: والتي تتمثل في التقييم الدوري المتكامل والشامل، وتستخدم هذه الطريقة كأساس لتحديد مدى كفاءة الفرد في وظيفته.

2- الطريقة غير الرسمية: وهي عملية دورية، يقوم المدير أو المشرف خلالها بتقييم أداء العاملين الواقعين تحت إشرافه يومياً أثناء تأديتهم لأعمالهم.

(1) محمد محسن أسعد، تقييم أداء الأفراد، مصدر سابق ص 35.

ويتم تقييم وقياس الأداء بأحد أسلوبين:

1- **الملاحظة المباشرة:** وهي طريقة تقليدية وقديمة في قياس الأداء، حيث يطلع المدير على

تقدم العمل ومدى كفاءة الموظفين في عملهم؛ وهذا الأسلوب يعطي فكرة واقعية عن مستوى أداء الفرد. ولهذا الأسلوب عدة عيوب منها:

أ- ضياع وقت المدير في الإشراف المباشر.

ب- قد يفسر استخدام هذا الأسلوب بأن المدير لا يثق في مرؤوسيه.

ت- لا يمكن للمدير الإشراف المباشر على كل الموظفين لضيق الوقت وتعدد المسؤوليات.

ث- التدقيق والإشراف على جزئيات العمل قد تتعارض مع الاهتمام بالنتائج الكلية لأداء وإنجاز الأفراد.

2- **التقارير:** وهي تقارير كتابية أو شفوية يستطيع المديرين خلالها معرفة درجة الأداء ومدى

قدرة الموظف على مواكبة خطط الأعمال؛ والتقارير الكتابية أفضل وأدق لأنه يتم عن طريقها تسجيل الحقائق كتابة وعدم الاعتماد على الذاكرة. وأهم أنواع التقارير هي:

أ- البيانات الرقمية: وتعتمد أساساً على الأرقام وليس على الغرض الإنشائي، وتستخدم عادة عند الحاجة لها في تحليل نتائج الأعمال وعندما يكون التقرير متعلقاً بأموال محدودة نسبياً حتى تسهل عملية مراجعته وفحصه والوصول للحقائق.

ب- الخرائط والأشكال البيانية: تستخدم عند التعامل مع أرقام كثيرة ومعقدة، وعندما تغطي فترة زمنية طويلة، ويفضل المديرون في كثير من الأحيان هذه الطريقة لأنها تعطي فكرة واضحة ومبسطة عن نتائج أداء الأفراد.

ت- التقارير الإنشائية: تستخدم لتقييم الأداء لمواضيع أو أعمال لا يمكن قياسها كمياً مثل مدى التعاون مع الآخرين والمبادأة والقدرة على اتخاذ القرارات... وغيرها ويستخدم هذا الأسلوب لغرض معالجة الانحرافات والأخطاء وتحديد أساليب معالجتها.

هذا فيما يتعلق بأسلوب التقييم أما فيما يتعلق بطرق التقييم فثمة طرق متعددة لتقييم أداء الأفراد، ولعل اختيار الطريقة الفضلى من بينها يخضع لعدة اعتبارات متنوعة أهمها حجم المنظمة، تقاليدها، أسلوب الإدارة فيها، ثقافة المدراء ومدى استعدادهم للتغيير، وتجربة الأفراد ومستوى ثقافتهم، ونوع الوظيفة ومخرجاتها؛ وأياً كانت الطريقة المختارة فإن هناك عدة شروط يجب توافرها.

الشروط المطلوبة في طرق التقييم:⁽¹⁾

1- الصدق: إن أية طريقة للتقييم يجب أن تعكس بصدق واقع أداء الموظف ومستوى هذا الأداء بالمقارنة مع زملائه في العمل.

2- لثبات: فإذا كان أداء الموظف نفسه وكذلك أداء زملائه يتصفان بالتغير فإن طريقة التقييم يجب أن تتصف بالثبات، إذ من غير الجائز أن تعطى تطبيقات التقييم في الفترة نفسها نتائج متفاوتة سببها اختلاف المقيمين وتفاوت خبراتهم، أو أن تكون نتيجة تقييم الموظف نفسه متفاوتة بسبب اختلاف النظرة بين هذا المشرف أو ذاك.

3- التمييز: إن الطريقة الجيدة والدقيقة هي التي بإمكانها أن تكشف عن الفروقات بين الأفراد وأن تميز بينهم حسب مستوى الأداء، وإلا فقدت الطريقة مبرر وجودها من الأساس.

4- السهولة: إن البساطة والوضوح وعدم التعقيد تسهل تطبيق التقييم وتحد من ميل بعض المشرفين لإهمال التقييم أو عدم منحه الأهمية التي يستحقها. وفيما يلي عرض لأهم طرق التقييم الشائعة:

أولاً: الطرق التقليدية:

1- سلم التقدير:

قد تكون هذه الطريقة هي الأكثر انتشاراً عالمياً، إذ تظهر بعض الإحصاءات أن استعمالها يفوق استعمال سائر الطرق مجتمعة؛ وتقوم هذه الطريقة على قياس مدى توفر كل عامل من عوامل التقييم في أداء الموظف، ويكون كل عامل من العوامل مقسماً على مدى تقديرات متدرج من أعلى إلى أدنى مستوى، ويضع المقيم الإشارة الملائمة في المربع الأكثر تناسباً مع أداء الموظف. وتكون عوامل التقييم المتبعة في هذه الطريقة على نوعين:

أ- مكونات العمل المادية كحجم العمل وجودة الأداء.

ب- الخصائص الشخصية كالاعتماد على الذات والمبادرة والتكيف والتعاون.

وبعد إعطاء الموظف تقديراً معيناً بحسب توفر تلك الخاصية يتم جمع تلك التقديرات ويصبح المجموع ممثلاً للمستوى الذي يعتد القائم بعملية التقييم أن يمثل أداء الشخص.

وتتميز هذه الطريقة بالبساطة والسهولة ويتم استخدامها غالباً بواسطة الرئيس المباشر

للأفراد موضع التقييم.

عيوب الطريقة:

(1) محمد جنان شعبان، الموارد البشرية في المصارف العربية، اتحاد المصارف العربية، ص 179.

أ- العيب الأساسي لهذه الطريقة هو أن الفرد القائم بالتقييم قد يكون متحيزاً في تقديره بإعطائه تقديراً مرتفعاً لشخص معين في جميع الصفات والعوامل نتيجة امتيازته في خاصية واحدة أو إعطائه تقديراً منخفضاً في جميع العوامل لضعفه في ناحية من نواحي التقييم.

ب- إن شخصية القائم بالتقييم وطريقة تفكيره واتجاهاته قد يترتب عليها أن يعطي تقديرات أعلى من الواقع لكل من يقوم بتقييمه إذا كان متساهلاً أو العكس إذا كان متشدداً في تقديره.

ت- وجود مؤثرات كثيرة تجعل عملية التقييم غير موضوعية كالاتجاه في تقييم الأشخاص شاغلي المراكز العليا بأكثر من الواقع والميل إلى إعطاء شاغلي المناصب المتوسطة تقديرات منخفضة كذلك نوع العمل الذي يقوم به الشخص، والإدارة التي يعمل بها أو علاقته بالرؤساء.

2- طريقة المقال:

بمقتضى هذه الطريقة يضع المقيم تقريراً موجزاً يصف فيه أداء الموظف مركزاً على أساسيات الأداء وليس على العمل اليومي الروتيني. إن التقديرات وفقاً لهذه الطريقة تتوقف تماماً على مؤهلات المقيم فقد لا يفهم التقدير على حقيقته من قبل الرئيس الأعلى فيما إذا كان تعبير المقيم غير واضح، كما أن بعض المقيمين المهرة الذين يجيدون تدبيج التقارير قد يستطيعون بموجب هذه الطريقة أن يبرزوا بعض العاملين العاديين جداً كأنهم الأكثر كفاءة، كما يؤخذ على هذه الطريقة أنها لا تمكن من إجراء المقارنة فيما بين الموظفين لجهة تقييمهم وتقديراتهم.

3- طريقة الترتيب:

تقوم هذه الطريقة على مقارنة الأفراد فيما بينهم من ناحية الكفاءة وعوامل الأداء وليس خصائص وصفات الشخص، ومن ثم ترتيبهم تصاعدياً أو تنازلياً بحيث يأخذ الأكفأ المرتبة الأولى والآخرين المراتب التالية بالتدرج. وبموجب هذه الطريقة ينتقي المقيم اسم الموظف الذي يملك الكفاءة القصوى بالنسبة لعامل التقييم المطروح فيعطيه المرتبة الأولى ثم ينتقي الموظف الأضعف ضمن المجموعة فيعطيه المرتبة الأخيرة، ثم يقوم بتصنيف الموظفين الآخرين فيما بين المرتبتين الأعلى والأدنى. ويؤخذ على هذه الطريقة الاعتماد على نظرة المقيم في تقييم الأداء العام للموظف وعدم استخدام معايير موضوعية يتم التقييم على أساسها.

4- طريقة المقارنة الثنائية:⁽¹⁾

(1) علي السلمي، إدارة الأفراد والكفاءة الإنتاجية، مصدر سابق، ص 336.

بموجب هذه الطريقة يتم تقسيم العاملين في الإدارة الواحدة إلى أزواج فتتكون مجموعات ثنائية تضم كل مجموعة موظفين طبقاً لقواعد التوافق، وتستخدم المعادلة التالية في تحديد عدد

$$\frac{n(n-1)}{2} \quad \text{حيث } n \text{ هي عدد الأفراد المطلوب تقييمهم.}$$

وتكون مهمة المقيم هي مقارنة كل ثنائية وتحديد الأفضل، والموظف ذو الأداء الأعلى هو الذي تم اختياره حين مقارنته بجميع أقرانه، أما الآخرون فيكون ترتيبهم بحسب المرات التي تم اختيارهم فيها وتفضيلهم على الآخرين.

والمآخذ التي تسجل على هذه الطريقة:

- أ- أنها تقتصر على ترتيب الأفراد بحسب مستوى الأداء المقارن دون الأخذ بالاعتبار الجوانب الأخرى الهامة في عملية تقييم الأداء.
- ب- أنها تتطلب وقتاً طويلاً، إذ كلما زاد عدد الأفراد المطلوب تقييمهم ازدادت المقارنات الثنائية بمعدل أكبر. وللتغلب على هذه الصعوبة أجريت تعديلات يتم وفقاً لها تقسيم العدد الكلي للأفراد إلى مجموعات أصغر بحيث تجري عمليات المقارنة الثنائية ضمن كل مجموعة صغرى على حده.
- ت- كما يؤخذ عليها أنها محدودة الفائدة إذ لا تصلح لأغراض الترقية لأنها لا تبين السبب في تقييم الفرد تقييماً عالياً أو منخفضاً، كما أنها لا تصلح لأغراض النقل والفصل. والغرض الوحيد الذي تصلح له هو اختبار مدى نجاح سياسة الاختيار والتعيين في اختيار الأشخاص المناسبين.
- ث- وتتميز هذه الطريقة بأنه إذا قام أكثر من شخص بعملية المقارنة ففي الغالب سوف يصلون إلى نفس النتائج تقريباً عما لو اتبعت أي طريقة أخرى من طرق قياس الكفاءة.

5- طريقة التوزيع الإجباري:⁽¹⁾

تقوم هذه الطريقة على أساس فكرة التوزيع الطبيعي والذي يقول بأن أي ظاهرة تميل إلى التركيز حول القيمة المتوسطة للظاهرة ويقل تركزها عند الطرفين. ووفقاً لهذه الطريقة يتم تقييم الشخص على أساس الأداء العام للعمل، وتتم العملية على النحو التالي:

- أ- تتم كتابة أسماء الأفراد المطلوب تقييمهم على كروت صغيرة، كل اسم على كرت.
 - ب- يطلب من المشرف أن يوزع الكروت على خمس مجموعات كالاتي:
- 1- المجموعة الأولى - ضعيف - وتمثل 10% من الأفراد.

(1) علي السلمي، نفس المصدر، ص 336.

- 2- المجموعة الثانية - أقل من متوسط - وتمثل 20% من الأفراد.
 - 3- المجموعة الثالثة - متوسط - وتمثل 40% من الأفراد.
 - 4- المجموعة الرابعة - أعلى من متوسط - وتمثل 20% من الأفراد.
 - 5- المجموعة الخامسة - جيد جدا - وتمثل 10% من الأفراد.
- الطرق السابقة كانت مستخدمة إلى حد كبير قبل الحرب العالمية الثانية، ونتيجة للقصور الواضح في كل منها بدأ البحث عن طرق أفضل لقياس أداء الأفراد.

ثانياً: الطرق الحديثة:

1- طريقة الاختيار الإجباري:

تقوم هذه الطريقة على تجميع عدد كبير من العبارات التي تصف أداء العمل، ويتم توزيع تلك العبارات في ثنائيات تعبر إحداها عن النواحي المرغوبة في الشخص وتعبر الثنائية الأخرى عن النواحي غير المرغوبة فيه. كما يوضح المثال التالي:

المجموعة الأولى:

1- يتصف بالجرأة

2- يحب المسؤولية.

المجموعة الثانية:

1- يتصف بالسلبية.

2- لا يحب المسؤولية.

ويتم إعداد شفرة خاصة بتحديد العبارة التي تعتبر أكثر أهمية في كل ثنائية، ويطلب إلى المشرف أن يضع علامة أمام تلك العبارة الأكثر انطباقاً على الشخص والعبارة الأقل انطباقاً. وبمراجعة تلك العبارات المختارة على الشفرة السرية يمكن تحديد القيمة عن طريق احتساب العبارات المختارة والتي تتفق مع العبارات الواردة في الشفرة فقط.

والميزة الأساسية لهذه الطريقة هي أن المشرف لا سبيل له إلى التحيز بإضفاء قيمة أعلى أو أقل من الواقع على الشخص موضع التقييم حيث لا يعلم العبارات الحقيقية الواردة بالشفرة، ورغم هذه الميزة فإن الطريقة لم تلق انتشاراً كبيراً بسبب:

أ- صعوبة فهمها وتطبيقها.

ب- صعوبة الاحتفاظ بشفرة سرية.

2- طريقة الوقائع الحرجة:

وتسمى كذلك طريقة الوقائع ذات الأهمية القصوى، وتركز هذه الطريقة على تقييم سلوك الأفراد في مواجهة الأحداث الحرجة، ويعد هذا الغرض قائمة مقسمة إلى قسمين إحداها يشير

إلى كفاءة الأداء ويشير القسم الثاني إلى عدم الكفاءة. ومن خلال المتابعة اليومية يقوم المشرف برصد وتدوين الأحداث المهمة السلبية والإيجابية ذات التأثير الحاسم على سير العمل، أما الأحداث العادية والعرضية التي لا تؤثر جدًّا فيتم تجاوزها من سجل هذه الأحداث. وعادة ما ترتبط الأحداث الحرجة التي يتم التقييم على أساسها بعناصر تتصل بصلب المهام الوظيفية التي يؤديها الفرد وليس بسماته الشخصية.

ومن الصعوبات التي تواجه هذه الطريقة:

- أ- أنها تتطلب وقتاً طويلاً وجهداً كبيراً.
- ب- لا يمكن لأي مسؤول أن يقوم بها سوى المشرف المباشر.
- ت- قد ينتج عن ممارسة هذه الطريقة تدهور حاد في معنويات الموظفين من جراء إحساسهم بأن المسؤول عنهم يقوم بملاحظة وتدوين تصرفاتهم.

1- الإدارة بالأهداف والنتائج (لتقييم المدراء)⁽¹⁾:

إن التقييم من خلال الإدارة بالأهداف والنتائج هو من أهم وأحدث الطرق المتبعة في تقييم الرؤساء التنفيذيين وبالنظر لما أحرزتها هذه الطريقة من نجاحات، أخذت ميادين تطبيقها تمتد وتتسع تدريجياً لتشمل فئات جديدة من المدراء. الإدارة بالأهداف والنتائج في حقيقتها فلسفة جديدة في الإدارة وطريقة جديدة في العمل، لذلك فإن تقييم الأداء من خلالها ليس إجراءً منعزلاً وإنما هو حلقة أساسية تتراكم مع الحلقات الأخرى لتشكّل نظاماً متكاملًا للأداء لا يمكن أخذ أحد حلقاته وترك سواها، كما أن تقييم الأداء من خلالها ليس مناسبة موقوتة أو عابرة، لأنه يمتد في سياق أداء العمل بمجمله وعلى فترة محددة بنصف سنة أو سنة أو أكثر.

خطوات الإدارة بالأهداف:

- تستخدم الإدارة بالأهداف كأسلوب لقياس وتقييم الأداء من خلال اتباع الخطوات التالية:
- 1- تقوم الإدارة العليا والمدراء على اختلاف مسؤولياتهم بإنشاء الأهداف التي يأملون إنجازها في السنة القادمة.
- 2- يقوم المدراء سويًا بتحديد الأساليب والتسهيلات والوسائل المتاحة لتحقيق تلك الأهداف وتحديد المجال الرئيسي لمسؤولية كل منهم.
- 3- يجري التوافق على معايير ومستويات الإنتاجية المطلوبة يتبين منها بوضوح ما هو الأداء المرتفع وما المتدني منه.
- 4- تعتمد مؤشرات لتقدم العمل التي يجري على أساسها التقييم الأولي (الفصلي أو النصف سنوي) لاستباق المشكلات أو اكتشافها مبكرًا وإيجاد الحلول لها.

(1) محمد جنان شعبان، الموارد البشرية في المصارف العربية، مصدر سابق، ص 185.

5- يجرى تقييم مشترك بنهاية الفترة المحددة يتم خلالها قياس النتائج المحققة على الأهداف المخططة مسبقاً.

مميزات التقييم بالأهداف والنتائج:

هناك عدة سمات رئيسية تميز التقييم بالأهداف والنتائج عن طرق التقييم المختلفة ومن أهمها:

- 1- الموضوعية: لأن التقييم يبنى على أساس النتائج المحققة وبمعزل عن السمات الشخصية والاعتبارات السلوكية.
- 2- وضوح المقاييس: إذ أن التداول المسبق والتوافق على مستويات الأداء المطلوبة يوفر الأساس الثابت والمتفق عليه لإجراءات التقييم اللاحقة.
- 3- كثافة الاتصالات والمشاركة: يتميز التقييم بالأهداف والنتائج بكثافة الاتصالات وبمناخ علاقات إنسانية متطورة بين الرؤساء والمرؤوسين، ذلك أن الاتفاق على الأهداف والمستويات والوسائل وإجراء التقييم الأولي والدعم النزيه والفعال الذي يوفره الرئيس للمرؤوسين لتمكينهم من تحقيق الانجازات، كل ذلك يوفر الأساس الثابت للاتصالات في الاتجاهين وللتفاعل البناء في بيئة المنظمة.
- 4- تنمية الرقابة الذاتية: إن الوضوح المسبق لمسار تنفيذ الأعمال واتفاق الرئيس والمرؤوس على تحقيق الأهداف المحددة خلال مدة زمنية معينة ودون رقابة مظهرية مترتبة بالمعنى التقليدي - لأن تقييم الأداء سيرتكز في النهاية على الإنجازات المحققة وليس على مظاهر الشغل والانشغال التي تشوب طرق التقييم الأخرى - إن من شأن ذلك أن ينمي الإحساس بالمسؤولية لدى المرؤوس و أن يحثه على ممارسة التطوير الذاتي والرقابة الذاتية، وذلك خلافاً للطرق الأخرى التي تشجع الموظفين على التظاهر بالانشغال.

الحادي عشر/ أنواع التقييم:⁽¹⁾

1- التقييم الدوري:

إن التقييم الدوري هو محاولة لتقدير انجازات الموظف في أوقات محددة ولتوضيح نقاط القوة والضعف في عمله بعد نهاية فترة زمنية كانت محددة منذ البداية. إن كيفية ومدة التقييم تختلف بين مؤسسة وأخرى، بعض المؤسسات تستعمل طرقاً بسيطة تشمل عدداً قليلاً من نشاطات الموظف أو صفاته بينما توجد منظمات أخرى لديها

(1) محمد جنان شعبان، نفس المصدر، ص 187.

متطلبات معقدة لإنجاز هذا التقييم وتتراوح عادة المدة الفاصلة بين كل تقييم وآخر بين ستة أشهر أو سنة كاملة.

من مميزات هذا النوع من التقييم أنه يساعد المقيم في تقدير درجة تحمل الشخص موضوع التقييم للمسؤوليات، ومدى حدود الاتكال عليه عن طريق تحديد درجة نجاح الموظف في اتمام واجبات وظيفته خلال فترات التقييم.

أما الملاحظات على هذا النوع فتتمثل فيما يلي:

أ- هذا التقييم يمكن أن يكون غير عادل لأن النتائج التي يحققها الموظف قد لا تظهر عند إجراء التقييم.

ب- قد يكون الشخص الذي يجري عملية التقييم جديداً في العمل ولا يعرف شيئاً عن كفاءة الشخص موضوع التقييم.

ت- قد يصادف وقت إجراء التقييم فترة ضغط وتعب بالنسبة للشخص الذي يجري التقييم وبالتالي لا يعيره الأهمية اللازمة.

ث- إن التقارير ذات الفترة المحددة تفقد أهميتها بحيث تصبح عملاً مبرمجاً يجب إجراؤه ضمن هذه الفترة.

2- التقييم المستمر:

هذا النوع من التقييم المتواصل للموظف يوكل به عادة المدير المباشر للشخص موضوع التقييم؛ ويبنى هذا النوع على الافتراض بأن التقييم المستمر لمقدرة الشخص هي ضرورة جداً للإدارة الفعالة عن طريق متابعة إجراءات العمل يوماً بيوم ومدى حدود الاتكال على الشخص ودرجة الثقة فيه والجهد المبذول من قبله.

هذه الطريقة تؤمن فرصة جيدة للشخص موضوع التقييم ليعرف توقعات الإدارة منه نتيجة الاتصال المستمر، كما تمكن الشخص الذي يجري عملية التقييم مراقبة أعمال وتصرفات المقيم عن كثب.

إن التقييم المستمر مثل التقييم الدوري فهو شخص بطبيعته، وبالتالي ينقصه التقييم الموضوعي لكامل قدرات الموظف.

هذا النوع قد يؤدي إلى خلل في وقت التنفيذ، وذلك بسبب الوسيلة الجزافية التي يستطيع الرئيس استعمالها عند التقييم بوصفه مركز السلطة والمرجع الوحيد بحيث تهمل كلياً مميزات الموظف موضوع التقييم.

الثاني عشر/ عوامل التقييم⁽¹⁾:

أ/ العوامل المادية المتعلقة بالأداء وأهمها:

- 1- حجم العمل المنجز.
- 2- نوعية العمل المنجز ومستوى جودته وإتقانه.
- 3- الحرص على الأجهزة والمعدات والآلات.
- 4- إنجاز العمل في أوقات الضغط.

ب/ العوامل الذاتية المتعلقة بالسمات الشخصية وأهمها:

- الذكاء، الشخصية، المنطق، الموهبة....الخ.
- ويشكل قياس هذه العوامل صعوبة بالغة للأسباب التالية:
- 1- تعذر الاتفاق على فهم مشترك للسمات الشخصية.
 - 2- صعوبة اختيار عدد محدد من السمات.
 - 3- العلاقة غير الأكيدة بين مستوى الذكاء والأداء الكفؤ للعمل.

ج/ العوامل المتعلقة بسلوكيات الأداء وأهمها:

- 1- تحصيل المعطيات وتحليلها بدقة.
- 2- أداء العمل دون رقابة استثنائية.
- 3- القدرة على اتخاذ المبادرة وإمكانية الاعتماد عليه.
- 4- سداد الرأي والقدرة على الحكم وإبداء الرأي الصائب في أمور العمل.
- 5- متانة وفعالية علاقاته الشخصية بالآخرين وتعاونهم معهم.
- 6- القدرة على الإشراف وإدارة فريق العمل.
- 7- القدرة على التحليل الموضوعي والتنبؤ بمشكلات العمل وابتكار الحلول.
- 8- القدرة على تحديد الأهداف واستغلال الموارد وتنسيقها لتحقيق الأهداف.

د/ العوامل المتعلقة بالإنجازات والنتائج المحققة:

إن أساس التقييم في الإدارة بالأهداف والنتائج هو مدى تحقيق الموظف للأهداف المقررة في التاريخ المعين لها، لذلك فإن التقييم بحد ذاته هو عملية مطابقة النتائج المحققة فعلياً بتاريخ معين مع الأهداف المخطط لها مسبقاً والمتوقع إنجازها في موعد محدد.

والسؤال الذي يمكن طرحه هنا هو: ما عدد العوامل التي يجب أن تقوم؟

(1) محمد جنان شعبان، نفس المصدر، ص 161.

إن تحديد عدد العوامل التي يتضمنها التقييم يعتمد عادةً على الغرض من هذا التقييم، وفي دراسات متعددة لأنظمة تقييم الأداء في المؤسسات تبين أنه ما بين 5 إلى 9 عوامل يمكن الحصول من خلالها على المعلومات كافية لعدة أغراض، و تلعب الواقعية دوراً كبيراً في تحديد عدد العوامل التي يتضمنها التقييم.

ولعل من الأهمية بمكان أن تختار تلك العوامل بعناية دون تقليل أو تضخيم، وأن تصاغ هذه العوامل بكل دقة وعناية كي تكون مدلولاتها محددة وغير قابلة لأي تفسير أو تأويل، وهذا يقتضي تجنب العبارات العمومية أو التي تحتمل تفسيرات متباينة تبعاً لتباين القائمين بالتقييم.

الثالث عشر/ الصعوبات المعترضة لعملية التقييم⁽¹⁾:

إن الحكم الشخصي أو الإنساني يلعب دوراً أساسياً في عملية التقييم وهذا يجعلها معرضة لعدة صعوبات وأخطاء أهمها:

- 1- نقص الموضوعية: إن المأخذ الرئيسي على طرق التقييم خاصة التقليدية هو نقص الموضوعية كاختلاف التقييمات بين مقيم وآخر تجاه التقدير المستحق للموظف الواحد، حيث غالباً ما يتضمن التقييم عوامل شخصية يصعب قياسها كالطبائع والشخصية إضافة إلى:
 - أ- أن معظم التقييمات تعكس وجهات نظر المقيمين الذاتية لا وجهة نظر المنظمة.
 - ب- اختلاف مفاهيم العوامل ومقاييس التقديرات فيما بين المقيمين اختلافاً كبيراً، مما يؤدي إلى نتائج متباينة تنتقص من وحدة النظام وعدالته بسبب عدم المراس وانعدام التدريب.
 - ت- تجنب الحرج والمواجهة مع الموظفين، لعدم قدرة المقيم على إعطاء المبررات المقنعة لتدني التقدير.
 - ث- عدم اكتراث بعض المقيمين بالتقييم وعدم إعطائه الوقت والجهد الكافيين أثناء تطبيقه.
 - ج- إجراء التقييم بصورة تعطي انطباعاً بأن الأمور تسير على ما يرام بالفرع أو الوحدة أو غيرها.

2- خطأ الهالة: يبرز هذا الخطأ عندما يتأثر المقيم بصفة بارزة من بين صفات الموظف حسنة كانت أو سيئة مما يؤثر في مجمل التقييم، كأن تتميز شخصية الموظف بالطاعة المطلقة لرئيسه والارتباط الشخصي به فيُعطي تقديراً عالياً بالنسبة لمختلف العوامل رغم أن هذا الموظف قد تكون معرفته بواجبات عمله ضئيلة ومستوى أدائه متدنياً، أو قد تطغى أيضاً

(1) كامل بربر، إدارة الموارد البشرية وكفاءة الأداء التنظيمي، مصدر سابق، ص 129.

إحدى عوامل التقييم السلبية على نظرة المقيم فتؤدي إلى إغفاله لمعظم إيجابيات الموظف وكفاءاته.

3- **الميل للتقدير المتساهل:** ويقصد به إعطاء جميع الموظفين أو معظمهم التقديرات العالية دون الأخذ بالاعتبار التفاوت الحقيقي في مستويات الأداء أو الفروق الفردية والسلوكية في أعمالهم. وهذا النهج يؤدي في حال حدوثه وتغشيه إلى إفشال برنامج التقييم فضلاً عن الغبن الذي يلحق بالأكفاء جراء مساواتهم بالأقل كفاءة.

4- **الميل للتقدير المتشدد:** ومن مظاهره حصول معظم الموظفين بمن فيهم ذوي الأداء الجيد على تقديرات متدنية أو حصول موظفي إحدى الوحدات على تقديرات أدنى من سواهم في الوحدات الأخرى رغم تقارب مستويات أدائهم، وسبب هذا الخطأ نمط شخصيات بعض المقيمين وطباعهم الميالة للتشدد المبالغ فيه.

5- **الميل للتقدير الوسط:** ويسمى خطأ النزعة المركزية وهو من الأخطاء الشائعة على نطاق واسع، إذ يعتمد المقيم لأسباب شتى إلى عدم إجراء تقييم دقيق للموظف ويكتفي بإعطاء التقدير الوسط أو محاذاته بغض النظر عن مستوى الأداء الفعلي لكل الموظفين، ولعل أحد الأسباب المشجعة لارتكاب هذا الخطأ أن معظم استمارات التقييم توجب تبرير التقديرات القصوى سواء كانت مرتفعة أو متدنية فيعمد المقيم تحاشياً لأي تعليل أو تفسير مطلوب منه إلى توجيهه تقديراته وتركيزها ناحية المركز (الوسط) الذي يخليه من أية مسؤولية حسب مفهومه والأخطاء الثلاثة السابقة (التساهل، التشدد، الوسط) لا يشكل ارتكابها أي مشكلة إذا تم تقييم جميع الأفراد في المنظمة من قبل فرد واحد لأن الخطأ سيكون مكرراً عند الجميع، إلا أن ذلك لا يحدث من ناحية عملية حيث يكون هناك أكثر من مقيم في المنظمة الواحدة.

6- **خطأ التشابه:** ويرتكب هذا الخطأ عندما يقيم المقيم الأفراد بناء على صفات موجودة لديه، كأن يكون المقيم جريئاً فيركز على عنصر الجرأة عند الشخص موضوع التقييم ويهمل الصفات الأخرى.

7- أخطاء تعود إلى المظهر الخارجي للفرد، الجنس، العرق، الدين، مستوى التعليم...الخ.

8- التحيز الناتج عن التأثير بسلوك الفرد في فترة ما قبل التقييم تثبت فكرة وانطباع محدد لدى الرئيس المباشر بأداء المرؤوس لتلك الفترة وهذا يؤدي إلى إعطاء تقدير غير صحيح ومضلل.

9- التحيز المبني على أسس غير موضوعية كالصداقة والعلاقات الأسرية والاجتماعية الأخرى وغيرها من الاعتبارات الشخصية.

10- التكتّم والسرية الشديدة حول أهداف التقييم ونتائجه مما يؤدي إلى عدم تعاون الأفراد لمثل هذه البرامج وبالتالي التأثير في صحة المعلومات والبيانات موضع التحليل والتقييم مما يؤثر سلباً في فعالية برنامج تقييم الأداء.

11- صعوبة تقييم أداء الفرد نتيجة التركيز على أهداف يصعب ترجمتها إلى أرقام.

الرابع عشر/ شروط نجاح عملية التقييم⁽¹⁾:

إن الهدف الأساسي من عملية تقييم الأداء هو إدراك المنظمة ممثلة في الإدارة العليا وكذلك الأفراد (الموظفين) بمستوى كفاءة عمل الفرد (الموظف) ومقارنة إنجازاته وإنتاجيته بالمستوى الوظيفي المطلوب والمخطط له ومن ثم يمكن الوصول إلى تحقيق الأهداف العامة للمنظمة.

وكثيراً ما يتم إعداد برامج لتقييم الأداء وتنفذ بدقة ولكن عند تحليل النتائج والآثار المترتبة على عملية التقييم يجد المسؤولون أن أعمال التقييم لم تؤد إلى تحقيق الأهداف. معنى ذلك وجود مشاكل ونقاط يجب أخذها في الاعتبار عند وضع نظام تقييم الأداء وتنفيذه، ولكي يتحقق نجاح عملية تقييم الأداء هناك بعض الشروط أهمها:

- 1- أن توضح أهداف عملية التقييم للأداء لجميع العاملين في المنظمة سواء كانوا رؤساء أو موظفين، وذلك بهدف التعاون الجماعي لتحقيق الرقي بالمستويات الوظيفية مما يؤدي إلى تحقيق المصلحة والأهداف العامة.
- 2- أن تكون التعليمات واضحة ودقيقة ومفصلة ومفهومة لكافة الأفراد بكل المستويات الإدارية بالمنظمة.
- 3- أن تكون الإدارة العليا بالمنظمة على اقتناع بأهمية وخطورة عملية تقييم الأداء للأفراد، وما لهذه العملية من أثر إيجابي وفوائد جمة على المنظمة.
- 4- أن تكون هناك معايير واضحة وثابتة لتقييم الأداء.
- 5- أن يتمتع المشرفون والرؤساء على أعمال تقييم الأداء بمستوى عال من الخبرة الإدارية بجوانب عملية التقييم وكيفية التعامل مع الأفراد لتحقيق الأهداف المشتركة.
- 6- أن يراعى في تصميم استمارات وقوائم ونماذج تقييم الأداء الدقة والسهولة والموضوعية واحتوائها على معلومات هامة وكافية لتقدير كفاءة الأفراد.
- 7- أن يكون تقييم الأداء مبنياً على أسباب موضوعية واضحة وليس على جوانب شخصية، كما يجب أن تكون نتائج التقييم علنية ليكون الفرد على بينة ومعرفة

(1) محمد محسن أسعد، تقييم أداء الأفراد، مصدر سابق، ص 36.

لمستواه الحقيقي من خلال التقييم الموضوعي لأدائه، ومعرفة جوانب القوة والضعف تساعد الأفراد نفسياً في استخدام أساليب التنمية الذاتية لأداء العمل.

8- تعميم نظام التقييم على جميع العاملين بالمنظمة.

9- أن يترتب على عملية التقييم آثار إيجابية منها إعطاء مزايا مادية من مكافآت وعلاوات أو ترقية للعاملين ذوي المستويات المرتفعة، وذلك يؤدي إلى تحسين إنتاجية الأفراد ذوي التقييم المنخفض، ومعرفة المزايا المادية والمعنوية يدفع هؤلاء الموظفين إلى محاولات جادة من أجل كفاءة وأداء أفضل.

10- أن يترك المجال للعاملين لمناقشة نتائج التقييم والتظلم حيالها إذا كانت غير صحيحة، مع وضع ضمانات لحماية الأفراد من أي غبن أو ظلم أو ضغط.

الخامس عشر/ الاتجاهات الحديثة في تقييم الأداء⁽¹⁾:

من بين أهم الاتجاهات العامة في طرق قياس كفاءة العاملين حديثاً ما يلي:

1- الاتجاه إلى استخدام عدد أقل من الصفات موضع التقييم مع توسيع وتعميق المعاني المستخدمة.

2- الاتجاه إلى استخدام وسائل بسيطة وسهلة الاستعمال في رصد التقديرات واستخراج النتائج العامة.

3- الاتجاه إلى عدم احتساب قيمة إجمالية لكفاءة العامل والاكتفاء بالتقديرات الجزئية لنواحي الشخص المختلفة.

4- ازدياد التعاون والتفاعل بين المستويات الإدارية المختلفة في عملية التقييم، أي عدم اقتصرها على المشرف أو الرئيس المباشر فقط.

والنموذج الحديث لقياس كفاءة العاملين يأخذ في الاعتبار الاتجاهات السابقة وتمثله طريقة التقييم المشتركة، وأساس تلك الطريقة هو أن يتم تقييم الفرد بطريقة الاقتراح السري بواسطة كل فرد من أفراد جماعة العمل التي هو عضو فيها دون أي اعتبار للمركز الإداري؛ وعلى ذلك فإن تقييم الفرد يتم بمعرفة زملائه ورؤسائه ومرؤوسيه، على أن يتم اختيار الصفات موضع التقييم بمعرفة القائمين به، وأن تتم إحاطة كل مشترك في عملية التقييم بنتائجها، وأن يراقب المشتركون في التقييم الأغراض التي تستعمل فيها نتائج التقييم.

(1) علي السلمي، إدارة الأفراد والكفاءة الإنتاجية، مصدر سابق، ص 340.

خاتمة:

يرى الباحث أن كافة إجراءات تقييم الأفراد السابق عرضها انصبت على جانب واحد من الأداء الفردي وهو الإنجاز (الكمّي) والذي يعبر عن نتائج الأداء (الأهداف) وهذا النوع من التقييم يقيس فاعلية أداء الأفراد فقط ؛ وبذلك تم إغفال تقييم الجانب الثاني المهم للأداء وهو تقييم الأداء السلوكي المتمثل في (السرعة والدقة والمواظبة والتعاون مع الآخرين) وهذا التقييم يقيس كفاءة أداء الأفراد وهو الأهم لأن السرعة والمواظبة والتعاون تؤدي إلى زيادة الفاعلية (أفضل النتائج) بينما الدقة تؤدي إلى الجودة وتقليل التكلفة لأدنى حد ممكن (الكفاءة) ولا يتأتى ذلك إلا بترشيد الأداء أي الاستخدام الأمثل لمواردها المختلفة فالكفاءة هي الهدف الأول لكل المنظمات بمختلف أنواعها لأنه يتيح لها أكثر من ميزة تنافسية للسلعة أو الخدمة في الأسواق، من هنا يجب الاهتمام بالجانب السلوكي للأداء عند قياس أداء الأفراد ليكون التقييم شاملاً (كمياً وكيفاً) وموضوعياً ومحققاً لأهدافه وذلك بوضع آلية جديدة تتضمن معايير وطرق وإجراءات جديدة لقياس الأداء السلوكي للأفراد وتقييمه.

المراجع:

- 1- جميل أحمد توفيق، إدارة الأعمال - مدخل وظيفي - دار الجامعات المصرية 1988م.
- 2- زهير الصباغ، معهد الإدارة العامة، السعودية 1988م
- 3- كامل بربر، إدارة الموارد البشرية وكفاءة الأداء التنظيمي، المؤسسة الجامعية 1997م.
- 4- ماريون إي هاينز، إدارة الأفراد - دليل شامل للإشراف الفعال - ترجمة د. محمد مرسى ود. زهير الصباغ، معهد الإدارة العامة، السعودية 1988م.
- 5- محمد جنان شعبان، الموارد البشرية في المصارف العربية، اتحاد المصارف العربية
- 6- محمد محسن أسعد، مجلة الإدارة، تقييم أداء الأفراد في الأجهزة الحكومية، المجلد الثامن عشر، العدد 53.
- 7- علي السلمي، إدارة الأفراد لرفع الكفاءة الإنتاجية، دار المعارف، القاهرة.
- 8- عنان الجعبري، دور الإبداع الإداري في تحسين الأداء الوظيفي، 2009م.
- 9- فادي جعفر الجنيدي، تقنيات الاتصال ودورها في تطوير الأداء، 2010م، جامعة الخليل.
- 10- صالح عودة سعيد، إدارة الأفراد، الجامعة المفتوحة، 1994م.
- 11- ريتشارد هندرسون، مدخل عملي لتقييم الأداء، ترجمة إبراهيم عبد اللطيف، مجلة الإدارة المجلد 23، العدد الثاني 1990م.

مراحل الرؤية السردية في رواية واو الصغرى

د. عبدالله صالح طاهر

قسم اللغة العربية – كلية التربية

جامعة بني وليد

مراحل الرؤية السردية في رواية واو الصغرى

د. عبدالله صالح طاهر

قسم اللغة العربية – كلية التربية

جامعة بني وليد

مفهوم الرؤية:

بدأ التحول عن النقد التقليدي السائد من خلال منهج علمي محدد يتعامل مع النصوص السردية بمعزل عن الإسقاط الخارجي، وقد جاء مفهوم (الرؤية) أو (التبئير) تطوراً لمفهوم وجهة النظر في النقد البنوي، فالرؤية (التبئير) تحقق الترابط بين المفعول للخطاب المتكلم وتتم تحديد موضعها داخل الحدث، وبين الراي الذي تطرحه رؤيته أمامنا – أي بين صوت المتكلم والشخصية التي تتم الرؤية عبرها.⁽¹⁾

ولعل مفهوم الرؤية بهذا الشكل يقدم نتائج أكثر فاعلية منه مع النهج القديم، الذي كان يعتمد (جنيت) ومن كان قبله.

حيث قسم الرؤية أو التبئير إلى ثلاثة أنواع، تعتمد على موضع السارد من الحكي المسرود غالباً، كما قسمه غيره بالاعتماد على مدى سيطرة الراوي على الشخصيات التي يرسم حياتها.⁽²⁾ فالرؤية السردية هي تطوير لمفهوم الرؤية في النقد قبل الحقبة البنوية، ويمثل هذا المفهوم الإجابة على سؤالين مهمين وهما:

الأول: هل المتكلم أو الراوي (داخل أو خارج) الخطاب الذي يرويهِ من خلال فعل واوية أو كلامه؟ بحيث إنه لو كان ضمن تلك المادة المحكية أو عنصراً فيها تكون الرؤية (داخلية) ولو كان خارج تلك المادة المحكية تكون الرؤية (خارجية).

الثاني: هل المتكلم يتكلم من داخل نفسه أو داخل غيره من الشخصيات التي يرصدها (داخلي)؟ أم أن الرؤية خارج الشخصية (خارجي) وانطلاقاً من هذا المفهوم وعبر تقاطع الاثنين معاً نحصل على أربع حالات من الرؤية:

براني خارجي (الراوي أو المتكلم) يبئر موضوعاً هو خارجه ويبئرهِ من الخارج سواء كان ذلك الموضوع وصفاً لشيء ما، أو إخباراً عن حدث هو ليس داخل بؤرة الخطاب.

براني داخلي، وفيه يقوم الراوي أو المتكلم برصد حدث أو شخصية أو فعل أو خبر لا يكون هو ضمنها، وفي الوقت ذاته يقوم بذلك التبثير من داخل أحد الشخصيات، أي أن المنظور أو الرؤية تتم من داخل الشخصية المرصودة (داخلياً) عبر راوٍ خارجي (براني).
جواني خارجي، وفيه يكون الراوي أو المتكلم هو أحد الشخوص الداخلة ضمن بؤرة الحكي، أي أنه أحد الشخوص المرتصدة عبر كلام الراوي أو الشخصية، وفي الوقت ذاته هو يرصد أو يتكلم عن الموضوع أو الخبر أو الحدث، أو يصف إحدى الشخصيات من الخارج.
جواني داخلي، وفيه تتحدث الشخصية أو الراوي التي تمثل جزءاً من بؤرة ذلك الخطاب (جوانياً) وفي الوقت نفسه تتكلم من داخلها أو من داخل أحد الشخصيات المرتصدة بواسطة الخطاب (داخلياً).⁽³⁾

الرواية:

واو الصغرى هي إحدى روايات (إبراهيم الكوني) والتي تسرد سيرة الطوارق في مرحلة قبل الاستقرار، وعن أزمنة قديمة غير محددة، فمنذ بداية الرواية أعلن الراوي أن الزمن غير محدد، إلا بحركة السيول وتغير الفصول، فالرواية تحوي أربعة عشر فصلاً ونجد الراوي في الفصول الأربعة الأولى يحكي قصة الزعيم القديم، واشتياق أهل الصحراء لاستقبال الطير، وطقوسهم المفخمة في الاحتفال بذلك الطير المهاجر.

كما قد نجد عزوف (الزعيم) عن السفر والته في الصحراء في آخر أيامه، والذي يُطرح لأحد القيم المثلى لأهل تلك القبيلة، ويكافح (العراف) لإقناع (الزعيم) بضرورة التحرك والسفر، ويحكي له عن القيم العظيمة في التيه في الصحراء، كما يمضي (الزعيم) آخر أيامه عازفاً عن ذلك السفر، ويجد أحد الطيور المتخلفة من أسراب الطيور المهاجرة فيأخذه معه، ويصر على عدم السفر رغم محاولة أهل القبيلة حثه على السفر.

ففي الفصول الثلاثة الأولى نجد الراوي متماهياً مع (الزعيم) ويطرح كل أفكاره، وما يراه سواء كان ذلك (الزعيم) حاضراً أم غير حاضر، أي أن الراوي ملتزم هنا في هذه المرحلة من الخطاب السردية بطرح كل الرؤى والأفكار من وجهة نظر (الزعيم) وكذلك يهتم بالقضايا التي تهمه ويسرد الحكايات التي تنزع لها نفسه كالحديث عن الطير المهاجر وطقوس استقباله ومفاهيم نساء الصحراء عن السفر، كما نجد هذا يتغير بعد الفصل الثالث والذي يموت في آخره زعيم القبيلة، حيث سنجد في الفصل الرابع حضور رؤية (العراف) وقيمة داخل الخطاب، على الرغم من أن ما ورد في الفصل الرابع يحدث في زمن حكاية سابق لزمن موت (الزعيم)، حيث نجد أنفسنا في استرجاع داخلي، ونجد (الزعيم) حياً، حيث يبدأ السرد في الفصل الرابع من خلال قصة ذلك الفتى الغريب العاشق لشاعرة القبيلة والتي أهداها عقد الرتم، والذي تسبب في موت

الحسنة الشاعرة، ولنعلم هنا أن دغل الرتم كان موطناً في مرحلة سابقة لخلوة الزعيم، يذهب إليه وحده فيقضي فيه ساعات طويلة في عزلة إنه هنا في الفصل الرابع مصدر للموت ولعنة جلبت النهاية للحسنة الشاعرة.

وبعد الفصل الرابع، سنجد القبيلة تحت سيطرة (العراف) وسنجد أمامنا رؤى جديدة أخرى تتناسب مع وعي (العراف) وأفكاره، ذلك سيستمر حتى موت (العراف) وبعد موته سنجد رؤية مفتوحة غير متنسبة لشخصية محددة، إننا هنا أمام الراوي، وهو يحكي لنا عن السيول وحركة غير محددة، إننا هنا أمام الراوي وهو يحكي لنا عن السيول وحركة الماء كما ونجد فصلاً وهو الثالث عشر، يتماهى فيه الراوي مع وعي (الحفار) والذي تحتاج إليه القبيلة ليحفر لها البئر بعد أن ضربها الجفاف، سيظهر أمامنا مفاهيم (الحفار) عن عظمة الماء السائر بين عروق الأرض، وينتهي الرواية بموت (الحفار) داخل البئر وانفجار الماء وحدوث الاستقرار لتلك القبيلة المهاجرة.

مرحلة الرؤية في الرواية:

المرحلة الأولى: ينطلق الراوي في واو الصغرى منذ الأسطر الأولى من خلال تشخيصه لشخصية مجهولة، ينطلق من داخليتها لي طرح عبر تمازجه معها كل أفكار ورؤاها وهواجسها.
(أ) اقتضى في الصوت تعدد الأصوات منذ الأيام الأولى.
(ب) بل يستطيع أن يؤكد لنفسه الآن.
(ج) بعد مرور المواسم، وتدفق السيول في الوديان.
(د) إن هذا الحشد السخي من الأصوات الذي يجود به الطائر الخفي هو السر الذي شده إليه طوال هذه الأعوام.

(هـ) صوت عليل، واهن يماثل صفيح الريح في عيدان القصب.⁽⁴⁾
ينطلق السرد بواسطة الراوي والذي يطرح الأشياء من خلال شخصية نجد ضميرها أمامنا، أي أننا أمام ما يعرف بالرؤية (التبئير) الداخلي، حيث الراوي خارج الحكي، وليس جزءاً من مكوناته أو الشخصيات الفاعلة فيه، فللراوي محطة ينطلق منها، ويرسم صوراً لمكون على حاسة السمع غاية في الروعة من خلال ذلك الصوت الذي يصفه، سننتقل في رتم (ج) لنجد أمامنا مفهوم شخصيات ذلك الزمن عن الزمن، حيث يحسب الزمن بمرور المواسم وتدفق السيول في الوديان، لننطلق ونجد أنفسنا في (د) داخل ذلك السر الذي شد الشخصية، والذي سبق أن تم تأكيده لنا عبر إيراد (استطاعته تأكيد لنفسه) في (ب).

وفي (هـ) نجد أنفسنا مع وصف فيه طرح لوعي الشخصية ومفهومها عن صوت ذلك الطائر المهاجر، ونلاحظ أن الوصف ليس عادياً، فالراوي يوظف أولاً حاسة الصوت مجسماً الصوت من خلال أوصافه، كما أن تلك الأوصاف ينطلق من معارف ومعلومات أهل ذلك

المكان وذاك الزمان، فيعيدان القصب وصفير الريح فيها من الأبعاد والمكونات المتوقعة لتلك الشخصية التي ينطلق منها الراوي.

ومن خلال رصد صفات الصوت (العليل، الواهن، المماثل لصفير الريح في عيدان القصب) سيستمر مع الوادي المجهول، وهو يستمر مستعيداً الفضاء الداخلي لتلك الشخصية المجهولة إلى هذه اللحظة، ونحتاج لمتابعة صفاتها المنعكسة لدينا، لنعرف أولوياتها وخصوصيتها وعبر ذلك نحاول إن أمكن مطابقتها على إحدى الشخصيات التي تم تشخيصها هي وفعالها في الخطاب السردى.

ونجد المزيد من الاحتفال بحب الطائر الخفي والصوت الذي يحدثه وعن قيمة الرحيل العظيمة وعظم التيه في الصحراء.

وتتحقق أمامنا قيم تلك الشخصية المتمثلة في سعي العابر، وهو يرتجف سعياً لـواو الخالدة، ومن ذلك ننتقل لنجد أمامنا الوهج الذي تبدى في الأفق، والقبس الذي شق الظلمات. ويستمر الراوي يؤكد أن العابر وأن ما لا يراه في المدى ووجد ما لم يستطع إيجاده، ويستأهل المشخص - تساؤلاً يستفز به الراوي المروي لهم ((فكيف لا يتزعزع الجسد الهزيل؟ وكيف يفر من المقلة دمع الحنين)) ثم بعد ذلك نجد الراوي وهو يشخص أو يصف حضور الطير وطقوس استقبال له.⁽⁵⁾

إن الراوي يعد هذا التشخيص لحضور الطير، ينتقل ليرصد وعي الأمهات عبر ذات الشخصية الأولى - التي تقدر الطير والرحلة ويتم من خلالها طرح كل هذه الرؤى ((تخرج جموع النساء يجرجرن الأولاد، ويلوحن بالصغار الرضع في الهواء، يردد مواويل البشارات، ويزغردن في آذان أطفالهن بسير تقول: ها هو الطير الذي وهبك لي في العام الذي مضى، قد أقبل من جديد، ها هو (أبيل بيل) الذي حملك إليّ قد أتى ليراك، الطير هو أمك، الطير هو أبوك، الطير هو أخوك الطير هو أهلك، الطير جاء يزور وديعته، الطير ليستعيد وديعته، فمتى تكبر لترافق الطير؟ متى تربي جناحاً ليقبلك السرب في القبيلة وتهاجر مع الطير إلى بلاد الطهر؟ تقيض من دموعهن دموع الحنين، دموع أمهات صحراويات دموع أمهات يعلمن بحدس الأمهات أن الوليد إذا ولد في وطن اسمه الصحراء، فسوف لن تنعم أم بأمومته طويلاً؛ لأن الوليد الذي جاء به إلى الصحراء، فلا بد أن يحاكي ملة الطير ويهجر العش مبكراً))⁽⁶⁾.

سيستمر الراوي راصداً لطقوس نزول الطير في القسم الثالث من الفصل الأول، وينتقل ليشخص استقبال العرافين للطائر.

((تتابع الأسراب المهاجرة في الفضاء تتلاحق في الفراغ الصارح القاسي، اللامبالي الأبدى، تتراجع أغانيها، يخف مدى هزج لحنها، ولكن العرافين لا يكفون عن ملاحظتها حتى عندما تختفي من الفراغ الموجع لتصير جزءاً من الفراغ، جزءاً يتلاشى يتبدد في اللاشيء))⁽⁷⁾.

إن هذا الطائر الذي يبدو أمامنا منسجماً عبر السرد، وهذه اللحون المقدسة عبر الراوي الآتي فيما بعد، وسيطرح من قبل ذات الراوي بطريقة مختلفة، وسنجد من يخرج محدراً القبائل من فتنتها وبؤس لحونها في الفصل السابع، وذلك في المرحلة التي كان فيها المسيطر على القبيلة (العراف).

في الفصل الأول والثاني نتابع التركيبة الاجتماعية للطقوس والعادات والمعتقدات والقيم التي تمتلكها تلك القبائل، كما نجد بعد ما سبق تشخيص للخلاف الحاصل في حياد الزعيم، يصحبه تشخيص الطائر العجوز المتخلف في المقاطع الثالث والرابع والخامس من الفصل الثاني.

إن الراوي المجهول وهو يستعير فضاء شخصية (الزعيم) يطرح عمق ما بداخله من أحاسيس؛ إذ هذا الاشتغال المتميز يتم دون إعلامنا بحقيقة الشخصية التي يستخدمها الراوي لي طرح فضاؤها الداخلي ورؤيتها وما تنتقيه من قيم ومكونات فكرية.

يظهر عطف (الزعيم) وتولاه بالطائر الهرم، وإحساسه الخفي بثقل ووطأة الأرض على المخلوق عموماً والطائر خصوصاً، إن (الزعيم) وهو يسمع الصغار يرددون كلمة (أمغار) لا يعلم إن كان هو المقصود أم الطائر.

((منذ أيام خرج من وادي الرتم عند حلول الظهيرة، فوجد الطائر يركض ركضاً مضحكاً، ويرفرف باستماتة محاولاً أن يتحرر من الأرض، من وزر الأرض، من سلطان الأرض، ولكن هيهات لأن المخلوقات عندما تهرم، المخلوقات عندما تشيخ ويصيبها الوهن والعجز، تكون الأرض في انتظارها، تكون الأرض قدرها تكون الأرض وطنها الأبدي، وطنها الأخير، حتى لو كانت هذه المخلوقات كائنات سماوية))⁽⁸⁾.

إن الراوي بعد تشخيصه للرؤية المميزة للزعيم بلغة تعكس داخلية عبر كلمات ذات دلالة عميقة (التحرر، من وزر، من السلطان) فالزعيم وهو يتلمل من زعامته (من بؤس الزعامة) يرى في الكائن صورته، ويبدو هذا نتاج التماهي الخفي بين الراوي وبينه.

فالراوي يتماهى مع مفاهيم (الزعيم) فهو يحدث العراف ويطرح رؤيته الخاصة للعرافين، فالصيغة السردية المستخدمة في هذا المقطع هي صيغة الخطاب المعروض غير المباشر، أي الحوار الذي يقطعه تأطير من الراوي، والراوي هنا ليس خارجياً، وإنما يطرح رؤية وموقف إحدى الشخصيتين المتحاورتين:

((أقبل العراف فتحدثاً، مرة أخرى، عن جمال الشيوخة والنبل الكامن في كل حزن.

تربيع العراف بجوار الزعيم، لما أرّ السراب في الخلاء، تابعه حتى ابتلع الأفق وتحول السنة من لهب شفاف، تناول حصاة رمى الحصاة نحو الطائر، ذهب كعادته، إلى غايته من أبعد أرض - لم أر طائراً يستأنس الخلق من أول يوم إلا هذا.

ألقى الزعيم بحفنة من فتات الشعير، ولكن الطائر اكتأب ازداد كآبة، انكمش حول نفسه، ورمق حبيبات الخبز بلا اكتراث، ثم أغمض عيناه وأخفى رأسه بين جناحيه، تكلم الزعيم: استأنس مكرهاً، استأنس لأنه وحيد، مهجور، ضائع مثلنا، ثم لا تنس أنه عجوز السر في الشيخوخة، الشيخوخة شيء قبيح، هل تحدث الناموس عن شيء أقبح من الشيخوخة؟

(أ) ابتسم العراف، طاف حول الموقع، حام حول الغابة، ولكنه استمر يجوس في أبعد أرض.

(ب) أخشى أن تكون كلمة الناموس في الشيخوخة ضد كلمة مولاي.

- أعرف أنك ستقودني إلى المملكة القديمة لتحدثني عن جمال الحزن مرة أخرى، أم أنني أخطأت؟

- لم يخطئ مولاي.

(ج) تناول الزعيم الحصة: تمت: (ما أقسى هذا...) رمى الحصى جانباً قال:

- فلنعد إلى الطائر، سمعت الصغار يقولون إنه طائر لا ينتمي إلى قبيلة (أبيل - بيل).

(د) نزل العراف المرتفع، اقترب من النبع، أخرج من عبه مصائد لاقتناص الطير:

- سواء كان الطائر (أبيل - بيل) أو طيراً آخر مشابهاً، فإن الطائر في عرف الناموس رسول.

(هـ) سكت الزعيم، فمضى العراف في نصب الأفخاخ.

شرع الطير أن يهاجر، وإذا رفض الطير أن يهاجر فهذا فآل سيء يا مولاي.

لمعت عين الزعيم ببسمة، هل تبسم الزعيم لأنه اكتشف موقع الفخ؟ هل ابتسم لأنه أدرك أن

العراف لم يأت إلا ليوصل حوار الأمس عن ضرورة الهجرة؟ قال:

- كيف تريده أن يهاجر إذا كان عجوزاً؟ كيف تريده أن يطير إذا كانت الأرض تشده إلى الأرض بالسلاسل.

(ز) اقترب العراف من الموقع خطورة أخرى، رب كفاً بكف قال: يا إله الصحراء: هل يرى مولاي

الطائر شائخاً إلى هذا الحد؟ ألا يرى مولاي أنه يرفض أن يطير لا عجزاً عن الطيران ولكن لأنه

يحمل إلى النجع نبوءة؟

- رأى العراف أن الزعيم اكتشف الموقع. صاح الشيخوخة وطن نبيل حقاً يا مولاي، ولكنها علة

لا تهدد بدن مولاي أيضاً.

(ح) أشاح الزعيم بوجهه بعيداً، ابتسم، عاد إلى الخلاء، إلى لعبة السراب في الخلاء، ابتسم

طويلاً، ابتسم لأنه اكتشف سر العراف.

(ط) هذا هو سر الحزن الذي يقرأه العراف في عين الشيخ فيسميه جميلاً.

مما سبق من مقاطع الحوار الذي دار بين الزعيم والعراف نلاحظ أن الصورة التي تشكلت

للعراف تنطلق من وعي الزعيم، والذي يرصد حركات العراف كطائر، فهو في (أ) يطوف حول

الموقع، ويحوم حول الغابة، وفي (د) نجده ينزل من المرتفع، ليتقرب من النبع ويخرج مصائده

لاقتناص المراد، وفي (ز) نجد العراف يقترب عبر الراوي الراصد للأشياء من وعي (الزعيم)، وفي (و، ح، ط) نجد أننا أمام طرح الراوي لرؤية الزعيم.

المرحلة الثانية:

بعد موت الزعيم صارت كل الأشياء ترصد وتتذكر بواسطة الراوي المتداخل مع (العراف). ففي السيرة الرابعة التي تمثل أحداثاً قد حصلت قبل موت الزعيم وللحاجة الفنية ظهور (العراف) بمظهر الأكثر علماً بأخبار السماء ثم ترتيبها بعد السيرة الثالثة التي في نهايتها مات (الزعيم).

فمن المقطع الأول من الفصل الرابع، نجد الراوي يصف عقد الرتم المقدم من قبل العاشق للشاعر، ويجعله في صورة فوق العادي أو المتصدر ((لمحت الأعراف النحيلة التي يشبهها الشبان بخصلات العذارى، ويتجنبون تسميتها أعرافاً، تتشابك في التحام حميم، تلتف خصلتان مكلفتان بالزهر الأبيض، القبول الخماسي، حول خصلة تستقيم في الوسط⁽⁹⁾، مكلفة بالزهر الأبيض... كما يتلوى ثعبان الأدغال على جذع الطلحة.

إننا من خلال متابعة هذا المقطع، يظهر المقدس والخفي والحميم والغامض والمتخيل مع لغة ثرية ووصف تجسيمي.

إن الراوي لا يكتفي بالتفاعل مع الشخصية في استعارة وعيها فقط، إنه أيضاً يسرد تلك السير التي تخصها وتظهر بعدها الداخلي.

وبمتابعة الحوار الحاصل في القسم الثامن من الفصل الرابع، حيث يتجاور (الزعيم) و(العراف) نجد أننا أمام راوٍ يؤطر الحوار الخيالي بين الزعيم والعراف، يقطع الحوار من الحين للآخر، ويدخل للعراف داخلياً، وعبره يطرح انطباعاته على كل الردود التي يبديها (الزعيم) إن الرحلة ذاتها هي حالة هرب من الكائن العاشق (العراف) إلى واو الخلود الذي يتوهم أن (الزعيم) عندها ((سارا صامتين لمسافة طويلة جداً، دحرجا بنعليهما حجارة كثيرة جداً، اكتشف الإيماء الذي تخفيه دحرجة الحجارة بالنعلين)).

إننا وعبر الصورة التي يشخصها الراوي لأفعال الشخصيتين نجد أن هناك انحساراً لدور الزعيم، واهتماماً بدور العراف، فالراوي ينطلق عبر شخصية العراف ليشكل ويطرح أفكاره من خلاله.

((ابتسم العراف، بدهاء، العراف تكلم العراف بدهاء سيكأ كأ الفأس على الضريح فضولاً، وسيأتي آخرون طلباً لنبوءات لا وجود لسرها إلا في غيب لا يعلمه إلا أهل الغيب.

لكن العاشق هب واقفاً، سرح في الفراغ بعيداً، ونقل حفنة الحصى من القبضة اليسرى إلى القبضة اليمنى، قبل أن ينطق بكلمة وداع))⁽¹⁰⁾.

المرحلة الثالثة : مرحلة المعمر (أمامًا):

في الفصل التاسع ومع فقدان (العراف) لعقله كان على الأكابر أن يتحولوا مادة للراوي، لي طرح عبرهم رؤيتهم ومفاهيمهم، إن وعي (أمامًا) العجوز، يتداخل هنا مع وعي الراوي المجهول حيث يطرح لنا الراوي قيمة ورؤيته للأشياء التي تم رصدها، فهو يصور العراف فاقداً لعقله، وكيف يتأمله (أمامًا) ثم رؤيته وموقفه من الوجه العاري دون أن يؤكد لنا الراوي أنه قد تداخل معه إلا عن طريق التلميح، حضر الأكابر للرؤية (العراف) وأمامهم (أمامًا) والعراف فاقد لعقله:

أ) انحنى إلى الأمام لتفحص الكاهن القديم، أسند يديه الخشبيتين الموسومتين بشبكة العروق بهلال العكاز.

ب) وتفقد بعينه الصغيرتين وجه القرين كان رأس العراف حاسراً، تتوج شعفته صلعة نحاسية صارمة، على الصدغين نبتت شعيرات هزيلة، مفلطة، غزاها البياض، البياض فاض فغزا اللحية أيضاً في الأسفل، وغمر شاربين مفلطين أيضاً، تتناثر فوقهما حبيبات الغبار على جانب الرأس نبتت أذنان طويلتان حتى تدلنا إلى أسفل من فرط الطول.

ج) أذنان منفرتان شبيهتان بأذني جحش، أما شق الفم فكان أبشع ينطلق من أقصى مكان، ينطلق من تخوم الحنك يحرث صدر الوجه، يشطر عرش البهاء في القلب بجدول قبيح شبيه بعبورة المرأة، يحفر في سحنة البدر الهاوية التي لا تشبع الهاوية التي كانت سبباً في إخراج الجد (مندام) من الوطن.

د) لأنها ابتلعت فاكهة الحرام، فلم تكف عن التهام فواكه الحرام منذ ذلك اليوم، لم تشبع منذ ذلك اليوم.

هـ) فهل أخطأ الأسلاف عندما رأوا فيها عورة، واختلقوا اللثام ليخفوها عن بعضهم البعض؟ ولم يتوقف الشق الكريه إلا بعد أن اخترق الجوهرة، ليشوه الوجه كله⁽¹¹⁾.

فمن خلال المقطع السابق، نجد أكثر الشخصيات تلاعباً، إذ يظهر منذ البدء، من خلال (أ، ب) أن الرؤية والتفحص هما لـ(أمامًا) والذي يمثل الرجل الأول بعد موت العراف باعتباره المعمر أو الشخصية الأقدم في القبيلة، يستعيد الراوي هنا فضاء شخصية (أمامًا) الداخلي؛ ليقوم عبره بتعويض فقدانها لشخصية (العراف) الفاقد للعقل وليطرح عن طريقه هو قيم الماضي المتجددة المتمثلة في اللثام ومفهومه لدى أهل الصحراء، وعلاقة كل ذلك بالهبوط القديم من السماء للجد آدم (مندام).

إننا من خلال رقم (ج) نجد أنفسنا مع الراوي وحده، إن الراوي الذي يقوم برصد شخصية العراف (وجهه) يتخذ موقفاً واضحاً من صورة الوجه، ويستعين بصورة ماضوية في (د) بعد أن شخص شناعته في (ج).

إننا هنا مع الراوي وهو في قمة (التداخل) مع شخصية (أماماً) بحيث أن المتكلم الحقيقي أمامنا هو (أماماً) إن مثل هذا التشخيص لا يصنع مشكلة تداخل الراوي بالشخصية فقط، إنه يحدد نوع وجه النظر، والذي سيبدو ظاهرياً (خارجياً).

وهكذا يستمر في الفصل التاسع كاملاً (أماماً) المعمر حاضراً في كل النص، فهو من تحاور مع المجهول الذي سيعالج العراف في القسم الثاني من الفصل التاسع، ثم كان أول من تكلم مع (العراف) في القسم الثالث من الفصل الثالث، وسيجد المروي لهم حالة الانفعال التي عليها (أماماً) المعمر، وهو يتعامل مع العراف العائد من عالم الجنون لعالم العقل.

المرحلة الرابعة:

في الفصل العاشر (سر المدينة) ومن خلال صيغة المعروض الذاتي (المونولوج الداخلي) يتم حديث المدينة عن ذاتها، حيث يستلم الراوي هنا للمدينة، وتتحول هي للبوح وتتكلم عن أسرارها، إن الراوي هنا يستسلم في الحقيقة للبعد الخفي لثقافة الصحراء للصحراء الأم وهي تذكر المروي لهم عبر المدينة، بعدالة فعل الرجل الغامض الذي قتل العراف.

((استقر النصل في نحر صاحب النصل في مساء ذلك اليوم؛ لأنّ الخفاء شاء أن يستبدل الأكذوبة بالنبوءة، وأراد أن يقول (للعراف) إن على من امتلك مقبض المدينة أن يحترس كثيراً؛ لأنّ صاحب الملك يخطئ مرة وحيدة هي المرة الأولى والأخيرة دائماً))⁽¹²⁾.

ونستمر مع نفس الوعي الكلي لدى الراوي والمنطلق في الثقافة الجماعية لمجتمع الصحراء، إن الأحداث المرصودة تأطر كافة الأحداث الطبيعية وتجعل لها البعد القصدي وتتصافر لتحقيق ذلك كل من فصل المدينة وفصل السيول، وكذلك المناصات الخارجية المستقطعة من نص صيني، والذي يقدم فيه الماء كقوة أسطورية فاعلة (قوة التطهير) ويستمر السرد الذي يحوي وصف شبه جغرافي لشتاء الصحراء، أي أن الراوي هنا في هذه المرحلة من مراحل الرؤية يستسلم لرؤى مجتمعه النصي، ويرسم أمامنا ثقافة التطهير من خلال فصل المدينة، والذي يفسر قضية موت العراف، ثم يرسم أمامنا من خلال الحديث عن الآبار ذلك السعي المستمر والذائب لأهل الصحراء للحصول على الماء.

المرحلة الخامسة:

في هذه المرحلة نجد تداخلاً بين وعي الراوي ووعي (الحفار) وهو الشخصية التي ستظهر في الفصل الثالث عشر.

ويتفاعل الراوي مع البعد الداخلي (الحفار) تفاعلاً من نوعين:

النوع الأول: تفاعل معن عبر ما يعرف خطابياً بالرؤية (التبئير) الداخلية، حيث يكون الراوي خارجياً عن موضوع الحكي وينطلق من رؤية داخلية لشخصية محددة بالاسم أو يأتي من الضمائر أو الرموز المعلنة عنها، وهو (الحفار) أي أن الراوي يقوم بتشخيص الخطاب من داخل البعد الداخلي الشخصي للحفار، وهو ما يختلف عما سبق في الرواية.

النوع الثاني: يتم فيه تشخيص من الراوي بدون وجود فضاء معن ينطلق منه ليشرح الأشياء. إنه هنا يعادل (الخارجي) خطابياً ولكن في الحقيقة هناك - كما سبق - أن حددنا بخصوص (الزعيم) و(العراف) و(أماماً) تداخل بين الراوي والفضاء الداخلي للشخصية المركزية، غير معن بوضوح، ندركه بجلاء عبر القيم والمفاهيم والأفكار التي يطرحها الراوي المجهول والتي عبر المقارنة ندرك أنها نفس قيم وأفكار الشخصية (الحفار).

إن أمثلة على هذا النوع الأول نجده هنا (الأرض كلمته.. كلمته الأرض فلم يشيع نحو السماء عيناً.. لم يرن إلى السماء منذ أن خرج من جوف الجفاء ودب على الأرض في المراعي البعيدة، في الطريق إلى المراعي سمعها تتكلم لأول مرة، تكلمت في أنصاب الحجارة، تكلمت في قامات الطلح عندما تتلحف بعظمة الأمسيات))⁽¹³⁾.

إننا هنا أمام الراوي الخارجي، وهو يتفاعل مع الشخصية (الحفار) ويطرحه كمفعول به تكلمه الأرض وتحدثه عما فيها، إننا بهذا الشكل ومن خلال التفاعل السابق نجد (الحفار) مفعولاً به وليس فاعلاً.

من أمثلة النوع الثاني، نجده في فضاء شخصية (الحفار) فهو معن عنه عبر ضمائر خاصة، كما في القسم السادس من الفصل الثالث عشر، حيث نجد الراوي وهو يسرد حكاية ولادة (الحفار) وينطلق في تشخيصه ذلك من وعي يقدس الأرض والصحراء الغامضة ويتحدث عن نبوءات الطين.

((ولكن الرحلة لا تبدأ في غمضة؛ لأن الصحراء الغامضة لا تدع الأولاد يخرجون بلا وصايا، يبدأ الدرس منذ الخطوة الأولى، فيلتقي العابر الصغير نبوءاتها في مرونة الطين الذي يعبث به، وفي النباتات الشحيحة التي تجود بها في مواسم الأمطار في حبيبات خفية تدسها في عجبن الخبز الذي أنضجته رمالها بعدها تقوده من يده في سفرة أخرى، تطوف به المراعي كي تعلمه دروب الخروج، في السهول العلوية تطلق عليه الرياح التي تصفع وجه العابرين بالحصباء))⁽¹⁴⁾.

إننا أمام رو لا يعلن أنه ينطلق من شخصية محددة، وهو يطرح علاقة مرمزة بين الطفولة الواعية بالأرض، وباقي العناصر المكونة للكون في الثقافات القديمة.

من خلال ما سبق من تابعة لمراحل الرؤية السردية في الرواية، يتبين أن الرؤية قسمت في الرواية لأربعة مفاصل كبرى.

المرحلة الأولى في الفصول الثلاثة الأولى، مرحلة الزعيم كان فيها الراوي متماهياً مع (الزعيم) سرياً وأخذ عبر هذا التفاعل ينشئ علاقته مع المروي لهم، وطرح عبر هذه اللعبة كل ما اختفى في ذات ذلك (الزعيم).

في المرحلة الثانية والتي تبدأ من الفصل الرابع وحتى الثامن، نجد انفعال الراوي مع (العراف) وبذلك تحولت السيادة في السرد (للعراف) وأصبح الراوي يتابع بدقة ما يهم (العراف) وكان قمة ذلك في الفصل الرابع، حيث تم من خلال لاسترجاع الزمني لفترة قبل موت (الزعيم).

وعليه فإن صيغة الخطاب المسرود واضحة المعالم، فالراوي يستخدم ضمير الغائب ليمارس سرده، كما كان هناك حضور لعدة صيغ سردية أخرى، وهي صيغة الخطاب المنقول غير المباشر وصيغة المعروض الذاتي، إلا أن الصيغة الأكثر استخداماً هي صيغة الخطاب المسرود، وذلك من خلال التفاعل مع شخصية مركزية مجهولة، وتبدأ غالباً هذه التقنية في بداية المقاطع كنوع من شد انتباه المروي لهم، كما في هذا المقطع الذي يحدثنا فيه الراوي عن استعداد الطائر القادم للهجرة.

ولكي يثيرنا ويشعرنا بمدى عظم ذلك الكائن، يبدأ في التساؤل المثير للمروي لهم كما يلي: ((ولكن هل يروم من اعتاد ارتياد الفضاء حتى صارت السماء له وطناً، حياة الحضيض؟ هل تستطيع هوان الأرض مخلوقات ولدت وعاشت معلقة بين السماء والأرض؟))⁽¹⁵⁾.

((الحزمة الأولى كانت محبوبة كجدائل الصبايا.

أقبل على ضبائها قبل الغروب، ووضع الحزمة الجلييلة في حجرها))⁽¹⁶⁾.

ونتابع هنا بداية المقطع الخامس من الفصل الثالث:

((...وهاهم يقبلون مرة أخرى.. يقبلون كما أقبلوا قديماً في حدود الحمادة الحمراء، يقبلون

كما أقبلوا مرة ليأخذوا من الشعر، وكما أقبلوا في مرة أخرى عندما أخذوا المعشوقة.

... هاهم يقبلون اليوم ليأخذوا أيضاً شيئاً جديداً، فماذا تبقى ليؤخذ يا ترى؟

... أقبلوا فخرج لملاقاته في العراء.

هرع لاستقبالهم إجلالاً ل(أماماً) نفس (أماماً) المعمر))⁽¹⁷⁾.

يتضح من خلال المستقطعات السابقة كيف رتب الراوي تلك المداخل الخاصة بالمقاطع محدثاً حالة من التقويم لظاهرة الحضور تلك، ومحققاً من جهة أخرى نوعاً من البكاء الخفي على الزعيم عند ترديده لقضية حضورهم بعد الموت.

إن صيغة الخطاب غير المباشر هي تلك الصيغة التي يقوم الراوي فيها بنقل حديث شخصية أخرى ويتدخل في تلك المادة المنقولة.

فقد طرح الراوي من خلالها رؤية المعارضين للعراف والذين يحملون نفس الأفكار القديمة عن الطائر، إننا بذلك ندرك كيف يرمز الراوي لطبيعة الوضع في مجتمع الرواية. وختاماً لكل ما سبق من مراحل الرؤية السردية المستخدمة في الرواية، ندرك التطويرات التقنية التي احتوتها هذه الرواية على مستوى السرد، وهو ما يجعلها تمثل تجربة فذة ضمن التجارب المتميزة في الرواية العربية.

الهوامش:

-
- (1) تحليل الخطاب الروائى، سعيد يقطين، المركز الثقافى العربى، ط2، 1993م، ص50 ومابعدھا.
 - (2) تحليل الخطاب الروائى، المرجع السابق، ص288.
 - (3) تحليل الخطاب الروائى، مرجع سابق، ص299 ومابعدھا.
 - (4) واو الصغرى، إبراهيم الكونى، المؤسسة العربىة للدراسات والنشر، ط1، 1997م، ص7.
 - (5) واو الصغرى، ص8.
 - (6) واو الصغرى، ص9-10.
 - (7) واو الصغرى، ص15.
 - (8) واو الصغرى، ص28.
 - (9) واو الصغرى، ص59.
 - (10) واو الصغرى، ص125.
 - (11) واو الصغرى، ص150-151.
 - (12) واو الصغرى، ص186.
 - (13) واو الصغرى، ص209.
 - (14) واو الصغرى، ص211.
 - (15) واو الصغرى، ص14.
 - (16) واو الصغرى، ص59.
 - (17) واو الصغرى، ص50.

مما أغفله الأنباري من مسائل الخلاف
دراسة لمسائل الخلاف الواردة في الأجزاء الأربعة
الأول من شرح المفصل لابن يعيش

د. إسماعيل مفتاح شوران

كلية العلوم الشرعية - جامعة بني وليد

مما أغفله الأنباري من مسائل الخلاف

دراسة لمسائل الخلاف الواردة في الأجزاء الأربعة

الأول من شرح المفصل لابن يعيش

د. إسماعيل مفتاح شوران

كلية العلوم الشرعية - جامعة بني وليد

الحمد لله منزل القرآن الكريم باللسان القويم اللسان العربي المبين، والصلاة والسلام على النبي العربي الأمي خير من تكلم العربية، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد.. فقد كان العرب يتكلمون العربية قديمة، وعلى أعلى مستوى لصحتها، وقد كان ذلك منهم على السليقة، دون اصطناع أو تكلف، فالطفل والكبير، والسادة وعامة الناس، يتكلمون نفس اللغة صحيحة قديمة لا يشوبها أي لحن.

وبعد ظهور الإسلام وانتشاره في أرجاء المعمورة، واختلاط العرب بالأعاجم أدت ظاهرة التأثير والتأثر التي يُسَلَّم بوجودها عند تعايش أهل لغتين، إلى أن أثرت اللغة العربية في لغات الشعوب التي دخل أناس منها الإسلام أو التي فتح الإسلام بلادها، وبالمقابل فقد تأثرت بها وأخذت منها.

ونتيجة لتأثر اللغة العربية بغيرها فقد بدأ اللحن يتقشّى بين العرب، مما أثار مخاوف أهل العلم والرأي، ودفعهم إلى البحث عن وسيلة يدفعون بها هذا الخطر عن اللغة العربية، لغة القرآن، وكان العقل العربي آنذاك في مستوى من التطور يسمح له بإيجاد الحل، فكان أن نشأ النحو العربي الذي يقعد نظام التكلم بالعربية على أساس ما تكلمه الأوائل إذ كانت لغتهم صافية نقية سليمة من اللحن.

ولأن علم النحو وضعي من صنع البشر، ولأن من مصادره كلام العرب، وهو كثير جداً، فقد نتج اختلاف بين آراء علماء النحو، كلٌ حسب اجتهاده، وحسب ما سمعه من كلام العرب (الكثير).

وقد أخذ علم النحو يتطور منذ أو نشأته على يد أبي الأسود الذولي - على أشهر الأقوال- ويتهذب على أيدي علماء تخالفوا على خدمته.

وقد كثر الخلاف وكبرت أهميته إلى أن صار علماء من علوم النحو قائماً بذاته فتحدث الكثير من العلماء في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين خاصة، فلا يكاد يخلو كتاب من كتب النحو من ذكر للخلاف بين المدرستين النحويتين، وهناك من العلماء من أفرد كتاباً مستقلاً للحديث عن الخلاف، ومن أشهر هؤلاء: أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري، الذي ألف كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين) وتناول فيه مائة وإحدى وعشرين مسألة نحوية اختلف فيها نحاة البصرة مع نحاة الكوفة، وعرض أدلة كل من الفريقين وناقشها، وحكم بينها..

ولكن.. هل الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين اقتصر فقط على هذه المسائل التي ذكرها ابن الأنباري؟.

ابن الأنباري نفسه يبين أن هذه المسائل ليست كل مسائل الخلاف، إذ يقول في كتابه الإنصاف: إن تلاميذه سألوه أن يلخص لهم "كتاباً لطيفاً يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة..."⁽¹⁾، وبالنظر في كتب النحو الأمهات يتضح أن ما لم يذكره ابن الأنباري من مسائل الخلاف أكثر بكثير مما ذكره.

وتجدر الإشارة إلى نقطتين تتعلقان بالعنوان، الأولى: التعبير بـ (من) التبعية للدلالة على أن ما في هذا الكتاب (شرح المفصل - مثلاً) هو بعض من مسائل الخلاف التي لم يذكرها الأنباري، والمنتشرة في كتب النحو.

والثانية: التعبير بـ (أغفلة) بدلاً من (غفل عنه) وذلك لأن ابن الأنباري في الحقيقة كان يدرك ويقصد أن المسائل التي ذكرها ليست كل المسائل بل هي (مشاهير المسائل الخلافية) وسيتناول هذا البحث المسائل الموجودة في الأجزاء الأربعة الأولى من شرح ابن يعيش على المفصل، ولعل الله يوفق الباحث - أو غيره - إلى دراسة المسائل المماثلة في باقي هذا الكتاب وغيره من أمات كتب النحو، وأهم هذه المسائل في الأجزاء المذكورة:

المسألة الأولى: الفصل بين ألقاب حركات الإعراب وألقاب حركات البناء..

الإعراب هو: تغيير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً أما البناء فهو: لزوم آخر الكلمة حركة أو سكوناً لغير عامل أو اعتلال⁽²⁾.

(1) الإنصاف في مسائل الخلاف، 7/1.

(2) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. 1 / 54 - 55.

ولأن العلامات التي تكون على المعربات هي نفس العلامات التي تكون على المبنيات، فقد وقع خلاف بين البصريين والكوفيين في تسمية كل من هذه العلامات إذا لحقت المعربات أو لحقت المبنيات.

فرأى البصريون⁽¹⁾ وعلى رأسهم سيبويه أن **يُفصل** بين ألقاب حركات الإعراب وألقاب حركات البناء⁽²⁾ فجعلوا لحركات الإعراب: الرفع، والنصب والجر، والجزم، وميزوا حركات البناء بتسمية الضم والفتح والكسر والوقف (أي السكون).

أما الكوفيون فقد اقتصروا على تسمية الضمة في كل من النوعين رفعاً، والفتحة في كل من النوعين نصباً، والكسرة في كل من النوعين جراً.

وبالتعامل مع هذين الرأيين نجد أن الرأي الأول، وهو رأي البصريين، أجدى وأفضل؛ لأن فيه ميزة الفصل والتمييز بين النوعين المختلفين، فهم قد جعلوا الرفع لقباً للمضموم بعامل، وجعلوا الضم المطلق لقباً للمبنى على الضم، وكذلك فعلوا مع باقي العلامات.

فإذا قيل: هذا الاسم مرفوع أو منصوب، أو مجرور علم بهذه الألقاب أن عاملاً عمل فيه الرفع أو النصب أو الجر أو الجزم، يجوز زواله ودخول عامل آخر يحدث خلاف عمله. وفائدة هذا الفصل أنه **يُغني** عن أن يقال **مثلاً** - ضمة حدثت بعامل، أو فتحة حدثت بعامل...، فكان في هذا الفصل فائدة الإيجاز والاختصار التي افتقر إليها الرأي الكوفي، مما جعلنا نفضل الرأي البصري في هذه المسألة.

وقد رأى ابن يعيش أيضاً -على عادته- رأي البصريين، فقال بعد ذكر هذه المسألة: (الوجه الأول، لما ذكرناه من القياس ووجه الحكمة)⁽³⁾.

المسألة الثانية: حذف خبر إن

الأصل في اللغة العربية أن لكل مبتدأ خبراً، وحتى بعد دخول النواسخ على الجملة الاسمية فإنه يبقى الخبر ركناً أساسياً في الجملة.

إلا أننا نجد البصريين والكوفيين قد اختلفوا في هذه المسألة⁽⁴⁾ فالبصريون يرون أنه قد يجوز حذف خبر إن والسكوت على اسمها فقط، إذا كان الخبر ظرفاً أوجاراً ومجروراً، ودافعهم إلى ذلك كثرة استعمالها والاتساع فيها، ودلالة قرائن الأحوال عليها، وذلك -عندهم- مثل: إن

(1) رأي كل من البصريين والكوفيين في هذه المسألة وكل مسائل هذا البحث على ما ذكره ابن يعيش في شرح المفصل في المواضع المذكورة في هذا البحث.

(2) شرح المفصل لابن يعيش، 1/ 72.

(3) شرح المفصل لابن يعيش، 3/ 84، ويقصد بالوجه الأول رأي البصريين؛ لأولوية ذكره عنده.

(4) السابق، 1/ 104.

مالاً، وإن ولدًا، وأن عددًا في جواب هل لكم مال؛ وهل لك ولد؛ وهل عندكم عدد؟، فيرون أنه لا يحتاج إظهار الخبر لتقدم السؤال عنه، والمعنى: إن لنا مالاً، وإن لي ولدًا وإن عندنا عددًا. إلا أن الكوفيين، ومنهم الفراء، يرون أنه إنما يحدث مثل هذا إذا كررت (إن) حيث يحذف خبر إحداهما لتطابقه مع خبر الأخرى، وكان العطف يوجب اشتراكهما في الحكم، ويغني عن التكرار إن والخبر، وإنما احتيج في مثل هذه المواضع إلى تكرار (إن) ليعلم أن المعطوف والمعطوف عليه مختلفان عند من يظن أنهما غير مختلفين فكررت (إن) لهذه العلة، ولم يكرر الخبر؛ مراعاة للأصل في العطف.

وباستعراض الرأيين نجد أن الميزة هنا واضحة لصالح الرأي الكوفي، وذلك لموضوعيته، واتفاقه مع سلامة وفصاحة العربية.

أما البصريون فقد خالفوا ماقرروه هم أنفسهم حين فرضوا لكل مبتدأ خبرًا، وإلا يكون الكلام ناقصاً غير مفيد، وفعلاً فإن المخاطب لن يكتفي من المتكلم بقوله: إن مالاً، لعدم اكتمال الفائدة في ذهنه حتى عند تقدم السؤال - كما قالوا - فربما يكون قصد المتكلم أن يقول لمن سألته (هل لكم مال؟) أن يقول له: إن مالاً ننفقهُ أحب إلينا مما يبقى عندنا - مثلاً - أو أن يقول: إن ما لا تحويه صناديقنا لا تقدر العصبة على حمله، إلى غير ذلك، وهكذا بسبب كثرة الاحتمالات يتعذر الاختصار على اسم (إن) دون خبرها، والأولى - إذا أرادوا الإيجاز بهذا الحذف - أن يقولوا: (نعم).

وهي إجابة صحيحة وأكثر إيجازاً فإن الإجابة الصحيحة الفصيحة لسؤال: هل لكم مال؟ لا تكون: إن لنا مالاً، وإنما تكون: نعم عندنا مال، في حال الإيجاب.

ولهذا تؤيد الرأي الكوفي، ونرد أخاه، لما ذكرنا من ميزة الكوفي علي البصري في هذه المسألة، إلا أن ابن يعيش لمح لموافقة الرأي البصري بقوله: "وهو غير مرضى عند أصحابنا"⁽¹⁾. وأيضاً فإن الرأي البصري لا يجد قبولا لدى نداءات التطوير في النحو العربي؛ وذلك لما يستدعي من التقدير الذي ينادي بعض الدارسين كإبراهيم السامرائي بالغائه.

المسألة الثالثة: الاسم والخبر بعد "ليت"

ليت، من أخوات (إن) التي تعمل عملها، أي أنها تنصب المبتدأ وترفع الخبر، هذا هو رأي البصريين، أما الكوفيين فيرون غير ذلك⁽²⁾، فهم ينصبون بها كلاً من الاسم والخبر؛ وذلك تشبيهاً لها بوجدت، وتمنيت؛ لأنها في معناها وهذه لغة تميم، إذ يقولون: ليت زيدا قائماً، كما يقولون: ظننت زيدا قائماً.

(1) شرح المفصل لابن يعيش، 1/ 104.

(2) السابق نفسه.

ولذلك اختلف-تبعاً لاختلاف الرأيين- إعراب مثل قول العجاج.

يا ليت أيام الصبا رواجعاً⁽¹⁾

إذ احتاج البصريون لتقدير خبر (ليت) الذي ينبغي - عندهم - أن يكون مرفوعاً فقدره بـ (أقبلت) أو بجار ومجرور (لنا)، ومع التقديرين تكون (رواجعاً) في موضع حال. أما الكوفيون فعندهم أن (رواجعاً) هي المنصوب الثاني لـ (ليت) ولا حاجة إلى التقدير. وبهذا نرى أنه الكوفيون يخرجون (ليت) من مجموعة أخوات إن ويدخلونها ضمن أخوات ظن. ونحن نرى أن كلاً من الرأيين صحيح من جهة أنه مسموع من عرب فصحاء ولكننا نعيب على البصريين جمودهم على رأيهم ولجوءهم إلى التقدير في حال سماع ما يخالف رأيهم. إذاً الأولى - في رأيي - أن نعد جملة (ليت زيداً قائم) صحيحة، وكذلك جملة (ليت زيداً قائماً) وأن نعرب في الأولى على رأي البصريين، وفي الثانية على رأي الكوفيين، دون تخطئة إحدى الصياغتين.

المسألة الرابعة: خبر (ما) المشبهة بليس

(ما) حرف نفى يدخل على الأسماء والأفعال، وقياسه أن لا يعمل شيئاً، لأن عوامل الأسماء لا تدخل على الأفعال، وعوامل الأفعال لا تدخل على الأسماء⁽²⁾ أما ما يدخل على كل من الاسم والفعل فالقياس أن لا يعمل شيئاً، وهو لقياس في الأدوات غير المخصوصة، كهزمة الاستفهام، وهل، وغيرها.

وقد جرى التمييز على هذا القياس فأهملوا إعمال (ما)، وخالفهم في ذلك الحجازيون الذين أعملوها⁽³⁾ وذلك تشبيهاً لها بليس في العمل لمشابقتها إياها في المعنى، فاللغة الأولى أقيس والثانية أفصح، وبها ورد القرآن الكريم قال تعالى (.... ما هذا بشراً)⁽⁴⁾ وقال تعالى (... ما هن أمهاتهم)⁽⁵⁾.

هذا عند أهل اللغة، أما عند أصحاب التقعيد النحوي، فقد اختلف البصريون والكوفيون في ذلك، فقد ذكر ابن يعيش في شرح المفصل ما يفيد أن الكوفيين يقدون على رأي بني تميم في عدم إعمال (ما) حيث يقول عنهم: " وذهب الكوفيون إلى أن خبر (ما) في قولك: مازيد قائماً،

(1) خزنة الأدب . البغدادي - 10 / 253 .

(2) شرح المفصل لابن يعيش، 1 / 108..

(3) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، 1 / 315.

(4) من الآية رقم (32) من سورة يوسف عليه السلام.

(5) من الآية رقم (2) من سورة المجادلة.

ليس منتصباً بما، وإنما هو منصوب بإسقاط الخافض، وهو الباء، كان أصله: ما زيد بقائم، فلما سقطت الباء انتصب الاسم،⁽¹⁾ وهذا يدل على أنهم يرون عدم إعمال (ما) عمل ليس. إلا أنهم اصطدموا بنصوص يكون خبر (ما) فيها منصوباً فلجأوا إلى تخريج هذا النصب على ما قالوا لإثبات رأيهم في عدم إعمال (ما).

إلا أن التخريج الذي ذكره - في نظري - ضعيف، وربما نقول أنه يفتقر إلى نظرة فاحصة، وهذا ما ذهب إليه ابن يعيش في شرح المفصل⁽²⁾ فإنه إذا سقط الخافض فإن الاسم الذي بعده لا ينتصب إلا إذا كان الجار والمجرور - في حال وجود الخافض - في محل نصب، فإذا سقط الخافض - الذي كان فاصلاً بين الفعل ومعموله - وصل الفعل إلى المعمول فنصبه. إذا فالنصب إنما هو بالفعل لا بسقوط الخافض، وذلك بدليل أنه إذا كان في محل غير النصب لتغير الحال، حيث تقول مثلاً -: كفى بالله شهيداً، فيكون الاسم مجروراً بالباء، فإذا سقطت الباء تقول: كفى الله شهيداً، فيكون الاسم مرفوعاً، لأنه في محل رفع، وكذلك تقول: ماجئني من أحد، وإذا سقط الخافض تقول: ما جاءني أحد. وبهذا يتضح أن الخبر منصوب بما، وليس منصوباً بسقوط الخافض، حيث بأن لنا ضعف هذا التعليل في المواضع التي ذكرناها.

المسألة الخامسة: أصل (ويلك، وويحك، وويسك، وويبك)

ويل: الويل: حلول الشر، وهو في الأصل مصدر لا فعل له، قال أبوحيان، وما قيل إن فعله وال، مصنوع، وقد يرد الويل بمعنى التعجب⁽³⁾. ويس: كلمة تستعمل في موضع رافة واستملاح للصبي، تقول له: ويسه وما أملحه، وقال أبو حاتم في كتابه: أما ويسك، فلا يقال إلا للصبيان، وأما ويلك فكلام فيه غلط وشتم، وأما ويح فكلام لين حسن⁽⁴⁾.

ويح: كلمة رحمة، وقال الأصمعي: الويل قبوح والويح ترحم، ويس تصغيرها أي هي دونها، وقال أبو زيد: الويل هلكة والويح قبوح والويس ترحم وقال سيبويه: الويل يقال لمن وقع في الهلكة، والويح زدر لمن أشرف في الهلكة، وقال نصر النحوي: سمعت بعض من يتنطع يقول: الويح رحمة؛ وليس بينه وبين الويل فرقان، إلا أنه

(1) شرح المفصل لابن يعيش، 1 / 108.

(2) السابق، 1، 108.

(3) تاج العروس للزبيدي، مادة: ويل..

(4) السابق، مادة: ويس.

كان ألين قليلاً⁽¹⁾، وهذا كلام متناقض فهو في البداية وصف من يفرق بين الويح والويل بالتقطع² ثم يقال: إلا أنه تاب ألين قليلاً.

ويب: لم يذكر لها التاج معنى محددًا، بل اقتصر على القول: "ويب: كويل وويح وويس، أربعة ألفاظ متوافقة لفظاً ومعنى، لا خامس لها، وإن وقع خلاف لبعض الأئمة في الفرق أن بعضها يكون في الخير وبعضها يكون في هلكة⁽²⁾."

وفي تهذيب الأفعال لابن القطاع: الأفعال التي لا تتصرف تسعة: نعم، وبئس وليس، وعسى، وفعل التعجب، وويح زيد، وويبه، وويله، وويسه، إلا أن المازني ذكر أن الأربعة الأخيرة مصادر⁽³⁾.

وهذه المصادر لا أفعال لها؛ وذلك لأنه لو صرف الفعل منها لوجب إعلال فائه وعينه، وذلك ينت صيغة ثقيلة بسبب اجتماع إعلالين.

وقد اختلف البصريون والكوفيون في أصل تركيب هذه المصادر، فذهب البصريون إلى أن أصلها: ويح، ويل، ويس، ويب، ودخلت عليها كاف الخطاب، وذهب الكوفيون - ومنهم الفراء - إلى أن أصلها كلها: (وى) زيدت عليها.

ولتخريج ذلك قال الفراء: فأما (ويلك) فهي (وى) زيدت عليها لام الجر، فإذا كان بعدها مُضْمَرٌ كانت اللام مفتوحة، كقولك: ويلك، وويله، وإن كان بعدها ظاهر جاز فتح اللام وكسرها، وأنشد: يا زبرقان أبا بني خلف ما أنت ويل أبيك والفخر⁽⁴⁾

أنشده بفتح اللام وكسرها، وعنده أن الذين فتحوا اللام خلطوها بوى، فصارت كأنها منها، ثم كثر استعمالها فأدخلوها عليها لأمأ أخرى، فقالوا: ويل لك.

أما عن الباقي: ويح، وويب، وويس، فيرى أنها كنايات عن الويل! ⁽⁵⁾.

وابن يعيش بعد أن يعرض الرأيين يقول - على عادته -: "والقول ما قاله سيبويه، ولو كان الأمر على ما قال الفراء لما قيل: ويل لزيد، بضم والتثوين"⁽⁶⁾.

وعند تفحص الرأيين نرى أن شرح الفراء للرأي الكوفي لم يكن إلا محاولة تخريج غير مستندة، خرج بها لرأيه في أصل (ويل)، ولكنه اصطدم بتطبيق ما قاله على أخواتها: ويح، وويب، وويس، ف(هرب) بأن قال: هي كنايات عن الويل!.

(1) تاج العروس، مادة: ويح.

(2) السابق، مادة: ويب.

(3) السابق، مادة: ويب.

(4) الكتاب - سيبويه - تح عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط : 3 - 1408 هـ، 1988 م.

(5) شرح المفصل لابن يعيش، 1/ 121، بتصرف.

(6) السابق، 1/ 121.

ولهذا أردت قول ابن يعيش هنا وأؤكد. (أن القول ما قاله سيبويه).

المسألة السادسة: علة لزوم بعض الظروف الإضافية..

الإضافة على ضربين: لفظية ومعنوية، فالمعنوية ما كان اللفظ على الإضافة والمعنى كذلك، نحو: غلام زيد، وثوب خز، واللفظية: ما كان اللفظ على الإضافة والمعنى يخالفها، نحو: ضارب زيد غداً⁽¹⁾.

أما من حيث لزومها فإن اللفظية لا تقع لازمة أبداً "لأنها إنما تضاف لضرب من التخفيف، والنية غير الإضافة"⁽²⁾.

وأما المعنوية فهي على ضربين: فمنها ما يكون لازماً، ومنها ما يكون غير لازم وذلك للمضاف وذلك أن من الأسماء ما يلزم الإضافة ويغلب عليها، ولا يكاد يستعمل مفرداً.

وقد تكون هذه الأسماء ظروفًا أو غير ظروف، فمن الظروف⁽³⁾: الجهات الست، وهي: فوق، وتحت، وأمام وقدام، وخلف ووراء، وتلقاء، وتجاه؛ وحذاء، وحدة⁽⁴⁾.

وقد اختلف البصريون والكوفيون في تعليلهم للزوم هذه الظروف للإضافة.

= أما البصريون فقالوا: إنما لزمّت الإضافة هذه الأشياء لأنها أمور نسبية، وذلك أن فوق - مثلاً - يكون بالنسبة إلى شيء فوقاً، وتحتاً بالنسبة إلى شيء آخر، وكذلك أمام، وسائر هذه الظروف، لذلك لزمّت الإضافة للتعريف والتحديد.

أما الكوفيون فقالوا: إنما لزمّت هذه الظروف الإضافة لأنها تكون أخباراً عن الاسم، كما يكون الفعل خبراً عن الاسم في مثل قولك: زيد ذهب، فلما كان الفعل يحتاج إلى فاعل، وقد تتصل به أشياء يقتضيها من المصدر والمكان والزمان والمفعول؛ ألزموا الظروف الإضافة ليسد المضاف إليه مسد ما يطلبه الفعل ويدل عليه.

وبالموازنة بين الرأيين نرى أن نقبل رأي البصريين مع شيء من النظر، وذلك في قولهم بالتعميم: إنها لزمّت الإضافة للتعريف والتحديد، فنقول: لعله يمكننا فهم المعنى وتحديد الطرف دون الإضافة، وذلك - مثلاً - في الأماكن المحصورة، مثل: دخلت صالة الاجتماع فجلست خلفاً.

أما رأي الكوفيين فإن صبيغته المنطقية والمتكلفة تجعلنا نرده ونبتعد عنه.

(1) ينظر: النحو الوافي، 3/ 71.

(2) شرح المفصل لابن يعيش، 2/ 126-127.

(3) ومن غير الظروف: مثل، وشبه، وغير، وسيد، وقاب، وأي، وبعض وكل وكلا، وذو، ومؤنثة ومثناه ومجموعة، وأولو وأولات، وحسب.

(4) وقد ذكر ابن يعيش ظروفًا على أنها لازمة للإضافة، ولكنه لم يذكر أن فيها خلافاً، وهي: عند، ولدى، ولدى، وبين، ووسط، وسوى، ومع، ودون. ينظر: شرح المفصل لابن يعيش، 2، 126-127.

والغريب أن ابن يعيش -على غير عادته- لم يُدل برأيه في هذه المسألة، لا بترجيح الكوفيين ولا بترجيح البصريين!

= المسألة السابعة: وقوع الجملة الاسمية بعد إذا

(إذا) اسم من أسماء الزمان المستقبل، وهي مبنية؛ "لإنهـا مبنية" (1).
توضحها وتبينها (2).

وقد اختلف الكوفيون مع البصريين في تحديد نوع الجملة التي بعد (إذا) (2).
فالبصريون يرون أنه لما تضمنته من معنى الجزاء لم يقع بعدها إلا فعل. نحو: (أقوم إذا قام زيد).

وقد تمسكوا بهذا الرأي، حتى إنهم حين وجدوا الكثير من النصوص المثالية وقع فيها بعد (إذا) اسم، قدروا فعلاً قبل ذلك الاسم، وذلك لأنها عندهم مضمنة معنى الشرط والجزاء، وهما مختصان بالأفعال.

= أما الكوفيون فقد رأوا جواز وقوع المبتدأ والخبر بعدها، وذلك لأنهم رأوا أنها ليست شرطاً في الحقيقة، أي أنها ليست مختصة بالأسماء فقط، ولعل الحق - في رأيي - أن نميل إلى رأي الكوفيين؛ وذلك لما يلي:

1- لأنه أسهل بالابتعاد عن التقدير ما أمكن، حيث إن البصريين قد احتاجوا لإجراء قاعدتهم تقدير الفعل فعل بين الاسم وإذا.

2- لأنه قد ورد كثيراً في أفصح كلام (القرآن الكريم) ومنه مثلاً: (إذا السماء انشقت) (3) (إذا السماء انفطرت) (4)، كما ورد - كثيراً - وقوع الفعل بعدها، مثل: (والليل إذا يغشى) (5).

وابن يعيش حين عرض الرأيين في هذه المسألة، لم يذكر - على عادته - رأيه في قبول أحد الرأيين ورفض الآخر، ولعل ذلك يعني أنه قد اقتنع بالرأي الكوفي... فهذا دأبه حين يرى الرأي الكوفي لا يتحمس له ولا يسعى لإثباته... أما حين يرى الرأي البصري فإنه يعبر عن ذلك بأقوى العبارات.

المسألة التاسعة: تثنية الاسم المقصور

الاسم المقصور هو الاسم المعرب المنتهي بألف مفردة لازمة، نحو: رحي وعصا، والتثنية تقتضي أن يزداد على المفرد ألف ونون أو ياء ونون، وهذا يعني أن الألف التي في آخر الاسم

(1) السابق، 3 / 121.

(2) ينظر: السابق، 3 / 126.

(3) الآية (1) من سورة الانشقاق.

(4) الآية (1) من سورة الانفطار.

(5) الآية (1) من سورة الليل.

المقصور لن تبقى أخيرة في حال التنثية، وبالتالي فإنها يجب أن تُحرك، والألف لا تكون متحركة أبداً، ولهذا فإن ألف المقصور عند تنثيته تقلب واواً أو ياءً.

وتحديد الحرف الذي تقلب إليه ألف المقصور (واو أو ياء) كان محل خلاف بين البصريين والكوفيين⁽¹⁾.

فرأي البصريين أنه ينظر إلى أصلها، فإن كان أصلها ياء قلبت ياء، نحو: رحي = رحيان، فتى = فتیان ومنه قوله تعالى: " ودخل معه السجنَ فتیان "⁽²⁾.

أما إذا كانت منقلبة عن واو فإنها تقلب واواً عند التنثية، مثل: قفا = قفوان، عصا = عصوان.

هذا إذا علم لها أصل، أما إذا جهل أصلها فإنه ينظر، فإن سمع لها إمالة فإنها تقلب عند التنثية ياء، نحو: بلى = بليان، متى = متيان. (أن يُسمى بهما).

ورأي الكوفيين أنه ينظر إلى أول الاسم المقصور، فإن كان مفتوحاً فإن ألف المقصور ترجع إلى أصلها، كما تقدم، أما إذا كان مكسوراً أو مضموماً فإن ألف المقصور تقلب ياءً حتى إن كان أصلها واواً، نحو: الضحى، الرشى، الخبلى.

والحق - كما يقول ابن يعيش - مع البصريين؛ وذلك لما تقدم، وأيضاً لورود السماع برأيهم، فقد حكى الكسائي - من الكوفيين "أنه سمع في حمى حموان وفي رضا رضوان".

وكذلك فإنه يمكننا أن نؤيد رأي البصريين لرأينا أنه أكثر عملية وواقعية، فهو ينظر إلى الحرف الأخير وهو موضوع الإعلال بالقلب، أما الرأي الكوفي فإنه ينظر إلى الحرف الأول مع أن الإعلال واقع في الحرف الأخير، والإعلال بالقلب - أصلاً - لا يكون إلا في الوسط (عين الكلمة) أو في الأخير (لام الكلمة).

(1) شرح المفصل لابن يعيش، 4/ 146-148.

(2) من الآية (36) من سورة يوسف.

مصادر البحث:

- 1- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين - أبو الأنباري - دار الفكر - دمشق - د. ط - د. ت.
- 2- تاج العروس من جواهر القاموس - الزبيدي - تح: مجموعة من المحققين - دار الهداية - د. ط - د. ت.
- 3- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب - عبد القادر البغدادي - تح: محمد نبيل طريفي، إميل بديع يعقوب - دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - د. ط - 1998 م.
- 4- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك - دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - ط: 1 - 1419 هـ، 1998 م.
- 5- شرح المفصل لابن يعيش - تح: إميل بديع يعقوب - دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان - ط: 1 - 1422 هـ، 2001 م.
- 6- الكتاب - سيبويه - تح: عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط: 3 - 1408 هـ، 1988 م.
- 7- النحو الوافي - عباس حسن.

أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بالانطواء
لدى طلبة كلية الآداب بين وليد

د. محمود عبد حميد العيساوي أحمد معمر الهمامي

قسم علم النفس – كلية الآداب بني وليد

أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بالانطواء

لدى طلبة كلية الآداب بين وليد

د. محمود عبد حميد العيساوي أحمد معمر الهماي

قسم علم النفس - كلية الآداب بني وليد

مقدمة

تعد الأسرة من أهم العوامل المؤثرة في الاتجاهات الوالدية، حيث تساهم عملية التطبيع الاجتماعي منذ مرحلة الطفولة في تكوين الذات وتشكل المعالم الأولى للشخصية في نطاق الأسرة، فيكون لها الأثر القوي في توجيه السلوك فيما بعد، ومن الواضح أن أساليب الوالدين في معاملة الأبناء تختلف من أسرة لأخرى وبالتالي تختلف استجابات الأبناء، ويتوقف نمو شخصية المراهق وعلاقته بالوالدين على درجة الرعاية والوقاية، وعلى مقدار السيطرة المفروضة عليه وعلى ما يناله من تقدير في الأسرة.

لا تزال الأسرة العربية تنشئ أطفالها على أسس من التسلط وعدم الاستقلالية وعلى الهروب من الواقع الذي يؤدي إلى الخجل والتردد والانطواء، فعندما يكبر هذا الطفل ويصبح في سن المراهقة يكون في حالة من الترقب والتوقع التي يضعه فيها جيل الكبار، مما يعطل تنمية القدرات المختلفة لديه، كما يفقده القدرة على إصلاح الخطأ، وعدم الأيمان بالجماعة.

ومن المراحل التي يكثر فيها ظهور الانطواء مرحلة المراهقة، التي تتميز بالحساسية المفرطة، لذا نجد أن التوتر الأسري و المشاكل بين الأبوين يؤدي إلى زيادة السلوك الانكماشى للطفل في داخل الأسرة، ومما يساعد على تأكيد هذا السلوك أن يكون الأب متسلطا و مسيطرا ولا يفتح لغيره باب الحديث.

كما وتلعب بعض الأمور التربوية دورا في تثبيت الانطواء في المواقف الاجتماعية كإطلاق الصفات على الشباب المراهق بأنه خجول أو ضعيف، ومثل هذه الصفات تزيد من تقييده، وفي نواحي أخرى نجد أن الوالدين يشجعون في أبنائهم صفات الطاعة العمياء والاعتمادية والتزام الصمت، وعدم الرد، وكثرة الأوامر والنواهي والممنوعات وعدم المرونة وشدة العقاب في حال عدم التطبيق، كل هذا يؤدي إلى زيادة القلق والشعور بالانطواء، وعلى العكس من ذلك إذا كان الوالدان قريبان من أبنائهم كانت الحياة الأسرية سعيدة وموفقة ونشأ الابن واثقا من نفسه غير خجول من ممارسة حياته بأسلوب سوي.

ومن خلال ما سبق نستطيع القول بأن الشعور بالانطواء غالبا ما يحدث عندما يكون الوالدان من ذوي السلوك القوى الصارم ويتجهان باللوم النفسي الشديد وعدم التقبل لأبنائهم المراهقين عند أحداثهم لسلوكيات خاطئة، وبالتالي حرمانهم من الرعاية في مشوار حياتهم، مما يعتبرون من أكثر الفئات تعرضا للشعور بالانطواء، ويرجع ذلك للتغيرات الطارئة في تلك المرحلة، حيث يترجوا من القيام بأي سلوك، خاصة اذا كن موضعا للنقد والنبذ من قبل الأفراد المحيطون، وهذا ما يمكن ربطه بالجانب الوجداني في هذه الرحلة من العمر مما يجعلهم أكثر حساسية للضغوط والعلاقات الأسرية المتنافرة.

الفصل الأول

(مشكلة البحث وأساسياته)

أولا: مشكلة البحث:

الأسرة هي البيئة الثقافية الأولى التي يتفاعل معها الفرد منذ بداية حياته، فهي التي تكفل له التقبل الاجتماعي، و تغرس فيه ما تشاء من قيم، كما أنها تكفل له السواء النفسي، والاستقرار الاجتماعي، والحياة السعيدة، إن نشأة الفرد مع والديه خير وسيلة لتهديب انفعالاته ووجدانياته، وعلى النقيض من ذلك فإن المعاملة القاسية، وسوء التنشئة الوالدية تولد مشاعر عدم الاطمئنان الذي يجعلهم يلجؤون إلى أساليب توافقية غير سوية لجذب الانتباه كالغيرة، والعزلة والعدوان، والانطواء.

ويوضح (رادك) أن المراهقين الذين ينتمون إلى أسر ديمقراطية كانوا أكثر ثباتا انفعاليا، واجتماعيا، واقل ميلا للمشاجرة، والشحنات من مراهقين الأسر الأوتوقراطية التي لا تسمح لأبنائها بالتعبير عن رغباتهم والأخذ بآرائهم، و استخدام القسوة، و العنف دون مناقشته، و تقييد حريته، وعلى ذلك فإن نمو العلاقات، والاتجاهات المشبعة بالحب، والقبول، والثقة بين الوالدين والمراهقين تساعد على أن ينمو نمو اجتماعيا سلميا، ويحفظه من الانطواء والعزلة. (كونجر وجون وآخرين، 1981، 376)

فالتلميذ المنطوي، أو الميال إلى العزلة يثير مشكلة للمدرس، ومع ذلك فلا يجوز إهماله لان الانطواء دليل على نقص النمو الاجتماعي، ويرتبط عادة بنواحي أخرى من النقص، وهو يعبر عن قصور الشخصية إذا لم يعالج في أوقات مبكرة فإنه قد يستعصى على العلاج فيما بعد. ويعتبر الأطباء النفسيون هذه الظاهرة من أخطر أنواع سوء التكيف والمراهق المنكمش هو مراهق يعاني عرقلة ما في حياته، و لكنه بدلا من أن يغلب العرقلة لتحقيق هدفه و بدلا من أن يستجيب للفشل بالعدوان فإنه يستجيب للفشل بالانسحاب و الانزواء ويتميز مثل هذا المراهق

عادة بكتمان الانفعال وعدم الصراحة، وهو إذا قورن بالمراهق المعتدي كان في العادة أصعب علاجاً، إذ ينبغي أن يكتشف أولاً نوع العرقلة في حياة المراهق المنطوي، ثم نعمل على إزالتها أو نساعدته لتغلب عليها، فقد يكون هذا المراهق منبوذاً من أسرته، أو أقرانه إلى درجة جعلته يزهد من التعامل أو التعاون مع غيره وقد يكون على العكس طفلاً مدللاً ينفر من الجماعة لأنها لا تمنحه الامتيازات التي يتمتع بها في البيت، وربما عانى المراهق المنزوي فشلاً متكرراً، أو سوء معاملة مع الآخرين، وهو لشدة حساسيته في العادة يمتنع عن النشاط حتى لا يعاني من جديد مرارة الفشل، أو السخرية، فضلاً عن تأنيب الضمير. (محمد مصطفى 1972، 87)

ولأهمية هذا الموضوع، تناولته العديد من الدراسات بالبحث والتحليل حيث أشارت بعض الدراسات إلى وجود علاقة بين أساليب المعاملة الوالدية والانطواء مثل دراسة مصطفى أحمد ترك (1974) وفوزية النجاشي (1980) وفوزية محمود (1985)، بينما أشارت دراسات أخرى إلى عدم وجود علاقة كما في دراسة جانيت جامسون (1980)، وأحمد عبد المعبود مصيلحي (1994)، والسيد عبد العزيز (1999).

أن هذا التناقص في نتائج الدراسات قد ولد لدى الباحثان حافزاً قوياً للوقوف على طبيعة العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية والانطواء، وعليه فإن مشكلة البحث الحالي تتحدد بالإجابة عن التساؤل الآتي:

س - هل هناك علاقة بين أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء و الانطواء لدى طلبة كلية الآداب بني وليد ؟

ثانياً: أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث الحالي بالآتي:

- 1- تسليط الضوء على متغيرين هامين هما أساليب المعاملة الوالدية والانطواء.
- 2- إعطاء تصور للمهتمين في هذا المجال عن طبيعة أساليب المعاملة الوالدية والانطواء لدى طلبة الكلية عينة البحث.
- 3- تفيد الطلبة عينة البحث في التعرف على طبيعة العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية والانطواء.
- 4- إلقاء الضوء على أنواع أساليب المعاملة الوالدية التي يتبعها الآباء، في تنشئة أبنائهم والتي قد تؤدي إلى اضطرابات سلوكية عند الأبناء،
- 5- إمكانية الإفادة من الجانب النظري للبحث الحالي الذي يتضمن عرضاً لأساليب المعاملة الوالدية، وانطواء المراهق في بحوث و دراسات لاحقه.

6- الخروج ببعض التوصيات التي قد تقيد في تجنب الأساليب غير السوية في تنشئة الأبناء.

ثالثاً: أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى معرفة:

- 1- مدى إدراك الطلبة عينة البحث لأساليب المعاملة الوالدية.
- 2- مستوى الانطواء لدى الطلبة عينة البحث.
- 3- أثر متغير الجنس في أساليب المعاملة الوالدية المدركة لدى عينة البحث.
- 4- أثر متغير الجنس في مستوى الانطواء لدى عينة البحث
- 5- علاقة أساليب المعاملة الوالدية التي يدركها الطلبة عينة البحث بالانطواء لديهم.

رابعاً: تساؤلات وفروض البحث:

أ- تساؤلات البحث:

- 1- هل يدرك أفراد عينة البحث أساليب المعاملة الوالدية ؟
- 2- هل يتسم أفراد عينة البحث بالانطواء ؟

ب - فروض البحث: لتحقيق أهداف البحث وضعت الفروض الآتية:

- 1- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) في أساليب المعاملة الوالدية التي يدركها الطلبة عينة البحث يرجع لمتغير الجنس.
- 2- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) في الانطواء يرجع لمتغير الجنس.
- 3- لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين أساليب المعاملة الوالدية التي يدركها الطلبة عينة البحث بالانطواء لديهم.

خامساً: حدود البحث:

يقتصر البحث الحالي على معرفة العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء، والانطواء لدى طلبة كلية الآداب بني وليد للعام الجامعي (2015-2016).

سادساً: مفاهيم البحث:

- 1-أساليب المعاملة الوالدية:

عرفها أبو الخير (1985) بأنها: (تلك الأساليب التي يتبعها الوالدان في معاملة أبنائهم أثناء عملية التنشئة الاجتماعية التي تحدث التأثير الإيجابي أو السلبي في سلوك الطفل من خلال استجابة الوالدين لسلوكه) (أبو الخير، 1985: 14)

وعرفها سمير خطاب (1993) بأنها: (العمليات النفسية والتربوية التي تتم بين الوالدين والبناء خلال مراحل العمر المختلفة، و لاسيما خلال المراحل المبكرة، و يحدد هذه الأساليب في (التسلط، التذبذب، السواء) (سمير سعيد خطاب: 1993: 186) و عرفتها سهيل كامل (2001) بأنها: (استمرارية أسلوب معين أو مجموعة من الأساليب المتبعة في تنشئة الطفل و تربيته و يكون لها أثرها في تشكيل شخصيته) (سهيل كامل: 2001: 12-5).

ويعرف الباحثان أساليب المعاملة الوالدية إجرائيا على أنها: مجموعة الدرجات التي يحصل عليها المفحوص من استجابته على مقياس أساليب المعاملة الوالدية أداة البحث.

2-الانطواء:

عرفته هدى قناوي (1985) بأنه: (سحب الليبيدو عن الواقع مما يفقد قيمته بالنسبة للفرد بفعل الإحباط المستمر، فتنشأ تكوينات جديدة للرغبة و تعود تكوينات الرغبة السابقة و المنسية) (هدى محمد قناوي 1985، 77).

وعرفه طه عبد (1988) بأنه: (الابتعاد عن الواقع، و الميل إلى التخطيط المقدام غير المندفع و يعد خطوة تالية للإحباط). (محمد عماد الدين 1988، 40)

وعرفه عامر زيد (1989) بأنه: (الانغماس في التفكير الذاتي التأملي و الميل للانعزالية، والوحدة والخجل والانسحاب في المواقف الاجتماعية بصفة عامة وحب العمل الفردي، والانسحاب من مواجهة). (عباس عوض، 1996، 117)

ويعرف الباحثان الانطواء إجرائيا على أنه:

مجموع الدرجات التي يحصل عليها المفحوص من استجابته على مقياس الانطواء أداة البحث.

الفصل الثاني

(الإطار النظري للبحث)

المبحث الأول: أساليب المعاملة الوالدية

تؤدي الأسرة دورا كبيرا في تنشئة الطفل، وتشكيل عاداته، وقيمه فمن خلالها يتلقى الطفل العديد من الخبرات التي تعده للاستجابة بطريقة ايجابية أو سلبية، مما سيتلقاه من خبرات

مستقبلية، إذ أن الأساليب السليمة التي يتبعها الآباء في معاملة أبنائهم من مساواة في المعاملة بين أبنائهم، ومشاركتهم في اتخاذ قراراتهم، وأخذ آراءهم في بعض الأمور، ورفع معنوياتهم ومساعدتهم على الاختلاط، ودخول المجتمع، وغيرها من الأساليب التي لها مردود ايجابي على حياة الأبناء، وتنشئتهم، ليست بالمهمة السهلة أو اليسيرة، لذا يجب على الأبناء أن يحاولوا تقديم كل إمكانياتهم، وخبراتهم للمساهمة في تشكيل نموذج مثالي للتنشئة السليمة لأبنائهم. (عبد المجيد زكريا: 1998، 306 - 307)

كما أن معظم الآباء لديهم بعض المعتقدات حول خصائص البناء (التنشئة) التي يريدون أن يروها في أبنائهم و الطرق والأساليب التي يعاملون بها أطفالهم لكي تحقق لهم هذه الخصائص التي تعمل على تنمية و غرس السلوكيات الاجتماعية الايجابية في نفوس أبنائهم. (فايزة يوسف: 1980، 122)

ورغم أن معاملة الوالدين كما يتمثلها البناء هي أكثر ارتباطا بنمو الأبناء النفسي، والاجتماعي من ارتباطها بالسلوك الفعلي للوالدين، فقد يشعر الابن برفض والده له رغم أن والده يحبه حبا حقيقيا، ولكن قد يكون اعتقاد الأب أن على الآباء عدم إظهار عواطفهم لأبنائهم، وأن التربية الصارمة ضرورية لنمو الأبناء أخلاقيا، ومن منظور الابن يدرك أنه غير جدير بالحب، إدراكه هذا قد يؤدي إلى مظاهر سلبية في تفاعل.

مفهوم أساليب المعاملة الوالدية:

تتباين آراء العلماء و الباحثين التي تناولت أساليب المعاملة التي يتبعها الوالدان تجاه أبنائهم في إيضاح لهذه الأساليب وتعريفها، حيث إن العديد من الباحثين يستعملون مفهوم الاتجاهات بدل الأساليب، بينما بعضهم الآخر يفضلون استعمال مفهوم الأساليب نظرا لأنه أكثر في المعنى من مفهوم الاتجاهات). وفي ما يلي بعض التعريفات التي تناولت مفهوم أساليب المعاملة الوالدية:

عرفها سمير خطاب (1980) على أنها: (العمليات النفسية و التربوية التي تتم بين الوالدين و الأبناء خلال مراحل العمر المختلفة، ولا سيما خلال المراحل المبكرة، و يحدد هذه الأساليب في (التسلط، التذبذب، السواء). (سمير سعيد خطاب: 1980، 186)

وعرفتها منى أبو طيرة (1989) بأنها: (الأساليب التي يتلقاها الأبناء من الآباء و الأمهات في مواقف الحياة المختلفة و التي يمكن أن تعرف من خلال التقارير اللفظية للأبناء) (منى حسين أبو طيرة 1989، 197)

وعرفها محمود السيد أبو النيل (1989) بأنها:

(الأساليب التي يتلقاها الفرد من الأسرة وخاصة الوالدين و المحيطين به من أجل بناء شخصية

عامة متوافقة) (محمود السيد أبو النيل: 1989، 207)

وعرفها محمد توفيق (1993) بأنها:

(توافق الآباء و الأمهات مع أبنائهم، و الأسلوب المتبع في التنشئة خلال مواقف الحياة المختلفة، البيولوجية و الاجتماعية التي تحدد هذه الأساليب في (الاستقلال، التبعية، الاتساق، التذبذب، المساواة، التفرقة، التقبل، الرفض) (محمد توفيق علي: 1993، 186)

تصنيف أساليب المعاملة الوالدية:

تتقسم أساليب المعاملة الوالدية إلى مجموعتين هما أساليب المعاملة السوية و أساليب المعاملة غير السوية.

أولاً: أساليب المعاملة السوية:

- السواء :

ويتمثل هذا الأسلوب في ممارسة الأبوين للأساليب السوية من وجهة نظر العلماء والمتخصصين في التربية، أي من منطلق وجهة النظر الموضوعية وليس وجهة النظر الشخصية التي يمر بها أحد الوالدين. (رشيدة عبد الرؤوف 1998: 77)

ويتمثل أيضاً في ممارسة الأساليب المناسبة في التعامل مع الطفل و التي تتضمن التقبل غير المشروط للطفل، وتزوده بالمحبة و الشعور بالأمن ومساعدته على إشباع حاجاته المختلفة، وتعينه من الاستقلال كلما ساعد نموه على ذلك، وتوجيهه بحيث يتمثل القواعد الأخلاقية الاجتماعية عن طريقة التعزيز بكافة أشكاله، وخاصة التعزيز القائم على الثناء والذي يولد شعوراً بالرضا عن الذات. (عبدالله الراشدات، نعيم جعيني (ب-ت): 293)

وهي تأخذ أشكال عدة منها:

1-المساواة في المعاملة بين الأبناء

ويقصد بها ممارسة الأبوين للأساليب السوية وفق الحقائق التربوية النفسية أي من منطلق وجهة النظر الموضوعية، وليس من وجهة النظر الشخصية التي يمر بها أحد الوالدين. (رشيدة عبد الرؤوف رمضان: 1998، 77)

أن تفصيل الوالدين في المعاملة بين أبنائهم يلحق أضراراً، و يثير مشاعر الغيرة لدى الأبناء الأقل تفضيلاً، كما يؤدي به إلى العدوان و الغضب و غير ذلك من ردود الأفعال، كما ينعكس على صاحب الامتياز بالغرور، لذلك يجب المساواة في المعاملة بين البناء داخل الأسرة وعدم التفضيل بينهم سواء كان في العمر (الابن الأكبر والابن الأصغر)، أو في الجنس (ذكر أو أنثى)، فالمساواة بين الأبناء تشعر الابن بأنه شخص مهم بالنسبة لوالديه، وأنه مقبول من قبل الوالدين، وتزرع في نفسه الحب لإخوانه، وتقربه من والديه، وتساعد على الصراحة، وتمنحه الثقة بنفسه، وبالأخريين ممن حوله. (احمد الزعبي 2001، 243)

2-حق الأبناء في اتخاذ قراراتهم:

يعبر عن هذا بمدى الحرية والاحترام الذي يمنحه الوالدان للابن خلال تصرفاته التي تتصل بمختلف شؤونه الشخصية، والمنزلية، والمدرسية، والجماعية، والترويحية. (رشيدة عبدالرؤوف رمضان 1998، 74)

فإذا كان الآباء يرغبون بمعاملة أبنائهم على أساس الصداقة، ولا يحاولون فرض رأيهم عليهم في توجيه سلوكهم فلا بد من ترك الحق للأبناء في اتخاذ قراراتهم في مجال حياتهم الخاصة فيما يخص دراستهم، واختيار أصدقائهم، واختيار ملابسهم، وهذه الحرية تكون بشكل محدد، ولا يغيب عنه التوجيه والنصائح، ولو بشكل غير مباشر، فمن حقهم أن يختاروا أسلوب حياتهم ويحددوا مستقبلهم. (احمد إسماعيل 1993، 280)

3-التقبل:

هو إدراك الطفل من خلال معاملة والديه الدائمة و الثابتة، والإحساس بالدفء الأسرى، والعلاقات الجانبية من جانبهما، وإن يشعر الطفل أن والديه (الأب - الأم) يستمتعان بقضاء الوقت معه، سواء في البيت، أو عند الخروج في الزيارات والرحلات وإنهما يهتمان بمحاسنه أكثر مما يهتمان بأخطائه، وإن يشعر الطفل بالارتياح العائلي، ويعتقد أن والديه وفرا له طفولة سعيدة ودافئة عاطفياً، وقد أكد كثير من الباحثين على أهمية التقبل و الدفء العاطفي من قبل الأبناء للإباء، و أثر ذلك على مراحل نمو الطفل، ويتضح أن الأطفال الذين تتوفر لهم ظروف يسودها الحب و التقبل و الدفء العاطفي يبدون نموا طبيعياً في كل ما يتعلق بالاستجابات الانفعالية و الذكاء، أما الأطفال الذين لا تتوفر لهم ذلك الجو المفعم بالحب، فإنهم تظهر عليهم اللامبالاة و الانطواء إلى جانب انخفاض مستوى الذكاء (محمد محمد بيومي 2000، 219).

ثانياً: أساليب المعاملة غير السوية:

1- التسلط:

ويتمثل في فرض الأم أو الأب رأيه على الطفل، ويتضمن ذلك الوقوف أمام رغبات الطفل التلقائية أو منعه من القيام بسلوك معين. (إسماعيل ومنصور، 1964: 6-7)

إن إتباع الوالدين لهذا الأسلوب يؤثر على تكوين شخصية الطفل، بحيث يكون طفلاً خجولاً وقد يتسم سلوكه العام بالخوف من السلطة، و عدم الثقة بالنفس، كما قد يؤدي أيضاً إلى التأخر الدراسي و إلى مشاعر الخيبة، والفشل، والغيرة و الانطواء، كما قد يبعث على إحساسه بالظلم و القهر، والاضطهاد وفقدان الأمن، مما يؤدي إلى ارتكاب الأخطاء في غياب السلطة، ويتوقع أن تتسم شخصيته في المستقبل بالإهمال في العمل إلا في وجود السلطة أو الرقابة وميلاً إلى التخريب و التعدي على ممتلكات الغير، ويمثل هذا مصدر قلق للمجتمع، لأنه لم يتعود الاستماع بحرية في الطفولة.

ومن أهم الأسباب التي تمكن وراء إتباع هذا الأسلوب اتسام شخصية الآباء بالصرامة والتمرت في تطبيق القواعد و المعايير، وقد ترجع إلى تعرض الآباء أنفسهم أثناء طفولتهم لخبرات تتشابه مع هذا النمط من المعاملة، فيجد الآباء أنفسهم مجبورين بشكل غير مباشر على إتباع هذا الأسلوب. (مصطفى التير وآخرون (ب - ت): 92)

2-أسلوب الإهمال:

ويقصد به ترك الطفل دون تشجيع على السلوك المرغوب، أو محاسبته على السلوك غيرا لمرغوب، وتركه دون توجيه إلى ما يجب فعله و قد يكون السبب في إهمال الوالدين هو عدم قدرتهم على تعليم أطفالهم احترام السلطة، وإتباع القواعد الاجتماعية أو بسبب الطلاق أو موت احدهما، و بالتالي لا يتزود الطفل بالعناية الكافية، كأن يترك وحيدا في المنزل، أو أن يترك قذرا قبيح المظهر، أو لا يتناول طعامه بانتظام، وقد يؤدي إهمال الطفل إلى أن يسعى دائما إلى إرضاء الآخرين لكي ينتبهوا إليه أو يسترسل في أحلام اليقظة ليحقق ما يصبو إليه، وقد ينضم إلى الجماعات غير المرغوبة، أو يلجأ إلى الانحراف و تحدي السلطة و عدم قبول اللوم على سلوكه. (حمزة مختار 1982، 218)

ويؤثر إتباع الوالدين لهذا الأسلوب تأثيرا بالغا على التكوين النفسي للطفل، فقد يؤدي إلى شعوره بالقلق والاضطراب، و الخوف، و الخجل، والانطواء والميل إلى البكاء، أو إلى العدوان على الآخرين ونوبات الغضب، مما يؤدي إلى عدم قدرته على تكوين علاقات اجتماعية إيجابية. (نبيه الغيرة 1968، 46)

وقد يرجع استعمال الوالدين لهذا الأسلوب إلى انعدام التوافق الأسرى الناتج عند العلاقات الزوجية السيئة، وقد يرجع أحيانا إلى عصبية مزاج الأم بحيث يسود سلوكها الضجر و التذمر، وهي تقوم بإشباع حاجات الطفل. (مصطفى فهمي، 1987: 94)

3-أسلوب الحماية الزائدة:

يتمثل هذا الأسلوب في تلبية الوالدين لكل رغبات الطفل، و القيام نيابة عنه بكل الواجبات والمسؤوليات حتى البسيطة منها و التي بمقدور الطفل أن يقوم بها بنفسه. (مصطفى التير وآخرون، (ب - ت): 92)

ويتضمن هذا الأسلوب أيضا في إظهار اللهفة و القلق والخوف الشديد، على الطفل لدرجة منعه من الاختلاط بالآخرين أو تركه يشترك في أي مجال دون أن يكون تحت إشراف الوالدين مثل اللعب والرحلات المدرسية، وتنشئة الطفل وفق هذا الأسلوب يمكن أن يؤدي إلى ميله إلى اعتماده الزائد على الآخرين، بحيث لا يستطيع القيام بأي شيء بمفرده مهما كان بسيطاً، وكذلك قد يبدو عليه عدم القدرة على التركيز والانخفاض في مستوى الطموح، وعدم القدرة على تحمل المسؤولية ولا يقوى على مجابهة مصاعب الحياة، ولا يحتمل ظروف الفشل

والإحباط، وذلك لأنه يتوقع دائما أن يعامله المجتمع بنفس الأسلوب الذي تعود أن يعامله به أبواه من التقليل وإطاعة الأوامر وتلبية المطالب. (الظاهر، ميسرة، 1989: 66)

وقد يتبع الوالدان هذا الأسلوب مع الطفل الوحيد، أو الطفل الأول، أو الطفل الذي جاء بعد تأخر في الإنجاب، أو تعرض الطفل لمرض طويل، أو إصابة بعاهة، أو مع الابن الوحيد بين عدد من البنات.

4-أسلوب القسوة:

يعامل الوالدان أبنائهم بقسوة عندما يستخدمون كل ما يؤدي إلى الألم الجسدي أو النفسي لتقويم سلوكهم، مع أن الأبناء قد يعبرون في تصرفاتهم عن حاجات يفتقدونها، أو يعترضون على المعاملة التي يعاملون بها، أو بسبب ظروف محيطية تدفعهم إلى اللجوء إلى العدوان و الصخب و المشاكسة كنوع من الظهور وإثبات الذات. (محمود إبراهيم، 1973، 16)

إن معاملة الوالدين للطفل بمعاملة قائمة على الشدة و التعسف، و بطريقة لا تتناسب مع سنه ولا تتوافق مع مستوى فهمه و إدراكه يسبب للطفل الارتباك، و يثير فيه الحيرة، مما يدفعه لحدة الطبع.

ويشير منصور وآخرون عام 1979 إلى ما أكده ديفز وهافجurst Davis and Havigurst من أن القسوة من الأم أثناء تدريب الأطفال على ضبط الإخراج تؤدي إلى معاناتهم من الاضطرابات الوجدانية. (منصور و آخرون 1979، 79)

ومن أهم الأسباب التي تدفع بالوالدين إلى استعمالهما لهذا الأسلوب هو اعتقادهما انه الأسلوب الأمثل لدفع أبنائهم نحو الكمال وتقادي الوضع الذي يعيشون فيه، وربما يرجع إلى خبرتهم الشخصية أثناء فترة الطفولة فهم يعيدون مع أبنائهم نفس المعاملة التي يعاملون بها. (مصطفى فهمي 1987، 105 - 106)

5-أسلوب التدليل:

يدخل في الحب المفرط أسلوب المعاملة القائم على التدليل، و ينطوي على تلبية طلبات الأبناء المعقولة وغير المعقولة ، ومساعدتهم في كل عمل يودون القيام به. (ونيس، انتصار 1976، 66)

وتكمن الخطورة في أن المدلل يظل طفلاً حتى في مراهقته، وقد يعجز على الاعتماد على نفسه وينهار أمام كل أزمة تواجهه. (زيدان محمد 1979، 66)

ومن أهم الأسباب التي يرجع استعمال هذا الأسلوب ضعف شخصية الوالدين وعجزهم عن السيطرة على أطفالهم، والوقوف منهما موقف الضعف والاستسلام، ومما يزيد الأمر سوءا اعتراف الآباء أمام الطفل بهذا العجز فيشعر الطفل بالغرور الذي يشجعه على التسلط والسيطرة على الأسرة.

6-أسلوب التذبذب:

ويحصل أحيانا أن يختلف موقف الوالدين في سلوك أبنائهم فيكون مقبولا في وقت، وغير مقبولا في وقت آخر، وقد يتساهل احدهما بينما يتشدد الآخر، ويؤدي هذا التعامل إلى الاضطراب في سلوك الأبناء والزعزعة في كيانهم والفشل في مواكبة الاعتبارات السلوكية. (الشرييني، 1993، 13)

كما أن التذبذب في المعاملة الوالدية يؤثر على توافق الأبناء بالإضافة إلى احتمالية ظهور أعنف مظاهر السلوك العدواني كنتيجة مباشرة لهذا الأسلوب. (علي الحفاشي 1977، 102)

ومن أهم الأسباب التي تكمن وراء أتباع الوالدين لهذا الأسلوب نقص المعلومات المتوفرة لديهم عن الكيفية التي يمكن استعمالها في الثواب والعقاب، أيضا تناقض الوالدين لتباعد وجهتي نظرهما. (هدى قناوي 1988، 96)

7-أسلوب التفرقة:

يتمثل هذا الأسلوب في التفضيل والتمييز بين الأبناء جميعا لأسباب غير منطقية كالجنس (الذكورة والأنوثة)، أو الترتيب الميلادى، أو أبناء الزوج، أو الزوجة المحبوبة، أو المنبوذة بشكل يولد الحقد والكراهية، ويخلق الصراع بين البناء. (محمد بيومي خليل 2000، 75)

ويقصد به أيضا عدم المساواة بين الأبناء والتفضيل بينهما بناء على المركز، أو الجنس، أو السن أو أي سبب آخر، ومما يعزز ممارسة هذا الأسلوب وجود بعض الأنماط الثقافية الشائعة التي تؤدي إلى وجود فروق في التنشئة مثل افتراض أن الطفل الذكر أكثر مقاومة وتحمل من الأنثى وهذا يجعل الوالدين أكثر قلقا على البنت من الولد وهذا ما يؤدي بدوره إلى فروق جوهرية في أساليب التنشئة. (جابر عبد الحميد وسليمان الخصري 1998، 18)

المبحث الثاني: الانطواء

أول من استخدم مصطلح الانطوائية هو عالم النفس (يونج)، وكان يقصد بهذا المصطلح أن الشخص الانطوائي هو ذلك الشخص الذي يوجه اهتماماته نحو الداخل بدلا من توجيهها إلى العالم الخارجي من الناس والأشياء. (عزت الطويل 1999، 353 - 360)

ويتمثل الانطواء في الانكماش عن الفعاليات الاجتماعية، والانشغال بالأفكار الخاصة، فالشخص المنطوي ينكمش على نفسه ويلجأ إلى سحب ذاته بعيدا عن الجماعة وفعاليتها الخاصة في حالات الشدة والتأزم. (منير ميخائيل وآخرون: 1980، 151)

إن العزلة الاجتماعية أو ما يسمى بالانطوائية من الاضطرابات السلوكية الشائعة بين الأطفال، ويرى عالم النفس (سكmond فرويد) أن ذلك مرده إلى خيالاتهم الواسعة والاستغراق بها

وأنهم يفتقرون إلى التعليم الاجتماعي ويفتقرون إلى التجربة والتمرين على خلق علاقات مع الآخرين وصعوبة تعلم قيم الآخرين ومشاركتهم في وجهات نظرهم. (خالد خليل 2005، 44) مفهوم الانطواء:

عرفه كمال دسوقي بأنه: (انعطاف أو انزواء الليبي وللداخل حيث يكون التعبير عن علاقة سالبة للذات بالموضوع فالميل والاهتمام لا يتحرك باتجاه الموضوع بل يتقهقر نحو الذات). (كمال دسوقي 1990، 736)

وعرف عبد الرحمن العيسوي بأنه: (تحويل العقل إلى الداخل وانعكاسه على نفسه). (عبد الرحمن العيسوي 1993، 123)

كما عرفه سكموند فرويد بأنه: (الفرد الذي يعاني في أسلوب تفكيره خاصة ما يتصل منه بصورة مباشرة بالسلوك الاجتماعي حيث يميل إلى الانسحاب من المشاركة الاجتماعية) (مجدي أحمد عبد الله، 2000:99)

صفات المنطوي: حدد عبد الرحمن العيسوي وآخرون صفات المنطوي بالاتي:

الصفات الجسمية:

أنه يمشي متهيبا متمهلا في خفة ونعومة، وكأنه يخاف أن يلمس الأرض، ويسير وعيناه منخفضتان لا يجروا على النظر في وجوه المارة، وإذا جلس فإنه يضع نفسه خلف المتحدث خلسة، يهرب إذا شعر بأن العيون تراقبه، يجلس وكأنه لا يشغل حيزا من المكان، وفي الحالات المتطرفة من الانطواء نجد الفرد قد أهمل جسده ومطالب المجتمع الذي يعيش فيه فالمنطوي أكثر شعور بالذنب نتيجة لتأثره بوصايا الوالدين .

الصفات العقلية:

يميل المنطوي إلى تحليل نفسه ونقدها في صغائر، ودقائق الأمور، ويصف تفكيره بالذاتية، وعدم الموضوعية وينعكس العقل على ذاته فيكثر التأمل في ذاته ومشاعره وأحاسيسه وآماله إلى الخيال الجانح، والاستغراق في الأوهام، فالمنطوي مثالي رمزي ذاتي نظري .

الصفات الانفعالية:

تظهر ظاهرة الانطواء أكثر ما تظهر في الميدان العاطفي والانفعالي فالمنطوي يؤثر العزلة والاعتكاف ويحب الانفراد ويميل إلى التهيب والخجل والحساسية المفرطة. ويغلب عليه التردد فيفكر كثيرا فيما يعمل قبل أن يبدأ، وهو كثير الارتباك والحيرة كثير الندم والتحسر على ما فات، حساس للنقد، والاهانة يأخذ كل شيء مأخذا شخصيا، شكاك في نيات الناس ودافعهم، كتوم يتحفظ بأسراره لنفسه، يكبت عواطفه وانفعالاته.

وان رد فعل المنطوي يتصف بالسلبية، أما المنطوي فذات السيادة عنده هي الضرورة الذاتية الداخلية الباطنية، وألا تظهر عواطفه وانفعالاته بسهولة، لا يعقد صدقات بسهولة ولكن إذا عقدها فتتصف بالعمق والولاء والإخلاص والوفاء.

الصفات الاجتماعية:

تؤدي رغبة المنطوي في العزلة إلى ضيق دائرة أصدقائه وأعدائه أيضا، فهو قليل الأصدقاء، وقليل الأعداد، فهو يؤثر العزلة على اختلاط ويشعر بالعزلة، والضيق في وسط المجتمعات الكبيرة، وهو يختار مثاله الأعلى من نماذج الأدباء، ورجال الدين، ويختار أحد أبطال المخاطر حيث يبدي رغبته في تقمص شخصية تمتلك ما يفتقده هو، كما انه ضعيف الاهتمام بهندامه طالما أنه لا يجلب له انتباه الآخرين، ويستغرق في الاستنباط، وأفكاره تؤدي به إلى الإحباط والفشل، يفكر في الم الناس، ولا يستطيع القيام بدور ما على خشبة المسرح، كما لا يمكنه أن يقلد الأصوات، أو حركات الناس أمام مجموعة كبيرة، ويميل إلى الخضوع. (عبد الرحمن العيسوي 1993، 126 - 127)

العوامل المؤدية للانطواء:

هناك العديد من العوامل التي يمكن أن تؤدي إلى الانطواء الاجتماعي منها:

أ-العوامل الوراثية:

ويمكن ملاحظة ذلك عند الأطفال في الطفولة، المبكرة حيث يظهر على الطفل المنطوي الميل إلى الخوف والتردد، وقد لوحظ أن أبناء البيئات الريفية أكثر انطواء من أبناء الحضر، وذلك أن الإنسان ابن الوراثة والبيئة معا. (عبد الرحمن العيسوي، 1993: 130)

ب-العوامل البيئية: وتتمثل في:

1-الحماية الزائدة والخوف على الطفل:

وهذا يخلق فيه الاعتماد على الآخرين والحذر في القيام بأعمال، وذلك لتكرر تدخل الوالدين والخوف عليه من الفشل أو الضرر.

2-توقع الوالدين أكثر من اللازم من طفلهما:

كثيرا ما يبالغ الوالدان يطلبهما من الطفل القيام بأعمال أو سلوك ليس بمقدوره أدائه، فقد يكون أكثر من مستواه العقلي، أو البدني.

3-نقص اهتمام الوالدين وحرصهما:

عدم توفر العناية الكافية يؤدي إلى إهمال الطفل وقلة تفاعله وخبراته، وبالتالي شعوره بالدونية والنقص وتغطية هذا الشعور باتباع طريقة الانسحاب.

4-عدم شعور الفرد بقيمته:

أن عدم الشعور بالتقبل والانتماء يعطي الفرد إحساسا بعدم قيمته ويسهل عليه عملية النظر سلبيا إلى ذاته في ضوء معاملة المحيطين به.

5- المرض والضعف الجسدي:

تضع قيود على سلوك الفرد، وبالتالي على شعوره بذاته مما يخفيه من التفاعل الاجتماعي والاختلاط بالآخرين.

6- التعزيز:

حيث تقوم الأسرة بتشجيع الطفل على الانطواء، وتعزيز والديه على اعتبار أن الانطواء هو من حسن الخلق، والآداب، واحترام الآخرين، وهذا مما يؤدي إلى استمرار الطفل في الانطواء. (منير ميخائيل وآخرون 1998، 152-154)

أسباب الانطواء:

1- الخوف من الآخرين:

إن أحد أسباب العزلة هو خوف الأطفال من الآخرين فهم يتجنبوا مشاعر الآخرين السالبة إذ إن الآباء الغاضبين يجعلون أطفالهم يتجنبونهم بسبب الخوف منهم، فهم سوف يربطون في ذهن الطفل على أنهم مصدر للألم، ولذلك يهربون طلبا للأمان والسرور.

2- عدم توفير مهارات اجتماعية وتواصلية مع الآخرين:

على الآباء أن يعرفوا أي المهارات تنقص أطفالهم، فربما لا يعرف أبنائهم التحدث أو التعبير عن أنفسهم، أو أن أطفالهم لا يختلطون بالآخرين، لذلك يجب تعليمهم أن يكونوا اجتماعيين.

3- رفض الوالدين للأصدقاء:

إن رفض الآباء لأصدقاء أطفالهم يقود الآباء إلى رفض أبنائهم وفهمهم من أن يكونوا اجتماعيين وأن النتيجة تقود إلى عزلتهم الاجتماعية.

طرق تجنب السلوك الانطوائي:

1- التواصل المبكر والتفاعل مع الآخرين:

يجب تعرض الأطفال للتجارب، الايجابية مع الآخرين، ويجب تعاون الإباء مع أطفالهم لتشجيع عدم العزلة فبعض الأطفال يميلون إلى بعض الناس ويرفضون بعضها الآخر، فيجب جذب اهتمامهم في المجموعات الاجتماعية، وعرض الأطفال على أفلام تشجيع، وعدم العزلة وتشجيع التفاعل الاجتماعي، لأن ذلك يساعدهم على تعلم المهارات الاجتماعية بشكل سريع.

2- دعم وتشجيع الثقة بالنفس والمخاطرة:

يجب أن يطوروا مهاراتهم وإشراكهم في مهارات لها قيمة، ويمكن تدريبهم عليها مع الآباء مثل المهارات الرياضية، والعباب القوى خاصة الأولاد لأن ذلك يمنع انخراطهم في العزلة

الاجتماعية، ولذلك يجب تشجيع هوايات الأطفال، والتعرف على هذه الهوايات، لأن ذلك يخلق الاهتمام لدى طفلك. (خالد خليل الشبخلي 2005، 77)

الفصل الثالث

(منهج البحث وإجراءاته)

أولاً: منهج البحث:

اعتمد الباحثان المنهج الوصفي (أسلوب الدراسات الارتباطية)، وهومن الأساليب المستخدمة في البحوث الوصفية، التي تعد من أكثر الأساليب شيوعا وانتشار لمعرفة العلاقة بين متغيرين. (دوقان عبيدات وآخرون، 1991: 221)

ثانياً: تحديد مجتمع البحث:

تم تحديد طلبة كلية الآداب جامعة بني وليد مجتمعاً عاماً للبحث والجدول رقم (1) يوضح ذلك:

الجدول رقم (1)

يوضح الأقسام العلمية في كلية الآداب بمدينة بني وليد وعدد طلابها في المجتمع الأصلي للبحث

عدد الطلاب	القسم
45	الإعلام
93	التاريخ
72	الدراسات الإسلامية
138	اللغة الانجليزية
54	اللغة العربية
24	الآثار
120	علم الاجتماع
55	علم التفسير
130	علم النفس
51	الجغرافيا
782	المجموع

ثالثاً: اختيار عينة البحث:

1- عينة الأقسام:

اختار الباحثان بالطريقة المقصودة أربعة أقسام هي (الدراسات الإسلامية، اللغة العربية، الإعلام، الآثار) لتكون عينة البحث، لأنها تحتوي على النسبة المطلوبة من الذكور والإناث والجدول (2) يوضح.

الجدول رقم (2)

يوضح الأقسام الأربعة في كلية الآداب بني وليد (عينة البحث)

وعدد طلابها حسب متغير التخصص

القسم	عدد الطلاب
الإعلام	65
الدراسات الإسلامية	72
اللغة العربية	54
الآثار	24
المجموع	204

2- عينة الطلبة:

تم وبالطريقة العشوائية البسيطة سحب عينة قوامها (100) طالب من طلاب السنة الأولى والثانية من الأقسام المشمولة بالبحث بواقع (25) من كل قسم، وهذا العدد يمثل ما نسبته (12%) من مجتمع البحث، والجدول رقم يوضح ذلك.

الجدول (3)

يوضح الأقسام الأربعة في كلية الآداب بني وليد

وعدد طلاب السنة الأولى والثانية لعينة البحث حسب متغير الجنس

القسم	السنة الأولى		السنة الثانية		العينة
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	
الإعلام	7	13	10	12	25
الدراسات الإسلامية	17	16	9	10	25
اللغة العربية	8	10	6	5	25
الآثار	15	15	10	15	25
المجموع	47	54	35	42	100

رابعاً: أدوات البحث:

من أجل تحقيق هدف البحث الحالي الذي يتمثل في (معرفة العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء والانطواء لدى عينة البحث)، إذ كان لزاماً على الباحثين استخدام مقياس أساليب المعاملة الوالدية، ومقياس آخر لقياس الانطواء، وقد تم الحصول على هذين المقياسين جاهزين وفيما يلي وصف لكلا المقياسين:

1-مقياس أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء :

أ-وصف المقياس:

أعد هذا المقياس من قبل الدكتور (موسى نجيب موسى)، وكان الهدف منه قياس إدراك الأبناء لأساليب المعاملة الوالدية، وحسب صدقه وثباته أذا طبق على عينة من طلبة وطالبات جامعة حلوان، يتكون هذا المقياس من (45) فقرة أمام كل فقرة ثلاث إجابات (نعم، كلا، إلى حد ما)

ب-حساب صدق المقياس:

يعد الصدق من الشروط الأساسية الواجب توفرها في الاختبارات والمقاييس النفسية وهو يعني "قدرة الاختبار على قياس الشيء الذي وضع من أجل قياسه. (محمود عبد الحميد العيساوي، 2014: 205)

وقد حرص الباحثان أن تكون فقرات المقياس تقيس ما وضع لقياسه ولتأكد من ذلك استخدم الباحثان الصدق الظاهري عن طريق توزيع المقياس على مجموعة من ذوي الخبرة والاختصاص في مجال التربية وعلم النفس، وذلك لإبداء آرائهم في مدى:

1- سلامة فقرات المقياس من حيث الصياغة.

2- شمولية فقرات المقياس لأساليب المعاملة الوالدية.

3- مدى وضوح التعليمات التي تسبق فقرات المقياس.

ب-حساب ثبات المقياس:

يعد المقياس ثابتاً إذا أعطى نفس النتائج، أو نتائج متقاربة إذا ما أعيد تطبيقه على نفس الأفراد وتحت نفس الظروف. (محمود عبد الحميد العيساوي، 2014: 205)

اعتمد الباحثان طريقة التجزئة النصفية، حيث طبق على عينة قوامها (30) طالب وطالبة من طلبة السنة الأولى والثانية بقسم (الإعلام، الدراسات الإسلامية، اللغة العربية، الآثار) إذ بلغ ثبات المقياس (82%).

ج-الصورة النهائية للمقياس:

بعد التأكد من صدق المقياس وأجراء التعديلات المناسبة في صياغة الفقرات وحساب الثبات أصبح الاختبار بصورته النهائية مكوناً من (42) فقرة.

د-طريقة تطبيق المقياس وتصحيحه:

بعد توزيع الاستمارات على عينة البحث تم جمعها وأعطى الوزن الثلاثي للمقياس (نعم، إلى حد ما، كلا) ما يعادلها في الوزن الكمي، (2، 1، 0) في حالة الفقرات الموجبة، والأوزان (0، 1، 2) في حالة الفقرات السالبة، وقام الباحثان باستخراج درجة أساليب المعاملة الوالدية كما

يدركها الأبناء التي تحصل عليها كل طالب، وبذلك تكون النهاية العظمى للدرجات (84) والنهاية الصغرى (0).

2-مقياس الانطواء

أ - وصف المقياس: أعد هذا المقياس من قبل (محمد عماد الدين إسماعيل)، وكان الهدف منه قياس انطواء المراهق، إذا طبق على (450) طالبا من طلاب المدارس الثانوية والمعاهد العليا والكليات بمصر، يتكون هذا المقياس من (43) فقرة أمام كل فقرة ثلاث إجابات وهي (نعم، كلا، إلى حد ما).

وقد حرص الباحثان على أن يقيس المقياس ما وضع من أجل قياسه وللتأكد من ذلك استخدمنا الصدق الظاهري، إذ عرض المقياس على مجموعة من ذوي الخبرة والاختصاص في مجال التربية وعلم النفس.

ب- حساب ثبات المقياس: اعتمد الباحثان طريقة التجزئة النصفية، حيث طبق على عينة قوامها (30) طالب وطالبة من طلبة السنة الأولى والثانية بقسم (الإعلام، الدراسات الإسلامية، اللغة العربية، الآثار)، إذ بلغ معامل ثبات المقياس (80%).

ج- الصورة النهائية لمقياس:

بعد التأكد من صدق المقياس وإجراء التعديلات المناسبة في صياغة الفقرات وحساب الثبات أصبح الاختبار بصورته النهائية مكونا من (41) فقرة.

د- طريقة تطبيق المقياس وتصحيحه: بعد توزيع الاستمارات على عينة البحث تم جمعها وأعطى الوزن الثلاثي للمقياس (نعم، لا، إلى حد ما) وما يعادلها في الوزن الكمي (2، 1، 0) في حالة الفقرات الموجبة والأوزان (0، 1، 2) في حالة الفقرات السالبة، وقام الباحثان باستخراج درجة الانطواء التي تحصل عليها كل طالب، وبذلك تكون النهاية العظمى للدرجات (82) والنهاية الصغرى (0).

خامسا: الوسائل الإحصائية المستخدمة:

استخدم الباحثان في تحليل نتائجهما الوسائل الإحصائية الآتية:

1-معدلة جي كوبر للمحكمين:

عدد المتفقين

عدد المتفقين + عدد غير المتفقين

2-معادلة سبيرمان براون التصحيحية لإيجاد ثبات الاختبار

$$\text{معامل الارتباط} = \frac{2 \times 1}{1 + 1} = 1$$

3-معادلة ارتباط كارل بيرسون لإيجاد العلاقة

$$r = \frac{n \text{ مجس ص} - \text{مجس} \times \text{مج ص}}{(n \text{ مجس}^2 - (\text{مجس})^2) / (n \text{ مجس}^2 - (\text{مج ص})^2)}$$

(أحمد محمد الطبيب، 1999: 14)

2-الاختبار التائي لمجموعة واحدة:

$$t = \frac{(س - م) \times \sqrt{n}}{ع}$$

4-الاختبار التائي في حالة تساوي العينة:

$$\frac{ع^2 + 1^2}{ن - 1}$$

(محمود السيد أبو النيل، 1985: 13)

الفصل الرابع

(عرض النتائج وتفسيرها)

أولاً: عرض النتائج:

1-للإجابة عن التساؤل الأول (هل يدرك أفراد عينة البحث أساليب المعاملة الوالدية) رصدت درجات التي تحصل عليها أفراد البحث على مقياس أساليب المعاملة الوالدية، ثم حلت البيانات باستخدام الاختبار التائي (t.test) لعينة واحدة لمعرفة دلالة الفرق بين المتوسط الحسابي التجريبي (47) والمتوسط الحسابي النظري (42) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (98) اتضح أن أفراد العينة يدركون أساليب المعاملة الوالدية إذا كانت قيمة (t) المحسوبة (9.63) أكبر من قيمة (t) الجدولية (1.98) والجدول رقم (5) يوضح ذلك.

جدول رقم (5)

يبين المتوسط الحسابي التجريبي والنظري والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة

والجدولية لعينة البحث في استجاباتهم على مقياس إدراك أساليب المعاملة الوالدية

العينة	المتوسط التجريبي	المتوسط النظري	الانحراف المعياري	درجة الحرية	قيمة (t)		مستوى الدلالة (0.05)
					المسحوبة	الجدولية	
100	46	42	4.15	98	9.63	1.98	توجد دلالة إحصائية

2-للإجابة عن التساؤل الثاني (هل يتسم أفراد عينة البحث بالانطواء)

رصدت درجات التي تحصل عليها أفراد البحث على مقياس الانطواء، ثم حلت البيانات باستخدام الاختبار التائي (t.test) لعينة واحدة لمعرفة دلالة الفرق بين المتوسط الحسابي التجريبي (44.5) والمتوسط الحسابي النظري (40) عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية

(98) اتضح أن أفراد العينة يتسمون بالانطواء إذا كانت قيمة (t) المحسوبة (8.41) أكبر من قيمة (t) الجدولية والجدول رقم (6) يوضح ذلك.

جدول رقم (6)

يبين المتوسط الحسابي التجريبي والنظري والانحراف المعياري والقيمة التائية المحسوبة والجدولية لعينة البحث في استجاباتهم على مقياس الانطواء

القيمة (t)	الانحراف المعياري	درجة الحرية	المتوسط النظري	المتوسط التجريبي	العينة	مستوى الدلالة (0.05)
1.98	5.36	98	40	44.5	100	توجد دلالة إحصائية

فروض البحث:

1- للتحقيق من صحة الفرض الأول والذي ينص: (لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) في أساليب المعاملة يرجع لمتغير الجنس).

رصدت الدرجات التي تحصل عليها الطلبة أفراد عينة الذكور والإناث على مقياس الأساليب المعاملة، ثم تحللت البيانات إحصائياً باستخدام الاختبار التائي (t) لمعرفة الفرق بين متوسطي درجات العينة حيث بلغ متوسط درجات عينة الذكور (60) ومتوسط درجات عينة الإناث (60.5) وعند حساب الفرق بين هذه المتوسطات عند مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (98) اتضح عدم وجود فرق ذو دلالة إحصائية بين هذه العينتان إذ كانت قيمة (t) المحسوبة (1.02) أصغر من قيمة (t) الجدولية (1.98)، والجدول رقم (7) يوضح ذلك:

جدول رقم (7)

يوضح المتوسط الحسابي والتباين وقيمة (t) المحسوبة والجدولية ودلالة الفروق عينة الأقسام في استجاباتهم على مقياس أساليب المعاملة

القيمة (t)	الانحراف المعياري	درجة الحرية	المتوسط الحسابي	العدد	العينة	مستوى دلالة (0.05)
1.98	5.6	98	60	50	ذكور	لا توجد دلالة إحصائية
1.02	6.22		60.5	50	إناث	

2- للتحقيق من صحة الفرض الثاني والذي ينص: (لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) في الانطواء يرجع لمتغير الجنس).

رصدت الدرجات التي تحصل عليها الطلبة أفراد عينة الذكور والإناث على مقياس الانطواء، ثم حلت البيانات إحصائياً باستخدام الاختبار التائي (t) لمعرفة الفرق بين متوسطي درجات العيّنتين حيث بلغ متوسط درجات عينة الذكور (51.3) ومتوسط درجات عينة الإناث (51.9) وعند حساب مستوى دلالة (0.05) ودرجة حرية (98) اتضح عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين هذه العيّنتين إذا كانت قيمة (t) المحسوبة (1.76) أصغر من قيمة (t) الجدولية (1.98) والجدول رقم (8) يوضح ذلك:

جدول رقم (8)

يوضح المتوسط الحسابي والتباين وقيمة (t) المحسوبة والجدولية ودلالة الفروق عينة الأقسام في استجاباتهم على مقياس الانطواء

العينة	العدد	المتوسط الحسابي	التباين	درجة الحرية	قيمة (t)		مستوى دلالة (0.05)
					المحسوبة	الجدولية	
ذكور	50	51.3	2.67	98	1.76	1.98	لا توجد دلالة إحصائية
إناث	50	51.9	3.07				

3- للتحقق من صحة الفرض الثالث والذي ينص:- (لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين أساليب المعاملة الوالدية والانطواء لدى طلبة أفراد عينة البحث، تم إيجاد قيمة معامل الارتباط بين درجات أفراد العينة على مقياس أساليب المعاملة الوالدية ودرجاتهم على مقياس الانطواء إذا بلغ (0.93)، واختبار دلالاته إحصائياً تم إيجاد قيمة (t) من معامل الارتباط إذ بلغت (2.43)، وبمقارنتها مع قيمة (t) الجدولية (1.98) عند مستوى دلالة (0.05) درجة حرية (98) يتضح أن قيمة (t) المحسوبة أكبر من القيمة الجدولية مما يؤدي إلى رفض الفرض الصفري، وهذا يعين وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين الانطواء وإدراك الأبناء لأساليب المعاملة الوالدية والجدول رقم (9) يوضح ذلك:

جدول رقم (9)

يبين معامل الارتباط وقيمة (t) المحسوبة والجدولية لدرجات أفراد العينة على مقياس أساليب المعاملة الوالدية والانطواء

المقياس	معامل الارتباط	درجة الحرية	قيمة (t)		مستوى الدلالة (0.05)
			المحسوبة	الجدولية	
أساليب المعاملة الوالدية	0.93	98	2.43	1.98	توجد دلالة إحصائية
الانطواء					

ثانيا: تفسير النتائج:

أظهرت نتائج البحث الآتي:

1- يدرك أفراد عينة البحث أساليب المعاملة الوالدية، وهذا مرده للتغيرات التي طرأت على حياة المراهق من معرفة ودراية بأساليب التنشئة الوالدية، كونها من المواضيع التي سلط عليها الضوء بالمؤتمرات والندوات والبرامج التلفزيونية والإذاعية، وشبكات التواصل الاجتماعي.

2- يعاني أفراد عينة البحث من الانطواء، وقد يرجع ذلك إلى أن مرحلة المراهقة هي من أصعب مراحل عمر الإنسان، ولا نغالي إذا قلنا أنها مرحلة تخلو من السعادة من كثرة ما فيها من معاناة، إنها مرحلة اضطراب وتمرد، مرحلة تزداد فيها العواصف الانفعالية وخاصة في المجتمعات التي تضع قيودا على سلوك الفرد ورغباته، وتحدد من مستوى طموحاته، والناجئة من التعقيد الذي يكتنف العلاقات الأسرية ووسائل التربية والتنشئة الاجتماعية الخاطئة المبنية على الفهم القاصر لبعض الآباء، بأن التربية الصارمة هي الضامن لعدم انفلات الأبناء وعدم خروجهم عن الأثر التي تضعه الأسرة، كما أن كثرة الأبناء في الوقت التي تكون فيه الإمكانيات ضعيفة، ولا تستطيع أن تقي بمتطلبات الحياة تكون واحدة من الأسباب المهمة التي تؤدي إلى القلق والاضطراب المستمر في المنزل وسرعة الاستثارة، مما يزيد ضغط الكبار، وتسلبهم، وقسوتهم على الأبناء، الأمر الذي يعمل على زيادة الخبرات المؤلمة ومواقف الإحباط لدى هؤلاء الأبناء، ويحرمهم من مشاعر الحنان والرعاية، ويجعلهم يعتقدون أنهم يتصفون بنقص في شخصيتهم، مما يقلل من فاعليتهم الاجتماعية، ومن ثم الانعزال وصولا إلى الانطواء، وهذا ما أكدته (العالم تولمن) الذي يرى انه عندما يجد المراهقين أن علاقاتهم مع الآخرين غير مقدره وغير مثابة فنهم ينسلخون عنهم، ويبدون اهتماما أقل فيما يتعلق بالتلميحات الاجتماعية، وينتج عن هذا أن يأخذ هذا السلوك شكلا شادا أو غير متوافق.

3- عدم وجود فروق دالة إحصائية في أساليب المعاملة الوالدية يرجع إلى متغير الجنس، وهذا مرده إلى أساليب التنشئة غير السوية القائمة على التسلط والعلاقات البطركية، لا تميز كثيرا بين الذكور والإناث، فالآباء يتعاملون بقسوة وشدة وصرامة مع أبنائهم بغض النظر عن نوع الجنس فهم لا يضحكون في وجوههم، ولا يلين قلوبهم لهم لا نهم يعتقدون أن التربية هي عملية إعداد الأبناء للحياة الصعبة، وذلك يرجع إلى قلة الوعي الثقافي والتربوي لدى الآباء والذي ينتج عنه تعرض الأبناء

لنفس الضغوط النفسية والمواقف الضاغطة والخبرات المؤلمة ومواقف الإحباط بغض النظر عن نوع الجنس.

4- لا توجد فروق دالة إحصائية في الانطواء يرجع لمتغير الجنس، فكون الطفل ذكر أم أنثى ذلك لا يؤثر على درجة انطوائه، فقد أشارت الكثير من الدراسات والأدبيات أن أسلوب التنشئة السائد في مجتمع بني وليد هو أسلوب تسلطي لا يميز بين الذكر والأنثى، فكل الجنسين يتعرضان لإساءة المعاملة، والإهمال في طفولتهم، وإلى التربية الصارمة داخل الأسرة والمدرسة في مرحلة المراهقة وهذا يتعارض مع طبيعة هذه المرحلة التي تتميز بالنشاط، والحيوية، والمفعمة بالتحدي.

5- توجد علاقة دالة إحصائية بين أساليب المعاملة الوالدية والانطواء وقد يرجع السبب في ذلك، إلى أن الأسرة الحصن الاجتماعي الذي تنمو فيه بذور الشخصية الإنسانية، وتوضح فيه أصول التطبيع الاجتماعي، بل تحدد فيه بحق الطبيعة الإنسانية للإنسان، كما يشكل الوجود البيولوجي للجنس في رحم الأم الوجود الاجتماعي للطفل في رحم الأسرة، وحضنها، وقد يرجع ذلك إلى الأسرة بما تتبعه من أساليب غير سوية في معاملة الطفل تؤثر على النمو النفسي السوي للطفل، وتؤثر على تكوين الشخصية، فالأسرة السعيدة تعتبر بيئة صحية للنمو السوي، وتؤدي إلى سعادة الطفل، وتكيفه، في حين أن الأسرة المضطربة تعتبر بيئة نفسية سيئة للنمو، وتكون بمثابة موقع خصب للانحراف السلوكية، والاضطرابات النفسية، والاجتماعية، ولسوء التكيف حيث إن الخبرات الأسرية التي يتعرض لها الطفل في سنوات طفولته الأولى تؤثر تأثير هاما على تكيفه الشخصي، والاجتماعي، كما تؤثر الأساليب غير السوية في التنشئة إلى طبع شخصية الطفل بطابع الاستسلام، والخضوع، أو التمرد والعصيان، هذا إلى جانب عدم الشعور بالكفاءة ونقص المبادأة، والعزلة، والانطواء، وعدم التكيف مع متطلبات النضج.

التوصيات:

في ضوء ما تقدم من نتائج يوصي الباحثان بالاتي:

- 1- دعوة وسائل الإعلام (المرئية والمسموعة والمكتوبة) في بني وليد للتوعية المستمرة للوالدين لتوضيح أنسب الطرق والأساليب التي يمكن أتباعها مع الأبناء لتساعداهم على النضج الاجتماعي.

- 2- على الكليات والمؤسسات التعليمية والثقافية إقامة ندوات تثقيفية للآباء والأمهات من أجل الابتعاد عن الأساليب التي من شأنها أن تعمل على الانطواء والسلبية وسوء التوافق النفسي والاجتماعي.
- 3- يجب أن تهتم الأبحاث العلمية بالمناخ الأسري الذي يعيش فيه المراهق ومدى تأثير البيئة الثقافية والاجتماعية على سلوك المراهق وتوافقه مع نفسه ومع الآخرين.
- 4- تهيئة البيئة الصالحة التي ينمو فيها الشباب، وإتاحة المناخ النفسي الملائم لنمو الشخصية السوية، من خلال إقامة مراكز شباب رياضية وثقافية وترفيهية.
- 5- التأكيد على ضرورة التوجيه والإرشاد النفسي في المؤسسات التربوية والمهنية والاجتماعية.

قائمة المراجع:

- 1- أبو الخير عبد الكريم قاسم، (1985)، أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بالاضطرابات السلوكية، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى)، مكة المكرمة.
- 2- أحمد السيد إسماعيل، (1993)، مشكلات الطفل السلوكية وأساليب معاملة الوالدين، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية.
- 3- أحمد محمد الزعبي (2001)، الأمراض النفسية والسلوكية عند الأطفال، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
- 4- أحمد محمد الطبيب، (1999)، الإحصاء في التربية وعلم النفس، دار المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
- 5- إسماعيل منصور، (1994)، مقياس الاتجاهات الوالدية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة
- 6- جابر عبد الحميد جابر، سليمان الخضري (1998) دراسات نفسية نحو الشخصية العربية، عالم الكتب، القاهرة.
- 7- ملاك جرجس، (2006)، الشخصية الانطوائية كيف نشجعه ونرعاها، ط 2، دار اللواء الرياض.
- 8- حمزة مختار (1982)، أسس علم النفس الاجتماعي، ط2، دار البيان العربي، جدة.
- 9- خالد خليل الشخيلي، (2005)، المشكلات السلوكية لدى الأطفال، وزارة التربية والتعليم، دار الكتاب الجامعي، الإمارات.
- 10- رشيدة عبدالرؤوف رمضان (1998)، الصحة النفسية للأبناء، دار الكتاب للنشر والتوزيع، القاهرة
- 11- زكريا الشربيني (1993)، المشكلات النفسية عند الأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 12- زيدان عبد الباقي، (1998)، علم النفس الاجتماعي " الأسرة والرعاية الشباب والطفولة، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- 13- سمير سعيد خطاب، (1980)، تباين أساليب التنشئة الوالدية وعلاقتها بالسمات الشخصية (رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس)، مصر.
- 14- سهير كامل (2004)، تنشئة الطفل وحاجاته بين النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- 15- الطاهر، ميسرة، (1990)، أساليب المعاملة الوالدية والمستوى الثقافي للوالدين في تنمية الابتكار، (رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين شمس)، القاهرة.
- 16- عبد الرحمن محمد العيسوي، (1993)، علم النفس التربوي، الدار الجامعية، عمان، الأردن.
- 17- عبد الله الراشدات ونعيم جعيني(ب، ت)، المدخل إلى التربية والتعليم، دار الشروق، عمان، الأردن.
- 18- عبد المجيد سيد منصور وزكريا أحمد الشربيني (1998)، علم نفس الطفولة: الأسس النفسية والاجتماعية، دار الفكر العربي، القاهرة.
- 19- علي أحمد الحفاشي، (1977)، أساليب المعاملة الوالدية وعلاقتها ببعض المسايير والمغايرة لدى أحداث الجانحين (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى) المملة العربية السعودية.
- 20- عوض عباس محمود (1996)، الموجز في الصحة النفسية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.

- 21- محمد عماد الدين إسماعيل، (1986)، الأطفال مرآة المجتمع، عالم المعرفة، الكويت.
- 22- محمد محمد بيومي خليل، (2000)، سيكولوجية العلاقات الأسرية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- 23- محمد مصطفى مياسا (1979)، الاتجاهات الوالدية في التنشئة الاجتماعية وارتباطها بشخصية الأبناء، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة).
- 24- محمود إبراهيم وجيه (1973)، صحة النفس، دار مكتبة الفكر، طرابلس، لبنان.
- 25- محمود السيد أبو النيل، (1985)، علم النفس الصناعي، دار النهضة العربية، بيروت.
- 26- محمود عبد الحميد العيسوي (2014) البحث العلمي: أساسياته ومناهجه في العلوم النفسية والاجتماعية، مكتبة طرابلس العالمية، طرابلس، ليبيا.
- 27- مخيمر عماد محمد، (1996)، إدراك وقبول الرفض الوالدي وعلاقته بالصلابة النفسية لطلاب الجامعة، مجلة دراسات نفسية، العدد 6.
- 28- مصطفى التير مصطفى وآخرون، (ب - ت)، انحراف الأحداث، مجلة سلسلة الوعي الأمني، القاهرة.
- 29- مصطفى رجب، (2007)، خطأ الآباء في تربية الأبناء، دراسة ميدانية، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة .
- 30- منى حسن أبو طيرة (1989)، سيكولوجية النمو في الطفولة والمراهقة، ط3، دار الفكر، الإسكندرية.
- 31- منصور محمد جميل يوسف وآخرون (1979)، النمو من الطفولة إلى المراهقة، دار تهامة، جدة.
- 32- منير كامل ميخائيل وآخرون، (1998)، التربية وعلم النفس، دار المؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، لبنان.
- 33- فايزة يوسف عبد المجيد (1980)، التنشئة الاجتماعية للأطفال وعلاقتهم ببعض السمات الشخصية، (رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس)
- 34- كمال دسوقي (1979)، النمو التربوي والمراهقة، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
- 35- كونجر وجون (1970)، أسس المعاملة الوالدية، ترجمة أحمد عبد العزيز وجابر عبد المجيد، دار النهضة العربية، القاهرة.
- 36- نبيه الغيره، (1968)، المشكلات السلوكية عند الأطفال، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
- 37- هدى محمد قناوي، (1982)، الحلقة الدراسية الإقليمية لعام 1982، ندوة عن الطفل المنطوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

BIBLIOGRAPHIE

- ABBOU, ANDRÉ (1982): *L'empire des signes et des formes*, in *Le Français dans le Monde*, no.171,pp.34-38.
- BOGAARDS P., (1994): *Le vocabulaire dans l'apprentissage des langues étrangères*, Collection *Langues et Apprentissage des Langues*, Paris, Hatier-Didier.
- COSTE,D. (1978):"*Le renouvellement méthodologique dans l'enseignement du français langue étrangère*", in ALI BOUACHA, *La pédagogie du français langue étrangère* , Paris, Hachette, p.18.
- ESTRADE, CHRISTIAN (1983): "*Une iconothèque pour la classe de langues*, in *Le Français dans le Monde*, no.178,p.63.
- GALISSON, R. et COSTE, D. (1976): *Dictionnaire de didactique des langues*, Hachette, Paris.
- GOUREVITCH, JEAN-PAUL (1973): *Clefs pour l'audio-visuel*, Edition Seghers.
- KOMENSKY, J. A.(2002): *La grande didactique ou l'art universel de tout enseigner à tous*, Éditions Klincksieck, p.176.
- Martine Joly, *L'image et les signes (Approche sémiologique de l'image, fixe)*, Armand Colin, 2005.
- MOIRAND, S.(1990): *Enseigner à communiquer en langue étrangère*, Paris, Hachette.
- VAN BOMMEL, HEINER (1983): "*Refondre son manuel*", in *Le Français dans le Monde*", no.179,p.61.
- VIGNER , GERARD (1980): *Didactique fonctionnelle du français*, Paris, Hachette.

essentielle dans l'organisation du processus d'enseignement à condition qu'à tout moment on la conçoive en rapport avec l'enseigné, étant donné que celui-ci est très variable, qu'il se modifie au fil des années, et puis, le groupe-classe lui aussi est toujours hétérogène. Sachant toujours que la principale technique de manipulation du *syllabus* c'est la transmission du même corpus à enseigner par l'emploi simultané du canal *auditif* et *visuel*. Il est bien connu qu'une fixation visuelle et sonore simultanées qui stimulent deux centres nerveux à la fois arrivent à consolider les connaissances transmises sur la mémoire de longue durée.

la mise en marche des appareils propres aux méthodes audio-visuelles d'enseignement⁽⁹⁾.

Les moyens audio-visuels ne constituent que l'équipement technique d'une méthode d'enseignement audio-visuelle. Le terme audio-visuel est apparu aux Etats-Unis dans les années 1930 et il est passé en France sous la forme de l'adjectif "audio-visuel". A partir de 1950, on constate l'apparition de substantif l'audio-visuel surtout dans les textes du langage publicitaire concernant les moyens de communication de mass-média. Mais il faut faire une distinction

entre les processus et les moyens de communication mass-média et les méthodes d'enseignement audio-visuelles."C'est ainsi qu'on identifie abusivement *audio-visuel* avec *mass-média* (terme latino-américain désigne les moyens de diffusion collective à caractère industriel), donc aussi le livre de poche ou avec son équivalent français *moyens de communications de masse*. Les *média* ne correspondent qu'à l'aspect matériel et quantitatif du phénomène "⁽¹⁰⁾.

Conclusion

Le but de l'enseignement moderne d'une langue étrangère est l'assimilation d'une expression ou d'une construction à un tel degré que la réaction soit immédiate et assurée. Les méthodes audio-visuelles ont recherché ces renouvellements méthodologiques à l'aide des moyens techniques correspondants.

En guise de conclusion , on souligne que les connaissances sur l'acquisition du langage progressent et que les objectifs et les procédés d'apprentissage d'une

langue étrangère ont énormément varié avec l'évolution des méthodologies, et que la diffusion toujours plus large des langues étrangères impose la découverte de solutions plus souples et plus efficaces. Les recherches visent à

la constitution d'un appareil conceptuel propre à la glottodidactique en prenant compte les trois composantes de la stratégie didactique- enseignant, élève et matière à enseigner, et qu'on veuille accorder à chacun sa juste place dans l'ensemble du processus de l'enseignement/apprentissage de la langue étrangère. Dans ce sens, la réflexion méthodologique doit avoir une fonction

⁹ Voir: GALISSON, R. et COSTE, D.(1976): Dictionnaire didactique des langues, Hachette, Paris, p.263.

¹⁰ GOUREVITCH, JEAN-PAUL, op.cit.

peuvent s'ouvrir dans la façon d'articuler par le truchement du diagramme un pratique langagière et différent types d'activités intellectuelles⁽⁶⁾.

Un bon exercice de contrôle de la compréhension serait de demander, à partir de la lecture d'un texte d'en donner une représentation schématique, une radiographie de ses structures invisibles; cette conduite pédagogique permet d'étayer l'activité de compréhension sur la construction.

2/ L'Auxiliaires Techniques:

On comprend par auxiliaires techniques tout l'équipement matériel, tout l'appareillage qui constitue des outils techniques pour une méthode d'enseignement. Les auxiliaires techniques peuvent être divisés selon la physiologie des messages ou bien selon leur destination strictement sensorielle du point de vue de l'intérêt méthodologique: *moyens audio-oraux* et *moyens audio-visuels*⁽⁷⁾. Les moyens audio-visuels devaient aussi contenir dans leur application le terme d'*oraux*, mais pour des raisons traditionnelles le terme est resté tel dans la didactique des langues étrangères.

A- Les moyens audio-oraux n'ont pas été construits pour un processus d'enseignement (par exemple, le tourne disque ou le magnétophone). Leur emploi est aléatoire et peut servir n'importe quel type d'enseignement à partir de leur emploi lors d'une classe de langue étrangère tout à fait traditionnelle jusqu'à leur emploi. " Pour la méthode audio-orale, la langue est une construction mécanique d'éléments interdépendants mais séparables les uns des autres et de leurs conditions d'emploi"⁽⁸⁾.

Elle s'appuyait aussi sur la psychologie béhavioriste selon laquelle, le langage n'était qu'un type de conduite humaine et son schéma de base était le réflexe conditionné.

B- Les moyens audio-visuels font partie d'une stratégie globale de la technologie d'enseignement qui comprennent deux domaines : *le domaine du software et celui du hardware*. Le terme de hardware désigne toute l'industrie humaine et matérielle qui s'occupe de la conception, de fabrication de la réalisation, du perfectionnement contenu, aussi bien que de

⁶ VIGNER G., (2000): Enseigner le français comme langue seconde. Paris , CLE International. p.57.

⁷ GOUREVITCH, JEAN-PAUL (1973): Clefs pour l'audio-visuel, Edition Seghers. Paris. p.41.

⁸ COSTE, D. (1978): Le renouvellement méthodologique dans l'enseignement du français langue étrangère", in Ali BOUACHA, La pédagogie du français langue étrangère, Paris, Hachette, p.18.

En tant que matériel pédagogique, l'image fonctionne soit comme *support linguistique*, l'iconicité étant un déclencheur verbal privilégié, soit comme *support civilisationnel*, soit enfin comme *support sémiotique* (vu qu'une "amorce de réflexion sur ce qui est et comment fonctionne le code iconique permet une meilleure approche de l'image comme support langagier")⁽⁵⁾.

Etant donné que la plupart des messages mêlent plusieurs codes, il serait indispensable d'analyser ces relations intercodiques qui peuvent être de *complémentarité* (par exemple dans la bande dessinée, où chaque code prend en charge une partie du message), de *redondance* (dans la publicité et les photos romans), et de *d'opposition* (dans le dessin humoristique où le texte dit souvent le contraire de l'image).

De ce point de vue (sémiotique - référentiel et pragmatique) l'image artistique diffère essentiellement de l'image non artistique.

La perception de l'image artistique (par opposition aux images plus immédiatement utilitaires et donc plus impersonnelles) déclenche un jeu perpétuellement renouvelé d'interprétation, réclamant de la part du lecteur une "*activité projective*" particulièrement intense.

B/ Le diagramme:

Si l'univers des images assure une liaison plus directe et plus facilement lisible avec le référent, les diagrammes (domaine multiforme, plus vaste encore que celui des images: cartes, plans, schémas, graphiques, tableaux se définissent comme la partie rationnelle de la sémiotique iconique, marquée par l'activité du sujet qui réduit le réel amorphe à des coordonnées intelligibles.

Le lien entre le verbal et l'iconique n'est plus de pure redondance, c'est un lien de nature heuristique, facilitant un comportement créatif.

La compréhension du diagramme comporte deux étapes: l'identification externe du référent et son identification interne (saisie des relations entre les éléments mobilisés). Le problème qui se pose est la tentation de conceptualisation en langue maternelle ou le non-intérêt pour la verbalisation, d'où la nécessité d'une conduite pédagogique d'animation des matériaux aussi *ouverte* que possible.

Le diagramme n'est plus que la manifestation visuelle d'une construction intellectuelle, c'est pourquoi de larges perspectives interdisciplinaires

⁵ ESTRADÉ, CHRISTIAN (1983): "Une iconothèque pour la classe de langues, in Le Français dans le monde, n°.178, p.63.

polymorphe de signes: "Il appartient à la didactique des langues puisque celle-ci se trouve au cœur des significations et des interprétations de prendre en charge et d'explicitier l'univers de signes qui se déposent dans les pratiques sociales. Si la mission paraît claire, la démarche et la logistique, c'est-à-dire les procédures et les supports restent encore à préciser"⁽²⁾.

Or, l'un des supports essentiels de cette didactique intégrative (socialisante et sémiotisante) est l'ensemble des matériels souples, légers, modulables, non canoniques, polyvalents constituant ce que l'on appelle *auxiliaire didactique*.

1/- Auxiliaire Didactique:

Les auxiliaires didactiques de type modulaire (dossiers pédagogiques - documents authentiques, manuels, recueils de textes, dictionnaires, etc.) parviennent à remédier à la dégradation de la motivation puisqu'ils représentent des propositions d'enseignement ouvertes se rattachant à un thème et invitant à un travail d'analyse et de réflexion sur ce thème; mais il ne peut s'agir de thèmes superficiels empruntés au quotidien : " Il s'agit plutôt d'attitudes, de faits et de circonstances qui, par le truchement de la langue étrangère sollicitent et développent les compétences personnelles sociales et individuelles des élèves"⁽³⁾.

Les auxiliaires didactiques se laissent repartir en fonction de l'utilisateur en :

- matériel du maître (livres du maître, guides pédagogiques, livrets méthodologiques, corrigés des exercices, etc.);
- matériel du groupe ou de la classe (dossiers pédagogiques, iconothèque, manuels, films, diapos recueils de textes);
- matériel de l'apprenant (livre de l'élève, cahier d'orthographe, testes, etc.);
- disques, cassettes, bandes, magnétiques, radio-perception auditive;
- films fixes + bandes magnétiques, vidéocassettes, films sonores télévision-perception audio - visuelle.

A/ L'image

En pédagogie, "l'image est un "auxiliaire visuel" qui favorise compréhension et production. Il a connu différentes utilisations, plus ou moins importantes, selon les méthodologies d'enseignement. Au XX siècle déjà, le pédagogue tchèque J. A. Komensky (dit Comenius) préconise l'utilisation d'image dans l'enseignement comme un auxiliaire didactique. (Si nous voulons communiquer aux élèves une sûre connaissance des choses, il faut passer directement par la vue et la perception sensible)⁽⁴⁾.

² ABBOU, ANDRÉ, op.cit, PP. 38.

³ VAN BOMMEL, HEINER (1983): "Refondre son manuel" , in Le Français dans le monde" , n°. 179, p. 61.

⁴ KOMENSKY, J. A.(2002): La grande didactique ou l'art universel de tout enseigner à tous, Éditions Klincksieck, p.176.

LES AUXILIAIRES DIDACTIQUES ET THECHNIQUES DANS L'ENSEIGNEMENT DE FRANÇAIS, LANGUE ÉTRANGÈRE

Dr. Mosbah M. Farfar

Faculté des langues

Introduction

En didactique des langues, le terme auxiliaire désigne un ensemble d'outils matériels destinés à faciliter le travail de l'enseignant et des enseignants.

On distingue deux sous-ensembles d'auxiliaires:

I- les auxiliaires didactiques : le matériel collectif (manuels, recueils de textes, dictionnaires, etc.); le matériel de l'élève (livre de l'élève, cahier de grammaire et d'orthographe, testes, etc.) , le matériel du maître (guide pédagogique, livrets méthodologiques, corrigés d'exercices, livre du maître, etc.);

2- les auxiliaires techniques (équipement matériel: tableau de feutre, rétroprojecteur, disques, magnétophone, minicassettes, machine à enseigner, ordinateur, etc.);

La structure des auxiliaires didactiques et le choix des moyens techniques dépendent de l'option méthodologique fondamentale. Ainsi, dans les méthodes SGAV (MÉTHODE), l'image est le principal moyen utilisé en classe de langue. L'importance de la "révolution sémiotique" accomplie par la société moderne qui véhicule des quantités et natures d'information en progression accélérée implique un "développement correspondant des circuits d'information de plus en plus denses, et dans ce but réactive le sens et les mécanismes de perception"⁽¹⁾. L'univers actuel (dans toutes ses productions, attitudes et conduites sociales) s'édifie à partir de et autour d'une mosaïque

ملخص البحث: (الوسائل التعليمية والتقنية لتدريس

اللغة الفرنسية كلغة أجنبية)

يتناول هذا البحث استخدام هذه الوسائل ودورها في تحسين عملية التعليم والتعلم ، وهي التي توضح معاني كلماته وتشرحها وتعمل على تدريب المتعلم المهارات اللغوية والرفع من كفاءته اللفظية ، وهو ما يستلزم أن تكون بسيطة وواضحة وداعية لسرعة الفهم وسهولة إقبال التلاميذ عليها ، والوسيلة التعليمية الواحدة تزيد من جدوى الوسائل الأخرى المستعملة ، فهي تدعم وتعزز قيمة غيرها في التعليم ، ولا شك أن العبء الأكبر يقع على المعلم الكفء في نجاح الوسيلة التعليمية في تحقيق استفادة الطلاب منها الى الحد الأقصى الممكن.

¹ ABBO, ANDRÉ (1982): L'empire des signes et des formes, in Le Français dans le monde, n°. 171, pp. 34-38.

***LES AUXILIAIRES DIDACTIQUES ET
THECHNIQUES DANS L'ENSEIGNEMENT
DE FRANÇAIS, LANGUE ÉTRANGÈRE***

*Dr. Mosbah M. Farfar
Faculté des langues*

- 2- Bouchahm Moufida, texte littéraire maghrébin ou texte littéraire français le quel à portée de nos élèves, mémoire université Mentouri Constantine, faculté des langue et des lèttres 2009.
- 3- Coianiz Alain, grammaire implicite et explicite dans l'enseignement du français langue étrangère, série travaux didactique, presses de l'université Paul Valéry, Montepplier 3, 1996.
- 4- Dairas Agustin Marrero, Isabl Florido Mayar, Dominique Gabel, intégration de texte littéraire dans les méthodes de français langue étrangère, in universidad de Las Palmas de Gran Carairia.
- 5- Le nouveau Petit Robert, dictionnaire alphabétique de la langue française ed LR 2007.
- 6- Peytard Jean, discours et enseignement du français, Hachette, Paris 1992.
- 7- Peytard Jean, littérature et classe de langue, Hatier, Paris 1982.
- 8- Pretceille Abdallah,M, apprendre une langue, apprendre une culture, in cultures pédagogiques N 360, Janvier 1998.
- 9- Séoud Amor, pour une didactique de la littérature, Hatier Paris 1997.

Conclusion

Dans ce travail, il est important de souligner que l'enseignement de la littérature française, comme matière, dans nos universités reste assez modeste. Car on commence d'enseigner la langue française que aux niveaux universitaires. En un autre mots, on enseigne la langue et la littérature parallèlement ou on donne le texte littéraire sans rendre compte du niveau linguistique de l'étudiant. On pense que la bonne connaissance de langue, et l'apprentissage contenu des professeurs ciblés peuvent participer d'une manière considérable à résoudre les problèmes confrontés. D'autre aspect non négligeable à ce domaine c'est le bon choix d'une méthode à suivre dans la classe.

Finalement, on peut dire que les rencontres au fur à mesure des responsables des départements de français et les professeurs de la littérature participent à résoudre beaucoup des problèmes posés dans nos universités.

Références :

- 1- Al Amin Alsadag Ahmeid, intégration des textes littéraires dans l'enseignement du FLE aux départements de français en Libye, mémoire de master, l'académie Libyenne 2012.

méthode suggérée, on pense qu'elle est simple et pratique. Puis qu'elle s'agit de privilégier la découverte, l'interrogation, la réflexion. Ce n'est pas une compréhension globale puisque des faits de langue, des écrits par rapport à la norme, des mouvements discursifs ou des jeux poétiques sont analysés dans deux étapes :

-Première étape : découverte :

C'est la première rencontre avec le texte. Elle peut se faire sans le lire, le texte, seulement en regardant sa composition, la typographie, la ponctuation, les fractures... L'image du texte, son organisation est porteuse du sens. Cette première étape s'effectue principalement à l'oral et en groupe.

-Deuxième étape : exploration : C'est la confrontation avec le texte.

1- Les tâches à effectuer (repérer, observer, noter, relever, souligner) rendent l'étudiant actif face à l'écrit. Il n'attend pas que le sens se donne (ou que l'enseignant le lui suggère), il l'élabore partitionnements en liant les indices et en croisant les données.

2- Le texte littéraire est aussi un support de communication et un déclencheur de besoin de langue : les étudiants comprennent souvent ce qui écrit, mais ne disposent pas des formes linguistiques ni du vocabulaire pour exprimer leur pensée. Le fait que le professeur apporte ce dont ils ont besoin (en contexte) aide à l'expression facilité la mémorisation.

3- Le lecteur est sans cesse sollicité sur ce qu'il ressent. En fonction du texte, des liens, des comparaisons sont établis avec sa culture.

4- La dernière question articule lecture et production ou propose une réflexion ouverte à partir du texte.

dans sa singularité. Car on croit que la littérature est une culture, écriture et aussi une langue. Donc on doit enseigner cette dernière dans un contexte globale de ces aspects.

4- Pacte pédagogique :

- Faire confiance aux étudiants : même si leur niveau de langue n'est pas encore adapté aux difficultés des textes, leur expérience du monde, leurs compétences de lecteurs langue arabe, langue maternelle, sont transférable à l'écrite étrangère.
- Mettre les étudiants en confiance : des questions rituelles d'observation, de repérage , de reconnaissance des genres, d'incitation à émettre des hypothèses à imaginer une histoire permettent en général au lecteur étranger de répondre d'avoir quelque chose à dire) Il est déjà (en prise) avec le texte.
- Accueillir les interprétation des étudiants sans les évaluer négativement même si elles ne correspondent pas à ce que le professeur attend.

5- Les objectifs : sans doute l'enseignement d'une matière vise toujours à un but dans une vision bien précise en un autre mot à un objectif visé.

L'enseignement de la littérature, comme matière à l'université vise à des objectifs bien déterminés, on peut les résumer dans les points suivants :

- Il vise à l'amélioration de la langue (compréhension et expressions).
- L'acquisition de connaissances littéraires, et l'accès à une culture.
- Il s'attache au développement de compétences des lectures.
 - Il permet un travail sur la justification et l'explication.
 - Il favorise l'expression et la confrontation des idées et des goûts.
 - Il a pour ambition de donner le plaisir de lire. Car le texte littéraire est un espace à explorer, générateur de sensation, de réflexion sur soi, sur l'autre et sur la langue à maîtriser.

6- Une démarche et des accompagnements pédagogiques

On peut dire que il n'y a pas de démarche systématique à suivre pour l'enseignement de la littérature française. Cependant on peut dégager l'une des démarches les quelles appliqués dans le domaine de l'enseignement des textes littéraires dans les collèges et les universités. Cette démarche ou cette

l'apprenant. Alsadag Ahmeid ajoute que " l'importance de l'enseignement de la littérature dans l'enseignement de cette langue étrangère concerne l'évolution de l' enseignement du FLE et la littérature est devenue comme l'aboutissement de l'apprentissage de la langue"(Ameid Alsadag 2012:63). On remarque que la littérature, comme matière, contient, la culture, l'écriture et la langue. En un autre mot que à partir d'un texte littéraire, on peut apprendre toutes les compétences du langage comme l'affirme Ahmeid Alsadag " ainsi l'effort de lecture se fait pour acquérir ces compétences, en s'appuyant certes sur ce qu'ils connaissent, mais aussi sur les compétences maternelles acquises. Ceci nous permet de dire que le défi à révéler est double:

- Apprendre à communiquer en langue étrangère.
- S'appropriier les compétences inhérentes à cette langue par le biais de textes lui appartenant c'est-à-dire écrits en langue étrangère ou à travers des textes de sa langue maternelle qu'il faudrait traduire " (Ameid Alsadag 2012:60-61) . On peut affirmer que l'enseignement de la littérature renforce l'acquisition les compétences à travers de l'analyse d'un texte littéraire.

3- Des présuppositions pédagogiques :

- La première concerne la nécessité de prendre conscience de l'idée que nous enseignant, nous nous faisons de la littérature. A quel degré, dans le classement des disciplines universitaires, la plaçons-nous ? Comment sommes-nous parvenu à cette sensibilité aux textes, qui nous semble désormais spontanée ? Le rapport aux objets culturels est socialement construit. Il n'y a pas de sensibilité innée à la beauté de la littérature. La culture cultivée s'acquiert par apprentissage. C'est le rôle des enseignants de transmettre cette culture.
- Le seconde point, concerne ce que nous attendons des étudiants. Nous connaissons le (sens) du texte, ou du moins nous savons quel sens lui est généralement accordé. C'est ce sens que nous voulons transmettre, que nous voulons que les étudiants atteignent.
- Le troisième point intéresse les objectifs assigné, plus ou moins consciemment, à l'utilisation du texte littéraire en classe de langue : ils visent soit l'enseignement de la littérature "et alors la focalisation se fait sur le sens, les idée, les figure rhétoriques ... ". Soit l'enseignement de la langue " et dans ce cas la concentration se fait sur le vocabulaire, la grammaire ... ". On pense que le texte littéraire est support d'apprentissage multiples ou les opérations discursives qui ordonnent, l'organisation sémantique et grammaticale, la prosodie....produisent un discours unique qui doit être saisi

écriture, grammaire et culture aussi. Alsadag Ahmeid souligne que la littérature est un art qui regroupe plusieurs matières, mais à la différence d'autres types d'écrits (la littérature, dans son sens le plus courant, est donc un art à part entière. D'une manière générale, la littérature regroupera ici les œuvres ayant soit un but esthétique soit une forme esthétique particulière. La dimension esthétique est donc la finalité de la littérature) (*Ahmeid Alsadag 2012:53*). Donc on peut dire que la littérature a plusieurs aspects, langue, la vie sociale, et aussi un œuvre esthétique. Séoud Amor ajoute que la littérature est une source d'intérêt pour les historiens " la littérature est source d'intérêt même pour les historiens de métier, ceux en tout cas qui s'occupent de ce qu'on appelle l'histoire des civilisations qui est en train de supplanter l'histoire événementielle traditionnelle "(*Séoud Amor 1997:14-15*). Mais même la littérature comme matière, englobe plusieurs aspects. Elle a une spécificité par rapport à certains documents authentiques, la littérature se caractérise par des spécificités distinguées. Tout d'abord elle se distingue par la durabilité, c'est-à-dire elle n'est pas périssable. Elle exprime aussi les aspirations des êtres humains.

On peut ajouter que le texte littéraire, on le considère comme les échos qui se répondent de siècle en siècle. En outre, elle est le miroir qui reflète la vie des êtres humains. Ameid Alsadag confirme que la littérature englobe aussi la conscience des nations. " la littérature est la conscience de toutes les nations. Elles transmettent aux futures générations la grandeur et la gloire de toutes les nations. Elle est l'un des moyens les plus importants à découvrir aux autres les cultures des sociétés, leurs coutumes, leur manière de vivre et de penser " (*Ahmeid Alsadag 2012:54*). On peut dire que le rôle de la littérature vise toujours à comprendre l'évolution culturelle et morale de la société. Il est utile de souligner aussi que le texte littéraire et sa littérature supportent une multiplicité d'interprétation. " Ce qui ne signifie pas que toute interprétation soit possible ! ". Mais à chacun de l'investir en fonction de ses compétences culturelles, linguistique, et ses pratiques de lecture et de sa sensibilité aux ces textes. Donc en mettant en considération cette spécificité, on doit enseigner la littérature dans un contexte, culturel, social et linguistique, ce qui nous amène d'aborder l'importance de l'enseignement de cette matière dans une classe de langue.

2- Importance d'enseigner la littérature dans une classe de langue:

On pense que le fait d'enseigner le texte littéraire dans une classe de langue vise à consolider la pratique de la langue dans cette classe, car l'enseignement d'un texte fait enrichir le stock des vocabulaire chez

L'enseignement de la littérature Française Les problèmes et les solutions

DR. Soliman Shagaf
Faculté des lettres
Beniwalid

Introduction :

On considère depuis des années l'enseignement de la littérature française comme une matière principale dans les départements de français en Libye.

Autrement l'un des objectifs de ces départements. Puisque il est difficile de séparer l'enseignement d'une langue de sa littérature, car cette dernière englobe la langue, l'écriture et la culture aussi. Mais en Libye , on constate que l'enseignement de la littérature aux universités reste assez modeste. Car à mon avis, le problème se concentre sur le choix des textes littéraires, les objectifs visés et surtout la méthode à suivre en classe de langue. Dans ce modeste travail, on va essayer de donner une définition pour la littérature en générale, puis on va aborder les aspects spécifiques de la littérature et l'importance de l'enseignement de cette matière. On va aussi analyser les problèmes qui confrontent l'enseignement de la littérature. Finalement on va suggérer l'une des méthodes d'enseigner la littérature dans nos universités.

ملخص البحث

يعتبر تدريس مادة الأدب الفرنسي من المواد الأساسية في أقسام اللغة الفرنسية. لأنها تكسب الطالب تعلم العديد من المهارات وعلى الأخص مهارتي القراءة والكتابة إلى جانب التعرف على الثقافة الفرنسية، حيث لا يمكن فصل تعلم أي لغة عن معرفة أذاتها، لأن الأدب يعتبر انعكاس لحياة المجتمع في أي عصر من العصور. تعرض هذا البحث إلى إشكاليات تدريس هذه المادة في الجامعات الليبية والتي من ضمنها على سبيل المثال لا الحصر، عدم التوافق ما بين المستوى اللغوي عند الطالب والنص الأدبي المراد تدريسه نظراً لعدم اتباع طرق حديثة ومناسبة لتدريس هذه المادة وندرة التدريب المستمر للأساتذة. قدم البحث في البداية تعريف موجز للأدب وخصائصه وشرح النقاط المهمة الواجب مراعاتها عند تدريس نص أدبي. وفي الختام اقترح الباحث بعض الحلول لهذه الإشكاليات وعرض إحدى الطرق التي نراها مناسبة لتدريس هذه المادة في جامعاتنا.

1- Définition et spécificité de la littérature :

Tout d'abord si on consulte les dictionnaire, on trouve que le mot littérature vient d'origine latine (littera qui signifie lettre et littérature) qui signifie

L'enseignement de la littérature Française
Les problèmes et les solutions

DR. Soliman Shagaf
Faculté des lettres
Beniwalid

The university forum magazine

Faculty of arts Bani Waleed

**The 17-18th issues
Spring & Summer 2016**

The university forum magazine
The 17-18th issues
Spring & Summer 2016
Faculty of arts Bani Waleed

التوثيق في دار الكتب الوطنية 2012 / 446

المراسلات

مجلة المنتدى الجامعي - كلية الآداب بني وليد

طريق الظهرة - بني وليد

البريد الإلكتروني

Email: almuntada2012@yahoo.com

<http://www.facebook.com/almuntada.bw>

سعر النسخة ثلاثة دنانير